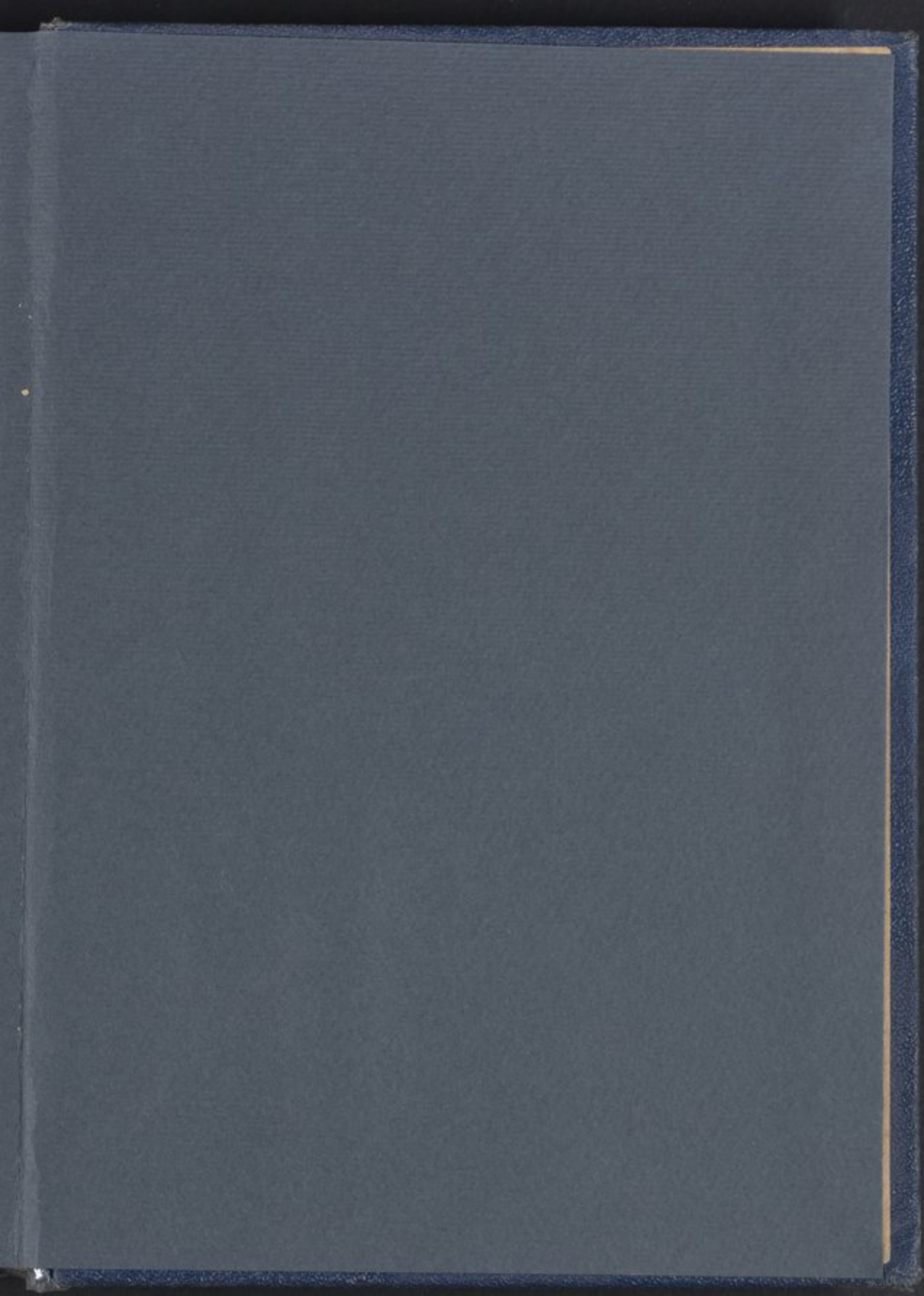


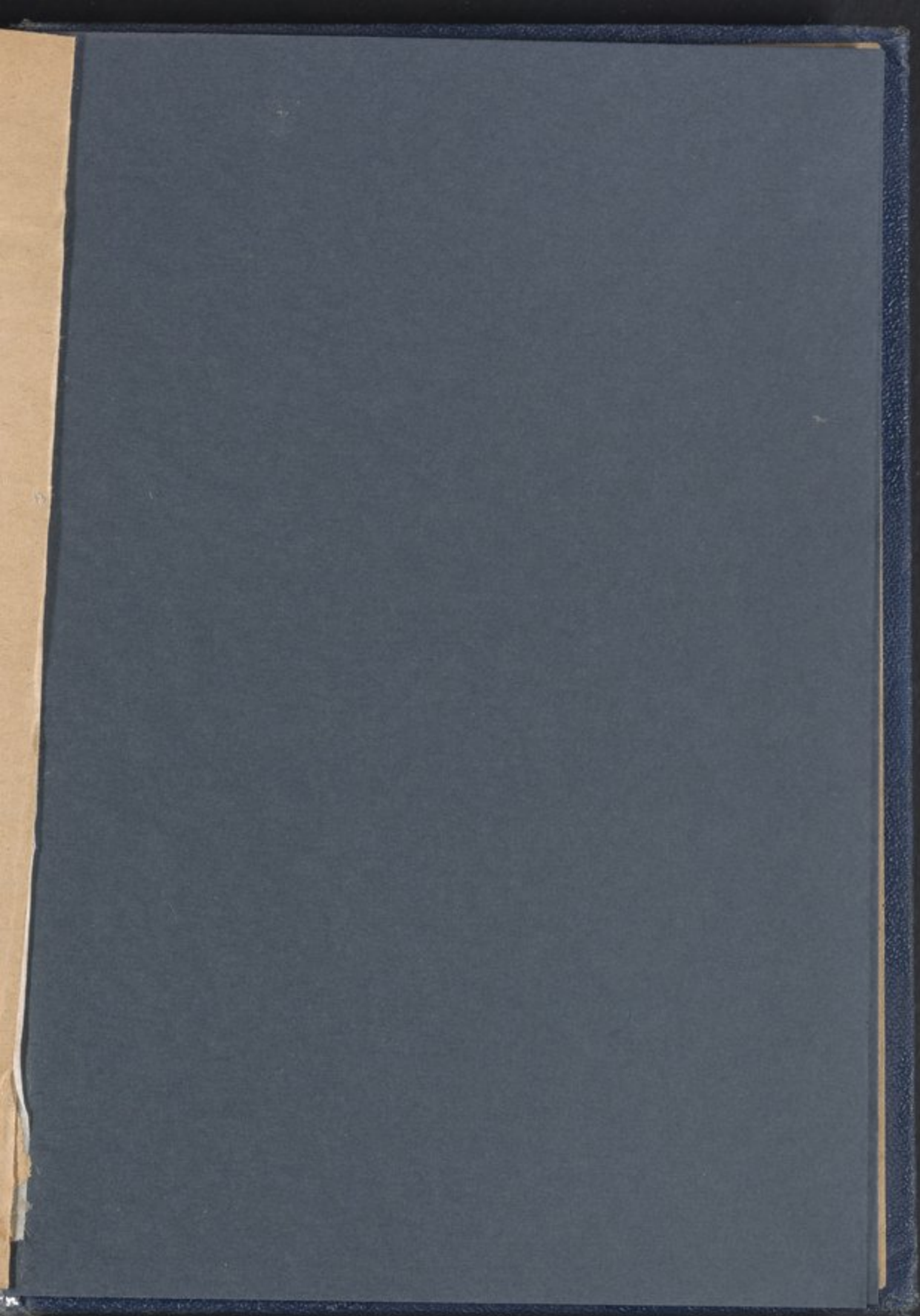
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01090 4690







هدية من
الشيخ محمد الأحمدي
الشيخ محمد الأحمدي

أبيه
الشيخ محمد الأحمدي
الشيخ محمد الأحمدي

العلم والعلماء ونظام التعليم

BP
44
23
1955

بقلم المرحوم

الاستاذ الأکبر

الشيخ محمد الأحمدي الظواهري

شيخ الجامع الأزهر

الطبعة الثانية ١٩٥٥

وبها مقدمة تاريخية وسياسية

بقلم نجل المؤلف

الدكتور نجر الدين الأحمدي الظواهري

الطبعة الأولى صدرت في سنة ١٩٠٤ عندما كان المؤلف

مدرسا بمعهد طنطا العلمي الديني الاسلامي

OCLC
44448557

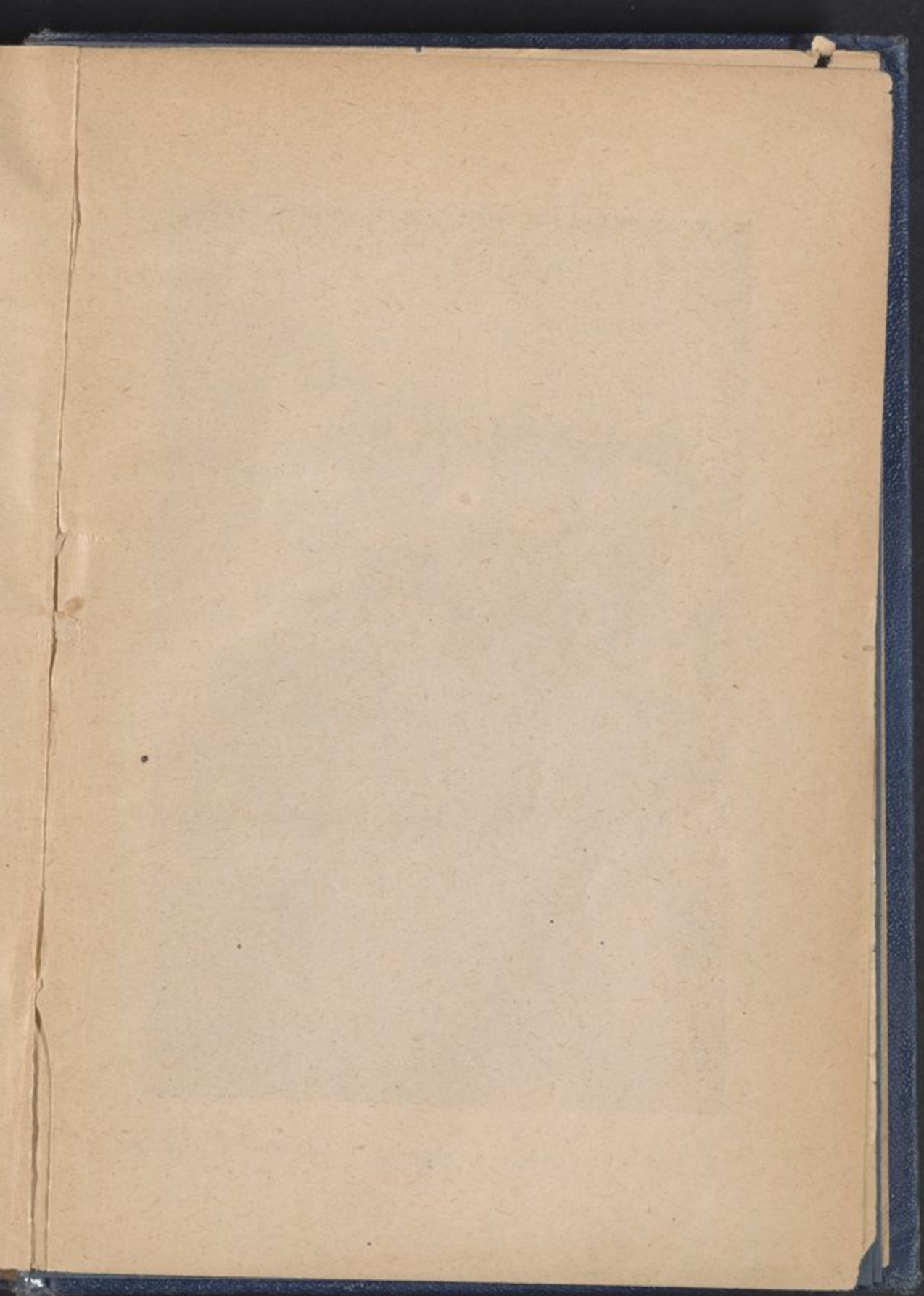
۲۷۷
ع. ۲۵

B12567747
13995480

42030



الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمد الطواهي عندما كان شيخاً للجامع الأزهر



نماذج من المذكرات التي تركها الظواهري

ترك الظواهري عددا كبيرا من الأوراق التاريخية
المسكتوبة بخط يده ولما كان نشرها جميعها يحتاج كتابا ضخما،
فقد رأينا إختيار خمسة منها لتكون مثلا لها .
وقد أدرجنا في الصفحات التالية الصور الزنكغرافية لهذه
النماذج الخمسة مقرونة بالحروف المطبوعة لكي يمكن قراءتها
بسهولة .

النموذج رقم ١

وهو خاص برغبة الظواهرى فى ابعاد الأزهر عن الأحزاب السياسية لأنها أرادت أن تستغل الأزهر لأغراضها السياسية والشخصية. وقد قلنا فى صفحة ١٥ من المقدمة أن الظواهرى قد ولد لنفسه بهذا المسلك عداء جميع الأحزاب السياسية. وهذا النموذج رقم ١ جزء من بيان يبدو أن الظواهرى كان قد أعدده فى ذلك، وسنكتبه بحروف مطبوعة لتسهيل قراءته، وهو:

السياسة والمعاهد

» يجب أن يكون مفهومًا عند أهل الأزهر وعند أهل الأحزاب
» وعند الحكومات المتعاقبة وعند الجمهور أن الأزهر علماء وطلابا
» يجب أن يكونوا بعيدين عن السياسة الحزبية وما تقتضيه من
» تنافس وكل من يحاول أن يزج بهم فى هذه الميادين وينتفع بهم
» فى هذه الناحية فثله مثل من يقامر بجواهر عائلته فالأزهر أنفوس
» جوهرة فى التاج الإسلامى. ويجب أن يكون مفهومًا أن الأزهر
» لا يمكن أن يودى وظيفته من الارشاد والدعوة إلى الخير ولا
» أن يحوز الثقة من الجمهور إلا إذا كان بعيدا عن هذا التنافس.
» يجب أن ينظر الأزهر باعتباره مدرسة طب روحى أخلاقى
على وأن يعنى الجميع به ويساعدوه على أداء وظيفته هذه
دون أن يدعوه أو يقروه على النزول إلى النضال السياسى المحلى.
» قال قائل أن الأزهر سيف فأما أن يكون بأيدينا وإما أن نغله
» وكان أخرى به أن يقول أن الأزهر تاج الإسلام يجب أن ندافع
» عنه حتى لا يسقط وأن نجعله بعيدا عن كل نضال واختلاف... الخ

السياسة والمناجاة

سبحان من يكون مقربنا من الله عز وجل وسد آفاقه عز وجل
وحمداً لكلمات المنفاعة وسد المحذور أن أنظر لما
وذلك بمعية. يكونوا بيدين في السياسة السليمة المحمودة
تنتظم ما كنا في ذلك من غير سبيل في ذلك
وكل من يمارس أن يزرع لهم هذه السياسة وينفع لهم في هذه
السياسة فكل من ينفع من نفعهم في هذه السياسة يأنس به
أنفسه في هذه السياسة إلى أن يأنس به

وحيث أن يكون مقربنا من الله عز وجل وسد آفاقه عز وجل
من أن يشاء الله عز وجل له ما يجوز النفع من المحذور أن إذا كان
تبعاً من هذا النفع

لذلك من غير سبيل

بمعية أن ينظر إلى أن نرى من غير سبيل وطبيروا غفلت في ذلك
وأن نرى المحذور في السياسة من غير سبيل وكن في هذه دون
أن ندعوه أو نقره في ذلك من غير سبيل أن نضال السياسة المحمودة
فما قالوا أن نرى من غير سبيل فأنما أن يكونوا بايدينا أنما أن
نقلنا ذلك. أي من غير سبيل أن نرى من غير سبيل فأنما أن يكونوا
بمعية أن نرى من غير سبيل فأنما أن يكونوا بغير سبيل فأنما أن يكونوا

والنفع من

محمود

بغير سبيل

النموذج رقم ٢

وهو جزء من مذكرة وجدت في أوراق الظواهري تدل على تحريض حزب «الوفد المصري» للطلبة على الإضراب .
فقد قلنا في صفحة ١٨ من المقدمة أن توفيق نسيم رئيس الوزارة سنة ١٩٣٥ عرض على الظواهري بصفته شيخ الأزهر عضوية مجلس وصاية أراڊ الانجليز (وقتئذ) أقامته على الملك فؤاد أثناء مرضه وأن الظواهري رفض تلك العضوية فرغب الانجليز في خروجه من مشيخة الأزهر وتعيين المراغى بدله وأن حكومة توفيق نسيم بمعاونة حزب «الوفد المصري السياسي» الذي كان معاديا وقتئذ للملك فؤاد ومناصري الحكومة توفيق نسيم عمدت إلى إثارة الطلبة ضد الظواهري لإحراجه وإرغامه على الاستقالة .
ونص النموذج بالحروف المطبوعة هو :

« ... وقد توصل إلى التأثير على كل من الشيخ محمد البربري الطالب بالقسم العالي بالسنة الثانية والشيخ محمد سليمان امام «الابيارى الطالب بالسنة الثالثة قسم عال وقد حضر أمس إلى منزل الشيخ محمد سليمان الابيارى محمود غنام المحامى واجتمع ببعض طلبة الأزهر ليضعوا صيغة منشور يوزعونه على الطلبة وكان اجتماعهم بمنزل الشيخ المذكور بشارع السكوه رقم ١١ «بالظاهر وكان مما قاله محمود غنام أن الوفد يضمن للطلبة إذا ما رفقوا أن يعودوا إلى مدارسهم ومعاهدهم مع تعويض «سنوات الرقت وذلك عند عودة الوفد إلى الحسك في القريب

و العاجل . وحلقة الاتصال بين الطلبة والوفد عدا من ذكرهم
و عبد الحميد الشهدى كامل جاد طلحه اسحاق لطفى من الثانوى
و السيد الجيزاوى من الاولى ... الخ

وقد توصل الانباء على كل من الشيخ محمد البربرى والطلاب
بالعلم العالمى بالنسبة الثانية والشيخ محمد سليمان امام
البيارى والطلاب بالنسبة الثالثة فتم على
وقد حضر اسماء من رالى محمد سليمان والبيارى
محمد وتمام المحامى وجميعهم ينفذ طلبته ان زهر
ليصفه صيغة منشور يوزعونه على الطلبة وكان
اجتماعهم بمنزلة الشيخ المذكور شارع لكوه فتم ابا الظاهر
وكان مما قاله مبنى محقق ان الوقت يضمن اللطمة اذا صار
ان يعودوا املازهم ومعلمهم ثم قد مر سنوات
الوقت و ذلك عند عودة الوفد الحكمى القريب
الى اهلهم

وملحة ان هناك بارئى الطلبة والوفد امنا ذكرنا
فهم عبد الحميد الشهدى كامل جاد طلحه اسحاق لطفى
من الثانوى والسيد الجيزاوى من الاولى

النموذج رقم ٣

وهو خاص بما نجح فيه الظواهري من فض مؤتمر الخلافة الذي عقد بالقاهرة في سنة ١٩٢٦ وكان غرضه من هذا الفض أن لا يسجل هذا المؤتمر في قراراته ما كان سيحدث حتما كرامة مصر وهو عدم رغبة وفود الأمم الإسلامية في إقامة الملك فؤاد ملك مصر وقتئذ، خليفة للمسلمين. وقد أشرنا الى ذلك في صفحة ٩ من المقدمة .

والنموذج رقم ٣ هو مسودة القرار الذي اقترحه الظواهري لفض المؤتمر وأنقذه به سمعة مصر. ونص النموذج بالحروف المطبوعة هو .

« ... بعد تلاوة التقريرين وبحث المواضيع الواردة فيهما أن الخلافة الشرعية ممكنة ولكن وسائل تحقيقها لم تعد إلى الآن. ويرى المؤتمر أنه لا بد في تحقيقها من أن يراعى أن تكون على وجه لا يفرق جماعة المسلمين ولا يشير الخلاف بينهم في تحقيقها. ولذلك لا بد من تمثيل جميع المسلمين في سائر الأقطار تمثيلا حقيقيا . وهو يوجه نداه الحار إلى جميع المسلمين في سائر أقطار الأرض أن لا يهملوا الخلافة التي هي سراج الإسلام ومظهره وأن يعملوا جميعا لتمهيد السبيل في الوقت القريب لتحقيقها على الوجه المذكور . وخروجا من الأثم الخ

النموذج رقم ٤

لما استولى الملك عبد العزيز على الحجاز دعا الحكومات الاسلامية لعقد مؤتمر بمكة ينظر في أمر الحجاز وفي طريقة الحكم فيه ، وكان الطواهي رئيس وفد الحكومة المصرية في هذا المؤتمر ولم يكن قد صار شيخ الأزهر بعد . والنموذج رقم ٤ جزء بخط يده من مسودة من إحدى مذكراته في المؤتمر وهي بالحروف المطبوعة كما يأتي :

... سأل حضرة أديب بك ثروت مندوب تركيا بحضرتنا الشيخ أمين بليهد كبير علماء نجد عن سبب منع شرب الدخان فقال نحن لا نمنعه لأنه حرام ولا لأنه حلال فنحن نعلم أن العلماء مختلفون في ذلك ولكننا نمنعه لأن النجديين إذا رأوا من يشربه ذبحوه . فنحن نمنعه من شربه حتى لا يذبح . هذا تصريح أمام النجديين بمحضر ممثلي الأمم الإسلامية في لجنة الاقتراحات فهل يريد النجديون أن يحكوا أولئك البدو في كل من يفد على الحجاز لمثل هذه العلة ، وهل مثل هذا هو الذي يعنيه جلالة ابن السعود بهذه الفقرة في كتابه .

لقد كان تصريح كبير علماء نجد خطيراً جداً على المسلمين وخطيراً جداً على النجديين أنفسهم وعلى أهليتهم لحكم الحجاز . فالمسلمون يرون أنفسهم إذا ذهبوا إلى الحجاز أنهم سيكونون في جميع أحوالهم تحت رحمة البدو كما يكون الأسرى في حوزة الظافرين مهدين بالقتل أن هم خالفوا أهواءهم في أي حركة ولو في شرب سيجارة فهل مع هذا يذهب الناس إلى الحجاز ، وهل مع هذا يمكن أن يأمن الناس في حرم الله حيث يأمن الحيوان والنبات ويكون الإنسان وحده في خطر الموت أن خالف . . الخ

أَرْحَمُهُ أَدِيبٌ لَكِنْ شَرُّهُ مَذْذُوبٌ تَرَكْنَا
 بِمُضَرَّتِنَا الْيَتِيمَ ابْنَ بَلَدِهِ كَبِيرٌ عَلِمَ الْحَيْدَ عَمَّا بَيْنَ
 مَنَاقِبِهِ تَرَكْنَا الدُّعَاءَ فَتَقَلَّلَ الْخَلْقُ لَهُ نَحْنُ لَهُ
 مُرَامٌ وَلَهُ لَنْ نَمُوتَ حَتَّى نَمُوتَ مِنْ قَدَمِ أَسَا
 هَلَاكِهِ مُخْتَلَفٌ فَمُذَلِّكٌ وَلَكِنَّا نَحْنُ
 لَدُنَّ الْحَيْدِ بَيْنَ أَرْحَمِهِ وَبَيْنَ شَرِّهِ ذُجُوهٌ
 نَحْنُ نَحْنُ مِمَّا شَرِّهِ حَتَّى لَنْ يَذْهَبَ هَذَا
 دَقْرُوحٌ أَمَّا الْحَيْدُ بَيْنَ الْحَيْدِ مِمَّا شَرِّهِ أَلَمْ يَكُنْ
 وَكُنْهُ أَلَمْ يَكُنْ قَرَامَاتُ

فَهَلْ يَرِيدُ الْحَيْدُ وَيُورِثُ أَلَمْ يَكُنْ أَوْ لَيْسَ
 الْبَدْوُ فَمِمَّا يَذْهَبُ الْحَيَّازُ لَمْ يَكُنْ هَذِهِ
 الْعِلَّةُ وَهَلْ يَكُنْ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْشُرُ
 حَلَلَهُ ابْنُ السُّعُودِ بِهَذِهِ الْفِتْرَةِ مَا لَنَا بِهِ
 لَقَدْ كَانَتْ دَقْرُوحٌ كَبِيرٌ عَلِمَ الْحَيْدَ خَطَرًا
 غَدَاً عَلَى الْمَلِكِينَ وَخَطَرٌ هَذَا عَلَى الْحَيْدِ بَيْنَ
 أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى هَلِكِهِمْ كَلِمَةُ الْحَيَّازِ

فَالْمَلِكُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفُسَ إِذَا ذَهَبُوا الْحَيَّازُ
 أَنْهُمْ سَلَوْنَهُمْ بِهَذِهِ نَحْنُ جَمِيعٌ أَهْلُ لَمْ نَحْتِ
 رَحْمَةً الْبَدْوُ كَمَا لَكُنَا أَنْ سَرَى نَحْنُ هُوَ
 الْخَافِرِينَ مِمَّا دِينُ بِالْقُدْرَةِ أَنْهُمْ خَالِفُوا
 أَهْلُ هَلْ نَحْنُ أَيْ هَلْ نَحْنُ وَلَوْ نَحْنُ شَرِّ سَبَابَةٍ
 فَتَرَكْنَا هَذَا بِهَذَا هَلْ نَحْنُ الْبَدْوُ الْحَيَّازُ
 وَهَلْ نَحْنُ هَذَا يَكُنْ أَلَمْ يَكُنْ الْبَدْوُ نَحْنُ هَلْ
 أَلَمْ يَكُنْ يَكُنْ الْبَدْوُ وَالْبَدَاةُ
 يَكُنْ أَلَمْ يَكُنْ وَهَلْ نَحْنُ هَلْ نَحْنُ

النموذج رقم هـ

وهو جزء من مسودة مذكرة تدل على أن الظواهرى كان
أول من فكر فى انشاء أقسام التخصص بالأزهر وكان ذلك
عندما كان شيخنا للجامع الأحمدي بطنطا، وقد أشرنا إلى ذلك فى
صفحة ٨ من المقدمة . ونص النموذج بالحروف المطبوعة هو :

« ... وحيث أنه يوجد الآن من حاملى شهادة العالمية عدد كبير جداً
ولا يشتغل بعمل وهم متى علموا أن فى الاختصاص فائدة تعود عليهم
اشتغلوا به ونبغوا فيه وأفادوا واستفادوا فمن السهل احياء
« مبدأ الاختصاص بل احياء العلوم وتجديد مجد الأزهر الشريف
« وإيجاد المدرسين المتفوقين بمشروع بسيط يتلخص فيما يأتى... الخ

وحسبته أنه بوجه ان كما هي حاملي
آلة العالم به بعد كبر عبد الله سيقول
بعد ما وهو من المتفاني ~~وهو من المتفاني~~
في خفة المذبح ~~وهو من المتفاني~~ وهو من المتفاني
أما في اليمين فائدة تعود لهم
استغفروا به وينفوا فيه وأقاروا واستغفروا
في الرها احبوا مبادي اليمين
بل احبوا العلوم ومجد به مجد الزهر
الشرق والجماد المديني المتفاني
~~متفاني المديني والمتفاني~~
والحجج بين هذه المطالع الهامد
سقط هذا من المتفاني
مستروع بينا يتخلص بها ياتي

31.5

مقدمة تاريخية سياسية للطبعة الثانية

بقلم

الدكتور فخر الدين الأحمدى لظواهرى

نجل المؤلف

سألتى الكثيرين ممن كتبوا أو يكتبون عن تاريخ الأزهر أن أبحث لهم فى مكتبة المغفور له والدى عن نسخة من هذا الكتاب د العلم والعلماء ، الذى كان قد ألفه فى سنة ١٩٠٤ حين كان لا يزال شابا حديث التخرج من الأزهر ومدرسا بالجامع الأحمدى بطنطا ، أى قبل توليته لمشيخة الأزهر بربع قرن كامل . وقد أفهمنى جميعهم أن لهذا الكتاب أهمية خاصة فى تاريخ الأزهر ، فانه يكاد يكون الكتاب الوحيد الذى يصح الرجوع إليه فى وصف حالة الأزهر الحقيقية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . فقد امتاز بصراحته وشجاعته فى وصف حالة التخلف التى كان عليها الأزهر فى ذلك العهد .

وكننت أعلم أن المرحوم والدى قد ألف هذا الكتاب فى شبابه ، ولكنى لم أطلعه إلا بعد وفاته ، أى فى سنة ١٩٤٤ ، عندما بدأت أولف كتاب د السياسة والأزهر من مذكرات شيخ الإسلام الظواهرى ، ، وحقا وجدت المرحوم والدى كان صريحا فى القول دون تحفظ وشجاعا فى رأى دون خشية ، كما قال هؤلاء المؤرخون ، وكننت قد أرجعت هذه الصراحة المرة إلى اندفاع الشباب وبراءته ، فلم يكن عمر والدى حين ألف الكتاب ليزيد على نحو خمسة وعشرين عاما لا غير . وتستبين هذه الحداثة فى سنه من أسلوب عرضه للمشاهدات . وكذلك من عدم اهتمامه

بالتنميق في الإنشاء ، وقد أشار هو نفسه لذلك في صفحة ١٧٢ .
 وكنت أعلم أن هذا الكتاب عند صدوره كان قد أثار ضجة
 كبيرة في الأوساط الأزهرية خاصة وفي العالم الاسلامي عامة ،
 فقد كان مؤلفه يدعو إلى إصلاح الأزهر .. وكان كبار علماء
 الأزهر وقتئذ لا يريدون ذلك الإصلاح ... ثم أني كنت قد
 لاحظت أن المستشرقين قد اهتموا به وعلقوا عليه في دائرة المعارف
 الاسلامية في طبعاتها التي صدرت باللغات الفرنسية والانجليزية
 والالمانية ... فلما استحثني هؤلاء المؤرخون على البحث لهم عن
 نسخة من هذا الكتاب في مكتبة المرحوم والدي .. ولم أجد فيها منه
 الا نسختين .. رأيت — وقد صارت للكتاب هذه الأهمية
 التاريخية — أن أعيد طبعه من جديد ، ليكون في متناول من يريده ..
 وكذلك ليكون أحياء للذكرى الحادية عشر لوفاة مؤلفه .

ولقد كان للظواهرى من بعد تأليفه لكتاب العلم والعلماء في
 سنة ١٩٠٤ ، وبالأحرى عندما صار شيخا للجامع الأحمدى بطنطا
 في سنة ١٩١٤ ثم شيخا للجامع الأزهر في سنة ١٩٢٩ ، مواقف
 أخرى صريحة وجريئة في شأن إصلاح الأزهر وفي بعض شئون العالم
 الاسلامي والسياسة المصرية وقد اهتم بذلك أيضا المؤرخين ، فرأيت
 أن ألخصها لهم وللقرءاء في هذه المقدمة .. استكمالاً للبحث في شئون
 الأزهر .. وتوضيحاً لبعض تاريخ الظواهرى مؤلف هذا الكتاب .
 ثم لكي يكون لما سأكتبه هنا عن الظواهرى قوته التاريخية ،
 سأقصر ما اكتبه على ما هو ثابت فعلاً في الأوراق والمستندات

الرسمية .. حتى يتأتى لأى شخص آخر الرجوع إليها . وسأتوخى
 فى كتابى الاختصار القريب من مجرد السرد ، تاركا التفاصيل لهذا
 الكتاب « العلم والعلماء » ، أو لكتاب « السياسة والأزهر من
 مذكرات شيخ الإسلام الظواهرى . الذى ظهر بعد وفاة الظواهرى
 بعام واحد ، أى فى سنة ١٩٤٥ .

المضج: النبى صاحب ظهور كتاب العلم والعلماء

ولا بد هنا من الإيضاح قليلا عن أسباب الضجة التى قلنا
 أنها صاحبت ظهور كتاب العلم والعلماء فى سنة ١٩٠٤ . فقد كانت
 هذه الضجة بإيحاء من الخديوى عباس حلى الثانى ، مناوأة منه
 لعدوه السياسى وقتئذ الشيخ محمد عبده^(١) ، الذى كان وحده ، دون
 باقى كبار علماء الأزهر ، يقر ما كتبه هذا الشاب الأزهرى فى كتابه عن
 عيوب هؤلاء العلماء فى ذلك الوقت ، وعن قصورهم فى أداء رسالة
 الأزهر الحقيقية ، وعن فعودهم عن متابعة التنور العام ، وعن
 تخلفهم فى الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة .. كما كان يقره فى
 طرق الإصلاح التى أرآها . وقد بلغ حنق الخديوى على تحييد
 الشيخ محمد عبده لكتاب العلم والعلماء ، أنه أوحى لشيخ
 الأزهر وقتئذ ، الشيخ الشربى ، أن يطلب منه حرق هذا الكتاب
 فأمر الخديوى بجمعه وحرقه . وسيجد القارىء تفصيلات هذه
 القصة التاريخية الطريفة مدونة فى كتاب « السياسة والأزهر » .

(١) راجع تفصيل تلك العداوة فى كتاب « محمد عبده » للدكتور عثمان
 مین أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة .

رأى المستشرقين في كتاب العلم والعلماء :

كما سيجد به أيضا ما كتبه المستشرق الألماني زاكس في دائرة المعارف الإسلامية عن كتاب « العلم والعلماء » في باب المراجع عن الأزهر ، ويحسن في أن أنقل ترجمته هنا ، لكي نتبين الفرق بين الرأيين في الظواهرى . . رأى علماء الأزهر عصرئذ في الشرق . . ورأى العلماء المستشرقين عصرئذ في الغرب !!
والترجمة هي (١) :

« كتاب العلم والعلماء ونظام التعليم (طنطا ١٩٠٤ لمحمد »
« ابن إبراهيم الأحمدي الظواهري ، وهو الجزء الأول من كتاب »
« التعاليم الإسلامية . والكتاب من تسعة فصول . ويبحث في »
« العلماء والمدارس الدينية والعلوم وطرق التعليم وتعليم الأمة »
« والتعليم الأولى والتربية والإصلاحات الضرورية والرقابة »
« الدينية . وأن روح الإخلاص والصفاء التي تظهر في هذا »
« الكتاب لتعد نادرة حتى بيننا نحن المسيحيين فما بالك بوجودها »
« في الإسلام الذي دب فيه الجود . »
« ومن العجيب جداً في هذا الكتاب الجمع بين وجهة »
« النظر الإسلامية والإحساس بفائدة ما يأتي من مصادر »
« أخرى . فالمؤلف يرى أنه يجب أن يأخذ المسلمون ليس عن »
« أوروبا فحسب ، بل عن الصين واليابان أيضا — ويرى أن من »
« بين المواد التي ينبغي دراستها الدعوة للإسلام ، ويرغب المؤلف »
« في عقد مؤتمرات إسلامية لبناء فكرة الجامعة الإسلامية . ثم ،

(١) قام بهذه الترجمة عن النسخة الانجليزية الأستاذ حسن علي زين العابدين وكيل وزارة الدولة لشئون السودان .

« يبين وسائل الثقافة التي تتطلبها لجان من العلماء ، وإخراج دائرة ،
 « معارف ، ونشر التعليم الجامعي بين أفراد الأمة ، كما قال إنه يجب ،
 « تطهير الإسلام من الخزعبلات والعوائق التي تبهظه . ويحذر ،
 « المؤلف قراءه من الفلسفة الخيالية . والكتابة على كل ،
 « الأحوال برهان ساطع على عقيدة الكاتب الراسخة بالمثل ،
 « العليا . »

الظواهرى والمؤتمرات الإسلامية العالمية :

فأنت ترى ، فى الحقيقة التاريخية ، أن الأحمدى الظواهرى
 كان قد سبق زمنه بخمسين عاما طوالا هى الفترة التى مضت
 حتى الآن منذ تأليفه « العلم والعلماء » وحسبنا فى ذلك فكرة
 المؤتمرات الإسلامية السنوية التى دعا إليها هذا الشاب فى كتابه
 منذ خمسين عاما ، والتى استوقفت بصفة خاصة اهتمام المستشرقين . .
 فهذه المؤتمرات هى بعينها ما يدعو إليها الآن رجال الثورة
 المصرية الحالية ، لتكون أداة تنهض بالأمم الإسلامية جميعا .
 كذلك منذ خمسين عاما طوالا دعا الظواهرى فى هذا الكتاب إلى
 ما يشغل الأذهان الآن عن الأزهر ، سواء من الناحية العلمية
 أو الاجتماعية وتدانا دعوته هذه على مقدار تخلف الأزهر فى
 ذلك الوقت فإننا نقرأ فيه أنه يحض الأزهرين على تعلم
 الجغرافيا والتاريخ والكيمياء والطبيعة كما يحضهم على تعلم
 اللغات الأجنبية ويطلبهم بقراءة المجلات والصحف اليومية . .
 ويقول لهم إن هذا كله ليس حراما كما كانوا يظنون وهو يحض

طلبة الأزهر على نظافة أجسامهم ومساكنهم ، وعلى التزام آداب الجلوس والحديث والطعام .

التعليم الأولى في نظر الظواهري :

وفي اهتمام الظواهري ، ذلك الشاب ، بتحسين أحوال الشعب المصرى عامة ، بالإضافة لشئون الأزهر المحضة ، رأى أن تعميم التعليم هو أساس النهوض بالامة — ومن الغريب أنه حمل الأزهر مسئولية تخلف الامة في التعليم ، فقال إن العالم الأزهرى كان يستنكف أن يكون معلما في المدارس الأولية التى كانت تعرف وقتئذ بالكتاتيب ، أو المكاتب .. مع أنه كان فى الحقيقة لا يصلح لهذه الوظيفة .. لأنها فى نظره أهم وظيفة فى الدولة .. إذ يتوقف عليها تربية النشء .. وبالتالى تربية الشعب . ورأى الظواهري أن يعد الأزهريون إعداداً خاصا لتولى هذه الوظيفة البالغة الأهمية .

الظواهري وخطبة الجمعة :

ونرى الظواهري منذ خمسين عاما يحض على ما بدأت وزارة الأوقاف تدعو إليه الآن ، وهو أن لا تقتصر خطبة الجمعة على الوعظ الدينى ، بل يجب أن تشمل أيضا البحث فى الأحوال الجارية ، اجتماعية كانت أو سياسية ، وأن تكون باللغة القريبة من العامة لئلى يفهمها الشعب ، وأن يتولاها أصحاب المراكز الكبيرة ، لئلى تكون لكلماتهم قيمتها .. ولقد طالب من أجل ذلك أن يدرّب طلبة الأزهر على الخطبة ارتجالا ، وأيضا على الوعظ والإرشاد ،

.. كما طالب الواقفين أن يقفوا أطيافهم على هذا السبيل ..
فهو عنده خير من الأوقاف على القبور .

الظواهرى والدعوة الإسلامية :

ودعا الظواهرى فى كتابه هذا ، الذى ظهر منذ نصف قرن ،
إلى أن يعد رجال الأزهر إعدادا خاصا للدعوة للإسلام فى الأمم
التي لا تدين به .. وأن ينشأ لذلك علم جديد اسمه الدعوة الإسلامية ..
وأن توفد من الأزهر لملك البلاد بعثات تبشر بالإسلام .. أسوة بما
يفعله مبشرو الأديان الأخرى .

...

بدر الإصلاح فى مظهر طنطا :

كانت هذه وغيرها رغبات هذا الشاب الأزهرى الناشئ ،
نشرها فى ١٩٠٤ فى هذا الكتاب « العلم والعلماء » ، الذى أمر
الخديوى عباس الثانى ، للعجب ، بحرقه .

ونقرأ بعد ذلك بأربعين عاما فى كتاب « السياسة والأزهر »
من مذكرات شيخ الإسلام الظواهرى ، أن هذا الخديوى
بعد وفاة الشيخ محمد عبده ، قد عفا عن الظواهرى ، وأنه فى سنة
١٩١٤ عينه شيخا للمعهد الدينى بطنطا ، وكان هذا المعهد أكبر معهد
دينى بلى الجامع الأزهر .. كما نقرأ أنه عينه أيضا عضوا بمجلس الأزهر
الأعلى .. فاتيحت له بذلك فرصة لبعض الإصلاح . ونقرأ أنه
وضع حينئذ ، وفى ذلك المعهد ، نواة قسم الوعظ والارشاد ،
مستغلا فى ذلك وقف المنشاوى ، كما نقرأ أنه تقدم لمجلس الأزهر
الأعلى باقتراح انشاء علم جديد اسمه الدعوة الإسلامية ، تفريعا من

علم التوحيد ، ونقرأ أن هذا المجلس لم يوافق على اقتراحه .. كما نقرأ أنه تقدم أيضا باقتراح انشاء قسم للتخصص في الوعظ والارشاد يكون مقدمة لأقسام تخصص أخرى في مختلف العلوم ، وأن المجلس لم يوافق أيضا عليه .. ونقرأ أنه بمناسبة هذين الاقتراحين كشف له السلطان فؤاد بنفسه عن نية من بعض رؤسائه العلماء كانت تهدف لعرقلة هذين الاقتراحين ظاهرا .. ولكونها كانت في الحقيقة تهدف باطنا لهدم الطواهرى عموما . كذلك نقرأ أن في ذلك المعهد الاحمدى ، كما كان يسمى أيضا ، أنشأ الطواهرى لأول مرة في تاريخ الأزهر جمعيات للمناظرة بين العلماء وبين الطلبة ، وجمعيات للرحلات ، وجمعيات للألعاب الرياضية ، ومراقبين يساعدون الطلبة ، سماهم ملاحظى التهذيب بالبيت والشارع .. كما نقرأ أنه ورط السلطان فؤاد لى بأمر بزيادة مرتبات العلماء .. فأمر بزيادتها . ونقرأ أنه هو شخصيا تنازل عن الزيادة فى مرتبه .. لى تضم لمرتبات العلماء .

استمرار الدسائس ضد الطواهرى :

ونقرأ بعد ذلك كيف استمرت الدسائس ضد الطواهرى ، وكيف أن الشيخ حسين وإلى بمعاونة حسن نشأت صديق السلطان فؤاد الحميم ، (كانت مصر حينئذ سلطنته) قد دس للطواهرى عند السلطان ، فأوهمه أن الطواهرى هو اليد الخفية فى مصر للتخديوى عباس عدو السلطان فؤاد اللدود ، فعوقب الطواهرى بنقله شيخا لمعهد أسىوط الابتدائى .. ثم نقرأ كيف أنه أثناء مقامه بأسىوط

أنشأ للبعث الديني بناء جديداً فخماً على شاطئ النيل ، لكي يعرف السواح الذين يملكون في بواجرهم في النيل أن بأسيوط معهدا إسلاميا كبيرا يهاض الجمعية الاميريكية التبشيرية المسيحية الكبرى التي بتلك المدينة .

الظواهرى بفض مؤتمرا الخمرنة :

وفي كتاب السياسة والأزهر ، هذا ، نقرأ أيضا أن الظواهرى قد نجح في فض مؤتمرا الخلافة الذى عقد بالقاهرة سنة ١٩٢٦ بقصد تنصيب الملك فواد خليفة للمسلمين .. فتفادى بذلك اصطدام مصر مع الدول الإسلامية الأخرى التي لم تكن ترغب ذلك التنصيب .

وبمنع ضم الأزهر لوزارة المعارف :

وكذلك نقرأ أن الظواهرى في نفس ذلك العام ، قد أحبط مشروع ضم الأزهر لوزارة المعارف

...

بدرء عراء الانجليز المظواهرى

وهنا وبسبب وقوف الظواهرى ضد الحاق الأزهر لوزارة المعارف ، مخالفا في ذلك زميله المراغى الذى كان وقتئذ رئيسا للحكمة الشرعية العليا ، بدأت ناحية جديدة في حياة الظواهرى ، هي موقف الانجليز موقف الحذر منه والرغبة في التخلص منه إن أمكن ، فلهذا بنى حججه في خطر تبعية الأزهر لوزارة المعارف على أن الانجليز هم الذين كانوا وقتئذ مسيطرين على هذه الوزارة بحكم استثمارهم لمصر ، وأنهم إنما يريدون ، ولو بعد زمن طويل ، القضاء

على الازهر وعلى نفوذه في الأمة المصرية وفي العالم الإسلامي .. ثم زاد الطين بلة ضده عندهم ، أنه وقف بعد ذلك بعام في مؤتمر مكة ، الذي كان قد دعا إليه الملك عبد العزيز ابن سعود لانه نظر في أمور الحجاز ، والذي كانت حكومة مصر قد أوفدت الظواهري رئيسا لوفدها به — يعترض على ما جاء ببرنامج المؤتمر من أن للسودان وقد بالمؤتمر خلاف وفد مصر مع أن مصر والسودان قطر واحد . وكانت نتيجة اعتراضه أنه استصدر من هذا المؤتمر الدولي الاسلامي الهام قرارا بأن مصر والسودان قطر واحد . وقد ضايق ذلك القرار وقمئذ الانجليز كثيرا ، لأنهم كانوا حينئذ يعملون على ضم السودان للإمبراطورية البريطانية .

...

الانجليز يجمعونه تعيين الظواهري شيخا للزهر :

ونقرأ بعد ذلك في كتاب السياسة والازهر أيضا أنه عقب ذلك المؤتمر ، توفي المرحوم الشيخ أبو الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر ، وأن الملك فؤاد بعد أن تبين له كذب دسيسة الشيخ حسين والي قد فسكر في الظواهري ليشغل ذلك المنصب .. ثم نقرأ أن اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني وقمئذ والذي اشتهر بشدة بأسه مع الملك فؤاد ، اعترض على ذلك ورشح من جانبه المراغي بدلا عن الظواهري وأن الأمر انتهى بعد عشرة شهور بتعيين المراغي شيخا للأزهر .

...

كيف عين الظواهري شيخا للزهر :

ثم نقرأ أن بعد خمسة عشر شهرا من تعيين المراغي في مشيخة

الازهر استبعدت الحكومة البريطانية اللورد جورج اللويد من منصب المندوب السامي البريطاني بمصر، فتمنع ذلك استقالة صديقه محمد محمود رئيس الوزارة المصرية وقتئذ، كما تبعه في اليوم التالي استقالة صديقهما المراغي من مشيخة الازهر . . وبذلك استرد الملك فؤاد حريته في اختيار شيخ الازهر . . ونقرأ أنه بعد ذلك بأسبوع عين الظواهري في هذا المنصب .

إلى هنا تتوقف مؤقتاً عن متابعة موقف الانجليز العدائي من الظواهري، وسنعود اليه مرة أخرى — فلقد حدثت أثناء توليته لمشيخة الازهر على غير رغبتهم أمور أخرى زادت ما في نفوسهم نحوه من جفاء . . أو لعله عدا . . فأدت آخر الأمر إلى استقالته من منصب المشيخة .

أعمال الظواهري في منصب شيخ الازهر :

وسأعني الآن ببحث ما كان للظواهري من أعمال في الازهر أثناء جلوسه في مشيخته، فقد كانت له في ذلك المنصب أعمال مختلفة النواحي، منها ما هو خاص بناحية نظام التعليم بالازهر، ومنها ما هو خاص بالناحية الإسلامية العامة في العالم الإسلامي، ومنها ما هو خاص بالسياسة المصرية

الظواهري يصلح الازهر :

فن ناحية نظام التعليم بالازهر استصدر الظواهري، في أول عام له بالمشيخة، القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ الخاص بإعادة تنظيم الجامع الازهر والمآهد الدينية العلمية الإسلامية^(١)، وهو

(١) أدرجنا هذا القانون في آخر الكتاب

القانون الذي أنشأ به الجامعة الأزهرية الحديثة، والذي قلب به نظام التعليم بالأزهر رأساً على عقب . . فقد أدخل للأزهر، لأول مرة في حياته، نظام السكليات وأنشأ فيه منها ثلاثاً هي : كلية أصول الدين للتأهيل لوظائف التدريس في الأزهر والمعاهد التابعة له ولوظائف الوعظ والإرشاد — وكلية الشريعة للتأهيل لوظائف القضاء الشرعي والإفتاء والمحاماة الشرعية — وكلية اللغة العربية للتأهيل لوظائف تدريس اللغة العربية في مدارس الحكومة وغيرها من المعاهد . وقد سمي الشهادة التي تعطى في نهاية الدراسة العادية في كل من هذه السكليات بالشهادة العالية . . وهي تسكن في تتولى الوظائف والمهن المشار إليها .

وفي ثالث عام له في المشيخة أصدر القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٣٣ (١) الذي أنشأ به أقسام التخصص في كل من هذه السكليات، يدخلها الراغبون في الزيادة في العلم من الحاصلين على الشهادة العالية السالفة الذكر، ويلقب المتخرج من هذه الأقسام بلقب عالم في بعض أنواع التخصص، ويلقب أستاذ في البعض الآخر .

وما يجب ملاحظته أن الظواهرى، بمقتضى هذين القانونين، لم يقتصر على إدخال ما كان يحلم بإدخاله في شبابه حسب ما جاء في كتاب العلم والعلماء من العلوم غير الدينية في الأزهر، بل أنه توسع فيما أدخله من هذه العلوم لحدا الطفرة كما قال بعض الناقدين . . فلقد أدخل فيما أدخله علوم : القانون الدولي الخاص، وأصول القوانين، والاقتصاد السياسي، والخطابة والإلقاء والمناظرة

(١) أدرجتنا هذا القانون في آخر الكتاب

والبدع والعادات، والأخلاق، واللغات الأجنبية، الأوروبية،
واللغات الشرقية، وعلم النفس، وأصول التربية، وتدبير الصحة
المدرسي، والتربية البدنية، ومحاضرات في الصحة العامة والطب
الشرعي.

أما علم الدعوة الإسلامية الذي كان قد ابتكره في شبابه
فقد أنشأه فعلاً ثم ضمه إلى علوم التخصص في الوعظ والإرشاد.
ويجب هنا ألا ننسى مشروع الأبنية الفخمة الذي أعده
الظواهري للجامعة الأزهرية الحديثة، والتي تم منها فعلاً في عهده
ثلاث من عمارتها الكبيرة،

مجلة الأزهر ومطبعة الأزهر :

وفي الناحية الإسلامية العامة، سواء في مصر أو في العالم
الإسلامي، كانت أولى خطوات الظواهري فيها إنشاء مجلة
رسمية للأزهر سماها « نور الإسلام »، فلما خلفه المراعى في مشيخة
الأزهر غير اسمها إلى « مجلة الأزهر »، وقد جعل الظواهري
فيها قسماً يحرر باللغة الانجليزية لنشر الدعوة الإسلامية في بلاد
أوروبا والبلاد الأخرى... ثم لكي يسهل مهمتها أنشأ بجوارها
مطبعة سماها « مطبعة الأزهر »

بعثات الأزهر للتبشير بالإسلام :

ثم تلت ذلك خطوته الثانية، وهي تنفيذ ما كان قد فكر فيه
في شبابه، حسب ما جاء بكتاب العلم والعلماء، من إيفاد بعثات من
الأزهر تبشر للإسلام في مختلف بلاد العالم.. فأوفد بعثات أزهرية

للصين وللحبشة .. وكان بذلك أول من فتح الباب للأزهر في مضمار التبشير الإسلامى .. كما استقدم أيضا من تلك البلاد طلبة يدرسون الإسلام على نفقه الأزهر .

مؤتمر ١-الامسى عالمى :

كذلك أراد الظواهري تنفيذ فكرة المؤتمر الإسلامى العالمى الذى كان قد دعا إليها أيضا فى شبابه والتي أشرنا إليها فى أول هذه الكلمة .. ونقرأ فى كتاب السياسة والأزهر أن الملك فؤاد قد وافق على فكرته ، ولكن اسماعيل صدق رئيس الوزارة المصرية فى ذلك الوقت وقف فى سبيل تنفيذها .. لأنها لم تعجب الانجليز .. الذين كانوا وقتئذ مسيطرين على الحكم فى مصر .

وفى متابعة هذه الناحية الإسلامية من العالم الإسلامى ، نقرأ فى مذكرات الظواهري ، منشوراً مطبوعاً وزع فى جاوه باسمه وبصفته شيخ الجامع الأزهر ، يدعو إلى نبذ الشقاق الذى قسم الأمة هناك إلى فريقين متعادين بسبب خلاف على فتوى دينية .. كما نقرأ أنه بصفته هذه احتج رسمياً على ما قام به الفرنسيون فى مراكش فى حادثة الظهير البربرى .. وعلى ما قام به الايطاليون فى طرابلس فى حادثة عمر المختار .

هارت الطبشيريون ببورسعيد :

كذلك نقرأ أنه على أثر اختطاف المبشرين المسيحيين ببورسعيد لفتاة مسلمة فى سنة ١٩٣٣ ، طلب الظواهري رسمياً من رئيس

الحكومة المصرية سن تشريع يحمي المسلمين من تعدى هؤلاء
المبشرين.. وأنه أنشأ جمعية من العلماء ومن الأعيان تبرعت بالمال
لهذا الغرض .

يحذر من إقامة خليفة المسلمين بالقوى :

وفي نفس هذه الناحية الإسلامية العامة نقرأ أيضا ، في نفس
الكتاب ، أن الظواهري كتب للسيد أمين الحسيني مفتي فلسطين
يحذره من أن يكون الغرض من المؤتمر الإسلامي الذي عقد
بالقدس في سنة ١٩٣٣ إنما هو تنصيب خليفة المسلمين يكون
مقره فلسطين أو الهند ، ويكون بذلك لعبة في يد الانجليز ..
فقد كانت فلسطين وقتئذ تابعة للإمبراطورية البريطانية ..
وكذلك الهند .

الظواهري والسياسة المصرية :

وأما ناحية الظواهري الخاصة بالسياسة المصرية ، بصفته
شيخ الجامع الأزهر ، فانا نقرأ عن ذلك أنه كان يرى عن عقيدة
ثابتة أن الأوفق للأزهر أن يبتعد عن الأحزاب السياسية في
مصر وأن يبتعد أيضا هذه الأحزاب السياسية عن الأزهر .
فلقد ظهر له منذ قيام هذه الأحزاب في سنة ١٩٢٣ عقب حصول
مصر على الحكم النيابي ، أنها لم تهتم إلا بأسباب وصولها للحكم ،
لتنسغل لمصلحة أعضاء هذه الأحزاب الشخصية على حساب
المصلحة العامة . وأن كلا منها إنما أرادت جذب الأزهر إليها

لا لمصلحته ، ولكن لتستغل نفوذه ومكانته في الشعب المصري
لمصلحة تلك الأحزاب .

• • •

وفي عهد الظواهرى كان نظام الحكم ملكيا ، وكان الذى
يجلس على العرش حينئذ هو الملك فؤاد ، وكان هذا الملك يرغب
في تثبيت ملكه وتدعيمه بواسطة النهوض بالأزهر واصلاحه ..
فانتز الظواهرى هذه الفرصة وأتبع الأزهر فى قانون اصلاحه
إلى الملك . وهنا يجب التنويه إلى أن الظواهرى إنما أقدم على
هذا العمل عن عقيدة راسخة فى نفسه ، هى أن ذلك كان وقتئذ
أصلح للأزهر من تبعية للحكومة ، فقد أصبحت الحكومات فى
مصر حسب الدستور الذى كان قائما وليدة الأحزاب السياسية ،
التي كان يخشى منها الظواهرى على الأزهر .

وكانت النتيجة الحتمية لمهاجمة الظواهرى للأحزاب السياسية
على هذا النحو العملى ، أنه أثار جميع الأحزاب السياسية ضده
وخلق فيهم جميعا عدااء لشخصه ، وكان أبرز الأحزاب فى ذلك
حزب الاحرار الدستوريين ، فقد كان المراغى الذى خرج من
الأزهر وحل محله الظواهرى من أقطاب هذا الحزب .

• • •

عداء الانجليز للظواهرى مرة أخرى :

هنا يجب العود إلى ما كنا قد وقفنا عنده من شرح عدااء أهم
من عدااء الأحزاب السياسية للظواهرى ، وهو عدااء الانجليز له ،
فقد استجدت أثناء مشيخته للأزهر ، وبحكم هذه الوظيفة ، أسباب

زادت في نفورهم منه .. وفي يقينهم بأنه ليس من أنصارهم ...
ومن تلك الأسباب ما هو خطير للغاية من ناحية ضرره على
الاستعمار الانجليزي . . ذلك أن الملك فؤاد كان قد أوفد
الظواهرى للسيد إدريس السنوسى ، الذى أصبح الآن ملكا لليبيا
وكان يقطن وقتئذ بمصر ، يعرض عليه عرش ليبيا تحت الحماية
الاطالقية تمهيداً لاستقلاله فيما بعد .. تماماً كما حصل بعد ذلك تحت
الحماية البريطانية . . فلما علم الانجليز بذلك أسروها في نفوسهم
عداء آخر للظواهرى ، ضموه لما أسروه له من قبل في شأن السودان
في مؤتمر مكة عندما استصدر من المؤتمر قراراً بأن مصر والسودان
قطر واحد ، وفي شأن الخلافة بالقدس عندما حذر مفتى فلسطين
من أن يكون الغرض من مؤتمر القدس هو تنصيب خليفة للمسلمين
يكون لعبة في يد الانجليز ، وفي شأن رغبته في دعوته مؤتمر
إسلاميا يجمع الأمم الاسلامية لتناهض الاستعمار . . وقرنوا
كل ذلك بظاهرة ، مع صغر شأنها ، دلت على حقيقة شعور
الظواهرى ضدهم . . هى قيامه في أول عهده بمشيخة الأزهر
بالنصح اليهم في سياسة ولطف سياسيين بالإقلاع عن العادة
التي درجت دار المندوب السامى البريطانى في مصر عليها في
دعوتها لكبار علماء الأزهر لتناول الشاي في ليلة القدر ، وهى
الدعوة التي كان يشتمز منها العلماء وشيوخ الأزهر جميعاً .. ولكن
لم يجرأ أحد من قبل ، كالظواهرى ، على الاعتراض عليها .

الظواهرى يرفعه عضوية مجلس الوصاية :

وفي أواخر سنة ١٩٣٤ مرض الملك فؤاد مرضاً طويلاً ،

وأراد الانجليز أن يقيموا عليه مجلس وصاية أثناء مرضه طبقاً للنظام الانجليزى فى مثل هذه الحالة .. وهو يقضى بأن يتألف المجلس من ثلاثة: هم أقرب المقربين للملك، ورئيس الوزارة، ورئيس الدين. ولم يكن الملك فؤاد يرغب فى مثل هذا المجلس الذى ابتدعه الانجليز. لأن الدستور المصرى لا يقر مجلس الوصاية إلا فى حالة الملك القاصر وليس فى حالة الملك المريض .. بل له فى هذه الحالة تشكيل آخر. وكان الأمير محمد على معادياً وقتئذ للملك. وكان توفيق نسيم قد انقلب ضد الملك بعد أن كان صديقه وعينه الانجليز لهذا السبب رئيساً للوزارة. فقبل أولها رئاسة هذا المجلس، وقبل الثانى عضويته.. ولكن الظواهري رفض أن يكون عضواً فى مجلس وصاية يقيمه الانجليز قسراً على الملك فؤاد أثناء مرضه. وخصوصاً وأن ذلك يخالف الدستور المصرى ويخدش كرامة المصريين.

التفكير فى إخراج الظواهري من مسكنة الأزهر:

حينئذ أراد الانجليز ومعهم توفيق نسيم رئيس الحكومة إخراج الظواهري من الأزهر وإحلال المراغى مكانه .. ولكن الملك فؤاد رفض توقيع أى أمر ملكى بذلك،

هنا حلت فرصة الأحزاب السياسية وفرصة الانجليز للانتقام من الظواهري الذى أصر على التمسك بمبدئه .. فقد اتفق توفيق نسيم رئيس الحكومة مع حزب الأحرار ومعهم المراغى وحزب الوفد على إثارة الطلبة والعلماء ضد الظواهري .. الطلبة بحجة أن الظواهري فى إصلاحه للأزهر حدد عدد من يدخل منهم السكليات الجديدة وبذلك ستضيع على الطلبة الآخرين أعمارهم .. والعلماء

لأنه فصل منهم سبعين عالماً بحجة أنهم لا يصلحون لعهد الإصلاح الجديد .. وبذلك قد يفصل غيرهم .

بل أنهم في إثارتهم العلماء ، قلبوا الحقائق إلى ضدها تماماً في موضوع مرتبات المدرسين بالأزهر .. ونظراً لاهتمام الأزهريين بهذا الموضوع فإنه يحسن بنا الوقوف عنده بشيء من التفصيل .
ففي سنة ١٩٣١ كانت قد خلت بالقسم الابتدائي بالأزهر ثلاث وظائف لمدرسين به .. براتب قدره عشرة جنيهات في الشهر لكل واحد منهم . وكانت الحكومة ، نظراً للأزمة المالية الشديدة التي كانت قائمة وقتذاك ، قد منعت التعيين في الوظائف التي خلت أو تخلو في جميع الوزارات والمصالح .. بل منعت أيضاً الترقيات والعلاوات الدورية .
لكن الظواهري بحججه لإصلاحه الجديد للأزهر ، كان قد تمكن

من استثناء الأزهر من هذا المنع . ثم أثناء عرض موضوع تعيين هؤلاء المدرسين الثلاثة على مجلس الأزهر الأعلى ، حدث أن قال الشيخ عبد المجيد سليم عضو المجلس أنه رغبة في تفريغ أزمة العلماء الذين لا يجدون وظائف يتعيشون منها ، فإنه يقترح توزيع الثلاثين جنيهاً الشهرية المخصصة لهذه الوظائف الثلاث على عشرة مدرسين يعينهم المجلس بدلاً من توزيعها على ثلاثة فقط ، وبواقع ثلاثة جنيهات شهرياً لكل منهم ، وأن يكون ذلك بصفة مؤقتة لحين حلول موعد الميزانية القادمة بعد بضعة شهور حيث يزداد المرتب حينئذ إلى عشرة جنيهات شهرية .. وقال إن العلماء المتعطلين يؤيدون هذا الاقتراح .. وعندئذ وافق الظواهري رئيس المجلس ووافق جميع الأعضاء .

ولكن الأحزاب السياسية ، في رغبتها في إثارة العلماء كما قدمنا ، شوهت موافقة الظواهري على هذا الاقتراح الذي تقدم به الشيخ عبد المجيد سليم ، والذي كان يهدف في حدود الميزانية الضيقة وقتئذ إلى فتح بيوت أكبر عدد ممكن من العلماء . . . فمع أن هؤلاء العلماء العشرة كانت قد زيدت مرتباتهم فعلا بعد بضعة شهور إلى عشرة جنيهات لكل واحد منهم ، فقد قلبت الأحزاب عاطفة الظواهري هذه النبيلة إلى ضدها تماما ، فصورته للعلماء أنه كان يشح عليهم في المال ويقتز عليهم في الرزق ، وأنه إنما كان يقدر للعالم الأزهرى ثلاثة جنيهات في الشهر لا غير .

وللأسف كان لتضليل الأحزاب السياسية في هذه النقطة بالذات أثر فعال في نفوس الأزهريين ، ولا عجب فالمال من أهم مدعات الحياة . بل لم يقتصر ما قامت به الأحزاب السياسية من قلب الحقائق في شأن الظواهري على هذه الواقعة

فلقد حدث أن قامت بالمنصورة في سنة ١٩٣١ ، بأمر اسماعيل صدقي رئيس الوزارة وقتئذ ، معركة بين الجيش المصري وبين الاهالى بسبب اعتراض حزب الوفد المصري على دستور سنة ١٩٣٠ وتمسكه بدستور ١٩٢٣ . وقد قتل وجرح في تلك المعركة من الجانبين عدد كبير وكان الأمر خطيرا . حينئذ التمس اسماعيل صدقي رئيس الحكومة ، وكذلك الملك فؤاد ، نداء يصدر من شيخ الجامع الأزهر ، بصفته الرئيس الروحي ، يدعو الأمة للهدوء وتجنب إراقة الدماء وإزهاق الارواح . فبالرغم من عدم تعرض البيان إلى أى ترجيح لأحد الدستورين ، قلب حزب الوفد هذا المعنى الجليل

الذى قصده الظواهري في ندائه ، والذي كان من واجبه كرئيس لرجال الدين بمصر أن لا يرفض طلب الملك وطلب رئيس الحكومة في توجيهه ، إلى معنى آخر يتفق مع أغراضها الحزبية والسياسية .. هو أن الظواهري .. باصداره هذا النداء للهدوء ، إنما كان يدعو لاقرار دستور سنة ١٩٣٠ . ولعل من المفيد هنا أن نذكر أن ثورة مصر في سنة ١٩٥٢ قد أطاحت بكل من الدستوريين ، باعتبارهما غير صالحين

وأمام إثارة الاحزاب السياسية للأزهريين على هذا النحو ، قدم الظواهري استقالته للملك فؤاد .. ولكن الملك استنجد بوطانية الظواهري في البقاء بمنصبه .. حتى لا تتاح للانجليز فرصة تعيين المراغى بدله توطئة لإقامة مجلس وصاية عليه أثناء مرضه .

هنا جاءت فرصة الانجليز للتخلص من الظواهري ، بعد طول انتظارهم لها .. ففي ١٨ ابريل سنة ١٩٣٥ قابل السير مايلز لامبسون المندوب السامى البريطانى الملك فؤاد فى سرير مرضه ، وطلب منه رسمياً باسم الحكومة البريطانية إجابة توفيق نسيم رئيس الوزارة المصرية فيما طلبه وقيمت من طلبات .. وكان أحد هذه الطلبات تعيين الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخاً للجامع الأزهر .. وحينئذ رضى الملك فؤاد وقبل مرغاً استقالة الظواهري وعين المراغى بدله حسب رغبة الانجليز . وفيما يلي ما قالته جريدة الأهرام عن ذلك فى عدد ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٥ .

الرغبات البريطانية

«المقول أن الحكومة البريطانية قد أثارت من جديد ،
«الازمة التي بدأ بها المستر بيترسون في الخريف الماضي ،
«وتريد أن تصفى جميع المسائل التي حركتها في ذلك الوقت ،
«وتحقق جميع الرغبات وقد تحقق منها حتى الآن ، :

- « (١) إسقاط وزارة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا .
- « (٢) تقليد صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا الوزارة .
- « (٣) إبعاد صاحب السعادة زكى الابراشى باشا .
- « (٤) تعيين صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى ،
«شيخا للجامع الازهر

«وهذه آخر رغبة حققت فقد أعلن أن صاحب الفضيلة الشيخ ،
«الاحمدى الظواهري استقال وأن فضيلة الأستاذ المراغى عين ،
«مكانه وأن أولها سافر أمس إلى طنطا .

«وبقى من الرغبات البريطانية الآن رغبتان الأولى خاصة ،
«بالوصاية ، والثانية خاصة بصاحب السمو الملكى الأمير فاروق ،
«وضرورة تعليمه بالانجلترا ، ويقال إن الحكومة البريطانية تريد ،
«تسوية هاتين المسألتين .

«والمفهوم أن الدوائر البريطانية ترى أن صحة جلالة الملك ،
«أثمن من أن تعرض لاعباء الأعمال والاضطلاع بشئون الدولة ،
«وأنه لهذا يصح اتخاذ الإجراءات التى تكفل لجلالة الملك الراحة ،
«التامة والانقطاع للعناية بصحته الغالية وأن يتولى وصى أو أوصياء .

«أو نائب العمل عنه فان تقدم صحة جلالة الملك في الوقت الحاضر،
يجب أن لا يمنعه إرهابها بالعودة إلى العمل بما قد يؤدي لا قدر الله،
إلى نسكة ترتبك معها الحالة من جديد.»

«وتقول بعض المصادر المطلعة أن الدوائر السياسية اشتغل فعلا،
بتنظيم مسألة الوصاية والنيابة وأن هناك رأيا في أن ينص الدستور،
الذي تعلنه الوزارة على هذه المسألة وملاساتها ومحتملاتها أو أن،
يصدر بها قانون خاص لأن القانون الحالي غير واف.»

* * *

بعض عشرين عاما من استقالة الظواهرى

جاء في الشعر :

ومهما تسكن عند امرىء من خليفة

وأن خالها تخفى على الناس تعلم

وجاء في النثر :

«ومهما تبطن تظهره الأيام»

«التاريخ واقف بالمرصاد»

فن المصادقات العجيبة أنه بعد الانتهاء من صف حروف
هذه المقدمة وقبل طبعها، ظهر عدد ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٥ من مجلة
آخر ساعة، يحتوى، أيضا — وبعد عشرين عاما كاملة من استقالة
الظواهرى — على ما يثبت ويعلن، أن الانجليز هم الذين طالبوا

استقالة الظواهري من مشيخة الأزهر ليحل المراغي محله. وسنثبت
هنا هذا الخبر بتمامه أسوة بخبر الأهرام الذي أثبتناه قبل ذلك ،
وخبر مجلة آخر ساعة هو :

« في مثل هذا الأسبوع منذ ٢٠ عاماً ،

« في مثل هذا الأسبوع منذ عشرين عاماً كان الجو السياسي
« في القاهرة مكفهرأ ، فقد كانت البلاد تعيش بدون دستور ،
« وكان الانجليز وحدهم هم حكام مصر الحقيقية . .

بدون دبابات ؟

« في هذا الأسبوع أرغم الشيخ الظواهري ، شيخ الجامع
« الأزهر ، هو والابراشي باشا ناظر الخاصة الملكية ، على
« الاستقالة. وكان القصر يحميهم ، أرغما على الاستقالة على رغم
« أنف الملك فؤاد ، وتنفيذاً لرغبة الانجليز التي كانت هي أيضاً
« رغبة رئيس الوزراء توفيق نسيم باشا صديقهم الحميم . . فقد
« حدث أن اتصلت دار المندوب السامي بالتليفون مع القصر الملكي
« وقالت : إن صاحب الفخامة السير مايلز لامبسون يكون سعيداً
« إذا تفضل جلالة الملك باستقباله الساعة الرابعة بعد الظهر لأن
« فخامته يرغب في أن يبلغ جلالة الملك رسالة هامة .

« وكانت هذه هي أول مرة يلتبس فيها المندوب السامي مقابلة
« ويحدد هو مواعدها ، لأن العرف جرى على أن يترك فخامته
« لرجال السراي المختصين تحديد الموعد .

« وتشرف نخامة المندوب بالمقابلة المملكية ، في الوقت الذي
« حدده ، ثم قال ماخواه : أن الحكومة البريطانية يسرها أن تعرف
« رأى جلالة ملك مصر في المطالب الأخيرة للوزارة قبل حلول
« ظهر اليوم التالي .

« فتفضل صاحب الجلالة وأبلغ المندوب أنه لا داعي للانتظار
« إلى اليوم التالي وأنه موافق على هذه المطالب . . وكانت
« مطالب الوزارة هي تنحي الإبراشي باشا والشيخ الظواهري
« عن منصبيهما !!

سبب صرافة الانجليز المهر اغنى :

و يجب هنا التساؤل عن سبب تدخل الانجليز ، غير محجبين ،
في تعيين المراغى شيخا للازهر . والجواب أنهم كانوا ينظرون اليه
مذ كان موظفا بالسودان على أنه مخلص لهم . وكان أساس هذه
النظرة أنه بصفته رئيس القضاة الشرعيين بالسودان في أثناء الحرب
العالمية الأولى ، أنه يجوز للمسلم محاربة أخيه في الدين ، فقد كانت هذه
الفتوى سبباً في انتهاء معارضة القوات السودانية المسلمة وكذلك
القوات الهندية المسلمة في الاشتراك مع انجلترا في الحرب ضد تركيا .
التي كانت وقتئذ مقر الخلافة الإسلامية . وقد بلغ تقدير الانجليز
لقيمة هذه المساعدة لهم من المراغى أنهم نوهوا بها وباسمها في «سفر
الولاء للأباطورية» وهو الكتاب الذي أصدرته الحكومة
البريطانية عقب تلك الحرب .

اصلاح الأزهر بين الظواهري والمراغى :

وبعد تولى المراغى مشيخة الأزهر على هذه الصورة حدث أمر يستألفت النظر فى تاريخ الأزهر ، فقد ألغى المراغى القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وكذلك القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٣٣ وهما قانونا الظواهري لإصلاح الأزهر ، واستبدلها بالقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ .

ولكن للعجب انه فيما يختص باصلاح الأزهر من قانونى الظواهري لم يغير المراغى فى قانونه الجديد إلا ثلاثة أسماء هى معهد القاهرة بدلا من المعهد الأزهرى ، وجماعة كبار العلماء بدلا من هيئة كبار العلماء ، ومجلة الأزهر بدلا من نور الإسلام . أما جوهر الاصلاح فقد أبقاه على حاله .. مع تغيير فى أرقام المواد وترتيبها ، ... ولكنه غير تبعية الأزهر للملك ، فجعل فيه الأزهر تابعا للحكومة ، وبالتالى تابعا للأحزاب السياسية .. وكان هذا هو شرط الانجليز والأحزاب السياسية لعودة المراغى لمشيخة الأزهر .

وهنا يجب أن يلاحظ أنه بعد وفاة الملك فؤاد ، وعند ما أثار حزب الوفد السياسى الطلبة والعلماء ضد المراغى .. تماما كما حصل مع الظواهري .. غير المراغى رأيه من ناحية اتباع الأزهر للحكومة ، فارتقى فى أحضان الملك فاروق لىكى يحميه من رئيس الحكومة ورئيس حزب الوفد السياسى وقتئذ مصطفى النحاس .. وقدبقى المراغى من أجل ذلك عشرة شهور فى منزله بخلوان لا يذهب للأزهر .. خشية من الطلبة .. وبقي كذلك إلى أن استقالت وزارة النحاس

مرتبات شيخ الأزهر :

وقبل أن ننتهي من الحديث عن الظواهرى ، يجب أن نتعرض لموضوع المرتبات التى كان يصح أن يتقاضاها بصفته شيخ الأزهر ، فقد زهد الظواهرى فى جميع المرتبات الإضافية الخاصة بهذه الوظيفة وتنازل عنها ، كما زهد أيضا فى المبالغ الطائلة التى يتقاضاها عادة شيوخ الأزهر من وزارة الأوقاف ، ولعل السبب فى هذا الزهد أنه قد ورث عن أبيه وجده ما يكفيه والحمد لله من مال .

ولكى نبين هذه الناحية من نواحى الظواهرى يحسن أن نستعرض ما كان يتقاضاه شيوخ الأزهر الآخرون من تلك الأموال والمرتبات ، ولأخذ زميله المراغى مثلا فى ذلك .

فالمراغى كان يتقاضى فى العام الواحد ألفى جنيه ، هى ماهية شيخ الأزهر من وزارة المالية ، وأربعمائة وثمانين جنيها هى مرتب رئيس هيئة كبار العلماء ، ومائة وأربعة وأربعين جنيها هى مرتب شيخ المذهب الحنفى ، وخمسة آلاف جنيه هى ٥ ٪ من إيراد الأوقاف الأزهرية باعتبارها ناضرا عليها . وبمجموع ذلك كله حوالى السبعة آلاف جنيه فى العام . ولعل من طريف ما يذكر للتاريخ الحديث فى شأن مرتبات شيوخ الأزهر ، أن المراغى قد استن لها سنة جديدة ، هى أنه اقترح أن تعتبر وظيفة شيخ الجامع الأزهر ، التى كان يشغلها ، وظيفه غير حكومية ، وبذلك يصح له الحصول أيضا على معاشه الذى كان يتقاضاه قبل المشيخة وقدره ألف وثمانون جنيها تضاف إلى السبعة آلاف جنيه السابقة الذكر .

وقد أجاهه الملك فاروق إلى طلبه .

أما الظواهري فقد زهد في جميع هذا المال وقنع بماهية
وظيفة شيخ الجامع الأزهر وحدها دون أى مرتبات إضافية
أخرى - فقد تنازل رسمياً أثناء توليه منصب المشيخة عن مرتب
رئيس هيئة كبار العلماء ، كما تنازل عن مرتب شيخ السادة الشافعية .
وهو لم يقبض من وزارة الأوقاف نظير نظارته على أوقاف
الأزهر إلا مصاريف سيارته . وهى أربعون جنيهاً في الشهر .. فانه
لم تكن لشيخ الأزهر وقتئذ سيارة حكومية .

بل لقد انتقل زهد الظواهري هذا في المال إلى أرملته بعد
وفاته ، فلقد كان كل ما ورثته من معاشه اثني عشر جنيهاً شهرياً
لا غير هى مقدار الثمن من معاشه طبقاً لقانون معاشات الأزهر
القديم . وكان فى وسعها أن تطالب بمساواتها بأرملة المراغى ، حيث
أمر الملك فاروق أن تدبر لها الحكومة معاشاً استثنائياً قدره ألف
جنيه في العام .. ولكن أرملة الظواهري لم تشأ تلك المساواة .

الضمير الدينى عند الظواهري :

وفى ختام حديثي عن الأحمدي الظواهري لابد أن أشير إلى
ضميره الدينى ، وأنه فى سبيل إرضاء ضميره وإرضاء ربه ، لم يكن
يخشى أحداً من البشر ، ملكاً كان أو غير ملك ، ولم يكن يتناقض
بدينه أبداً . وسنضرب لذلك خمسة أمثلة بارزة : أولها أن الملك
فؤاد كان قد رغب إلى العلماء الأعضاء بمجلس البلاط أن يفتوا
بأن أية ذرية قد تولد للأمير سيف الدين ، الذى تزوج وهو
مجنون ، لا ترثه فى ثروته الواسعة التى كان يسيطر عليها وقتئذ
الملك فؤاد ، فأفتى الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية وقتئذ

لعمري

بذلك ، بحجة أن المذهب الحنفي يبيحه ، ولكن الظواهري رفض هذه الفتوى ، مفضلاً رضا الله على رضا الملك . وثانيها أن الظواهري لم يعبأ بغضب رجال الطرق الصوفية عند ما رماهم بالمروق عن طريق الإسلام فيما يمارسونه من عقائد وخرافات ، وما طلبه إصلاحاً لذلك أن يكون رؤساء الطرق الصوفية من علماء الأزهر . وثالثها أنه كتب لوزيو العدل وهو شيخ معهد أسيوط يرفض دعوته له لحضور حفلة افتتاح محكمة استئناف أسيوط الأهلية لأن القانون الأهلي يبيح الزنا والربا والخمر . ورابعها أنه رغم تقديره لموهبة طه حسين كان أول معترض على ما جاء بكتابه في الشعر الجاهلي من عبارات رأى الظواهري أنها تشكك في صحة ما جاء بالتوراة والقرآن عن وجود إبراهيم وإسماعيل .

أما ما أَرْضَى الظواهري به ضميره وربه في معارضته للمراغي في ترجمة القرآن للغة الانجليزية ترجمة رسمية تصدر عن الأزهر ، وما أعلنه الظواهري من خشيته أن ذلك قد يدعو إلى تحريف كلام الله المنزل ، واقتراحه أن يستعاض عن ذلك بترجمة أحكام الإسلام وتعاليمه من غير اقحام للأزهر في ترجمة رسمية للقرآن ، فهو خير ما أنهى به هذه الكلمة المختصرة عن أعمال الظواهري .

موقف المراغي وموقف النقراشي من كتاب السياسة

والأزهر :

وثمة نقطة طريفة تستحق التسجيل التاريخي ويحسن إثباتها هنا . ففي شهر يونيو سنة ١٩٤٥ استدعاني النقراشي ، رئيس الوزارة المصرية وقتئذ ، وأخبرني أن المراغي ، وكان لا يزال شيخ

الجامع الأزهر ، كتب اليه يخبره بظهور كتاب اسمه السياسة والأزهر ، يذيع أن إنجلترا هي التي عينت المراغي شيخاً للأزهر ويستغرب كيف ظهر هذا الكتاب الذي يعرض بالدولة الخليفة إنجلترا في عهد الرقابة على الكتب التي كانت قائمة وقتئذ بسبب الحرب العالمية الثانية .

وسألني النقراشي هل حوت حقيقة مذكرات الظواهري أن الانجليز هم الذين عينوا المراغي شيخاً للأزهر ؟ فأجبت بالإيجاب ، وبأن هذه الحقيقة التي آلمت المراغي ودعته للاحتجاج على كتاب السياسة والأزهر الذي كشف عنها ، لم ترد فيه وحده بل وردت أيضاً على صفحات الجرائد السيارة ، وأطلعت على عدد جريدة الأهرام الصادر في ٢٨ / ٤ / ١٩٣٥ وما نشر فيه تحت عنوان الرغبات البريطانية وهو الذي سبق اثبتناه . فقال النقراشي « وفيما إذا احتجاج المراغي !! »

الرأى خطاب المفردة المظواهري

وأنا ابن الظواهري ، وقد تسبق بذلك محاسنه إلى عيني قبل أخطائه ، فما من شخص يخلو من خطأ ، ولكنني أشهد أني جاهدت ألا أنظر إليه فيما سردته هنا من بعض أعماله ألا كما يصح أن ينظر إليه أمثالي ممن لم يتلقوا التعليم بالأزهر ، ومن لا تجذبهم من قيم الرجال ألا ناحية أثرهم العام في النهوض بالامة جميعاً ، وناحية الفكرة التقدمية أو الاصلاحية في ذاتها ، والسبق فيها والتضحية من أجلها ، ومن ينهجون منهج الكتاب الاوربيين

في سرد الوقائع التاريخية مقرونة علانية بأسماء أصحابها دون الاكتفاء بالتلميح كما يحصل عادة في بلاد الشرق . . لتكون لسكتاباتهم قوتها ، ولتتاح لمن يريد من الناس فرصة الرد عليها ، وليكون للتاريخ بذلك حقيقته وحجته وموعظته .

وتمشيا مع هذا المبدأ الأوروبي الحديث في النقد الصريح ، وهو المبدأ الذي تلقنته منذ دراستي الطب أيام شبابي بجامعة إنجلترا ، عرضت على نفر من توسمت أنهم أعرف مني بأخطاء الظواهري أن يرسلوا إليّ بنقدهم فأشره لهم هنا أيضا في هذه المقدمة تمحيصا وانصافا مني ومنهم للتاريخ . ولكن لم يصلني شيء من ذلك إلا من واحد فقط هو الشيخ عبد المتعال الصعيدي الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر وسأكتب كلبته هنا بنصها وسأعلق عليها باختصار من واقع مذكرات الظواهري . والرسالة هي :

« طلب مني الأخ الدكتور نجر الدين الظواهري أن أذكر له رأيي في حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهري والده وأستاذي في شأن ما قام به من إصلاح في الأزهر والمعاهد الدينية أثناء توليه مراكز رئيسية فيها إلى أن وصل إلى منصب شيخ الأزهر فأقول : إن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى للظواهري لم يدخل في الأزهر الإصلاح الذي نادى به جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وهو إصلاح ديني يقضى على كل أسباب الجود الديني والعلمى في الأزهر والمعاهد الدينية وأهمها الكتب

الأزهرية القديمة فقد بقيت في عهده كما كانت قبله ولا تزال
باقية إلى اليوم بجانب ما أدخله في الأزهر من علوم حديثة
تخرج علماء مضطربين بين القديم والحديث بحكم هذه الدراسة
المتناقضة التي يدرس فيها كفر الفلاسفة في كتب التوحيد
القديمة فإذا تركوها إلى المكتب التي يدرسون فيها تاريخ الفلسفة
وهي كتب حديثة درسوا فيها ما يناقض ما درسوه في كتب
التوحيد القديمة وهذا مثال من كثير من الأمثال التي تجعل من
الأزهريين رجالا غير صالحين لمجتمعهم الحاضر لأنه منقسم إلى
قديم وحديث وهم ليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء بل هم مضطربون
بين الفريقين ولهذا نجدهم الآن لا يرضى عنهم الفريقان ولا شك
أن بقاء هذه المكتب مناقض لرأيه في كتابه العلم والعلماء ولم يحمله
على هذا إلا إثاره إرضاء الأزهريين وكان خيرا له أن يرضى رأيه
في كتابه فيقضى على تلك المكتب ولو أغضب في ذلك الأزهريين ،
وهذا ما أخذته عليه في كتابي — تاريخ الإصلاح في الأزهر —
وهو أهم ما أخذته عليه فيه وغير هذا فقد كان له أثر محمود في
الأزهر يذكره كثير من الأزهريين ؟ عبد المتعال الصعيدي ،
أما التعليق المختصر على هذه الرسالة فهو أن الظواهرى أثناء
مشيخته للأزهر كان قد ألف فعلا لجانا من العلماء مؤلف
كتبا جديدة في التوحيد وغيره من العلوم تعالج فيها ما لم
يعالجه السلف الصالح من الأمور إلى استجدت في العصر الحالى ،
فلسفية كانت أو واقعية ، ولكنه اصطدم بأن تأليف مثل هذه
المكتب يتطلب حتما مؤلفين من نوع جديد لا يتعصبون للقديم

كأساتذة الأزهر الحاليين ولا ينطلقون بدون ترو مع الجديد كما يطلب الأستاذ عبد المتعال . وبذلك فالاضطراب الفكرى الحالى بين القديم والجديد الذى أشار إليه سيادته هو الخطوة الأولى الطبيعية نحو الاستقرار الذى قد يطول وقت بلوغه إلى أضعاف أضعاف الخمس سنوات التى مضىها الظواهري شيخنا للأزهر .

وسنسوق دليلا محسوسا على صعوبة قيام علماء الأزهر فى العصر الحاضر بتأليف كتب جديدة بأفكار جديدة هو عجز اللجنة التى كانت قد تألفت برئاسة الشيخ عبد المجيد سليم عند ما كان مقيما للديار المصرية عن وضع صيغة لمعانى سورة الفاتحة توطئة لترجمة ذلك المعنى للغات الأجنبية .

بذلك يتضح أن الظواهري لم يتراجع أبداً كما ظن الشيخ عبد المتعال فى شأن ما كان قد أورده فى كتابه « العلم والعلماء » من وجوب تأليف كتب حديثة ترد على الشبه الجديدة وتحسن عرض الأفكار القديمة ذات القيمة العالية فى عبارات سهلة جامعة ، دون ما حاجة إلى التعقيد الكتابى والمعنوى والحواشى وحواشى الحواشى التى أثقلت بها الكتب القديمة .

كما يتضح أيضا أن الظواهري لم يرغب أبداً فى إرضاء الأزهريين على حساب التأليف الحديث كما ذهب الشيخ عبد المتعال سواء فى رسالته التى أثبت بها له أو فى كتابه الذى أشار إليه حيث نسب فى هذا الكتاب نفس هذه التهمة ليس للظواهري فحسب بل للراغى من بعده . وأحسب أنه فى اندفاعه الثائر على الأفكار

والكتب القديمة ، مع أنها لا تخلو من درر غاليات كما قال الظواهري
 في كتابه د العلم والعلماء ، ثم في رغبته الثائرة أيضا في الدعوة
 للتأليف الحديث وفي فتح باب الاجتهاد ، قد سمي روية وحكمة
 هذين المصلحين ، خشية فيهما وإرضاء منهما لرجال الأزهر الجامدين
 في العلم والدين كما وصفهم الشيخ عبد المتعال . وأنا أتقاضى عن
 هذا الوصف ، فما أظن أن الظواهري الحديث بجامد في العلم والدين
 إلى هذا الحد .. ومع هذا فلم يكن الظواهري على الخصوص لينحس
 الأزهريين أو غيرهم أبدا على حساب العلم أو التعليم ، وحسبه في ذلك
 أنه فصل سبعين مدرسا رأى أنهم لا يصلحون للتعليم بالأزهر .

* * *

وفي صدد الكلام عن الأخطاء المعزوة للظواهري يحسن
 أن أشير هنا إلى حديث جرى أخيراً في ذلك الموضوع بيني وبين
 الشيخ أحمد حسن الباقوري الذي كان طالبا ورئيس اتحاد طلبة
 الأزهر في عهد مشيخة الظواهري ثم أصبح بعد ذلك بعشرين عاماً
 وزيرا للأوقاف في وزارة الثورة المصرية التي ما قامت في الواقع إلا
 لتصحيح الأوضاع وإحقاق الحق . فقد صرح لي سيادته تصريحاً
 مناقضاً تماماً لتصريح الشيخ عبد المتعال الصعيدي هو أن الأزهريين
 لم يفضبوا من الظواهري لأنه أراد الاجتهاد بل لأنه شح عليهم في
 المال وضرب لذلك مثلاً أنه قد تجرأ في شجاعة وحزم لم يسبقه
 اليهما أحد من شيوخ الأزهر على فصل سبعين مدرسا كانوا
 يتعيشون من ميزانية الأزهر ، وقال أن الظواهري بذلك لم

يكن المثل الأعلى في الرغبة في فتح بيوت علماء الأزهر بدل قفلها .
وقد عجبت أن قيم شيوخ الأزهر عند بعض الأزهريين لا تزال
تتبع مقدار ما يقدمونه لهم من وظائف أو مرتبات أو جريات
بصرف النظر عن جوهر الإصلاح العلي أو تقويم رسالة الأزهر ،
ومع ذلك فقد أفهمته أن الظواهري من قديم لم يقصر أبداً في
السعي لجلب المال من الحكومة للأزهر ، وحسبه في ذلك أنه ورط
السلطان فؤاد لزيادة مرتبات العلماء كما شرحنا ، وأنه عند ما كان
شيخ الجامع الأحمدى قد تنازل عن الزيادة في مرتبه لكي تضاف
لمرتبات العلماء . ثم بينت للشيخ البافورى ما جاء في مذكرات
الظواهري عن هؤلاء السبعين مدرسا الذين فصلهم ، وهو أن هؤلاء
كانوا أحد فئات ثلاث : الفئة الأولى مدرسون طاعنون في السن على
وشك بلوغ السبعين من أعمارهم واشتهروا بالخنول وبالأضعف العلى
وبالجمود ، وهى الصفات التى نعاها الشيخ عبد المتعال الصعيدى
— وبذلك فلا يمكن أن تعود منهم على الأزهر في عهد الإصلاح
الجديد أية فائدة علمية . . وعدد هذه الفئة ستون مدرسا من
السبعين المفصولين .

والفئة الثانية رجال اشتهروا بالانحراف عن الأخلاق الدينية
الواجبة لعلماء الأزهر .. وقد أثبتت ذلك التحقيقات التى أجريت
معه . . وعدد هذه الفئة أربعة .

والفئة الثالثة علماء تركوا الاشتغال بالعلم والتعليم إلى
الاشتغال بالسياسة . وسمحوا للأحزاب السياسية أن تستغلهم

في تحريض الطلبة على الشغب والإضراب عن تلقى الدروس ..
لا لمصلحة الأزهر بل لمصلحة هذه الأحزاب ولمصلحة المراغى ..
وعدد هذه الفئة ستة .. كان يمنيهم جميعاً المراغى بتولى المناصب
العليا بالأزهر إذا عاد هو لمشيخة الأزهر وقد بر فعلاً بوعده !
وكان الظواهري قد لاحظ أن عدداً كبيراً من العلماء
الأزهريين الشبان الحاصلين على شهادات التخصص في مختلف
العلوم الأزهرية لا يجد عملاً يعمل به ويتعيش منه، وذلك في حين أن
الجامعة الأزهرية الحديثة التي أنشأها كانت في حاجة ماسة إلى هؤلاء
العلماء الصالحين لكي ينهضوا بها معه. وكانت الأزمة المالية الشديدة
القائمة وقتئذ قد منعت من تعيين هؤلاء الصالحين مع الإبقاء في الوقت
نفسه على هؤلاء السبعين غير الصالحين، فاضطر الظواهري أن يخلى
أمكنة هؤلاء غير الصالحين ليحل محلهم الصالحون، ولكنه لم ينس
أن يصدق على هؤلاء المفصولين مكافآت ومعاشات سخية، وهو بذلك
لم يقلل بيوتهم كما ظن الشيخ الباقرى، بل هو في الحقيقة فتح سبعين
بيتاً جديداً، هي بيوت العلماء الأكفاء الجدد ... وهو بذلك أيضاً
يكون قد التزم المثل العليا في الشفقة والرأفة ولم يخرج عليها .

كذلك قلت للشيخ الباقرى أنه ربما لا يعلم أن المراغى في عهد
مشيخته الأولى للأزهر كان قد قرر فصل مائتين من علماء الأزهر
بقصد تطهير هيئة التدريس به ولكنه استقال من منصبه قبل
تنفيذ قراره فلما خلفه الظواهري اختزل مائتى المراغى إلى هؤلاء
السبعين .. وقلت أن هذا دليل على رأفة الظواهري .. كما لفت نظره

إلى أن فكرة الظواهري والمراغى فى تطهير الأزهر قد اتفقت مع فكرة الثورة بعد ذلك بعشرين عاماً حيث طهرت وزارتها، التى هو أحد أعضائها، الأداة الحكومية جميعاً بما فيها تطهير الأزهر ذاته مرة ثانية غير مرة الظواهري .

حينئذ قال الشيخ الباقورى أن طلبة الأزهر واتحاد طلبته، فى براءة الشباب واندفاعه وسهولة التأثير عليه، لم يكونوا يعرفون ما يجرى وراء الجدر من هذا الذى اطلعت عليه من دسائس الأحزاب السياسية واتفاقهم مع الإنجليز، حسب ما جاء فى جريدة الأهرام ومجلة آخر ساعة لإخراج الظواهري ولإرغامه على الاستقالة وإحلال المراغى مكانه، وقال أنه يكفى هذا وحده دليلاً على توفيق رجال الثورة المصرية فى الغاء تلك الأحزاب والقضاء على فسادها .

بعد ذلك أنهى الشيخ الباقورى وزير الأوقاف تصريحه بقوله: **« لقد صرنا بحال غير الكناصريين لجذاء على عمه »** والآن وقد تقدم بنا العمر عن سن الشباب وبرأته أيام كنا نطلب العلم بالأزهر وأيام كنا نطالب بعودة الشيخ المراغى للمشيخة، ثم بعد أن تسكشفت لنا الآن الوقائع على حقيقتها عرفنا أن المراغى لم يكن هو الآخر ذلك المثل الأعلى الذى كنا نظنه بل كان مغرراً بنا فى ذلك . فقلت : أتعنى استعانتهم بالإنجليز المستعمرين فى عودته لمشيخة الأزهر ، فقال : نعم

ومادنا نكتب للتاريخ، ولما كان قد اتضح من تصريح الشيخ أحمد حسن الباقوري، وكذلك من رسالة الشيخ عبد المتعال الصعدي، أن هناك من كان قد خفيت عليه الظروف السياسية الشاذة التي كانت محيطة بعهدى الظواهري والمراغى في مشيخة الأزهر، والتي ميزت الشعب الأزهرى في عهديهما عنه في باقي العهود، ولما كانت هذه الظروف السياسية بذاتها تملأ صفحة مهمة من صفحات تاريخ مصر الحديث ويحب أن تكون واضحة تماماً، ليس لنا فحسب، بل وللأجيال والعصور القادمة، فإنه يحسن أن نجمع هنا في فقرة واحدة، وبعبارة مختصرة، وفي صراحة وقوة التاريخ، وبدون رغبة في المالة أو في خدش أحد من الأحياء أو الأموات، ما سبق أن ذكرناه متنازلاً بين صفحات هذه الكلمة وأيضاً في كتاب السياسة والأزهر، عن هذه الظروف السياسية الشاذة.

وختصر هذه الظروف والملابسات هو :

في حالة الظواهري :

عداء الإنجليز له من قديم بسبب تصديده وحده وفي جرة للدفاع عن مصلحة الأزهر ومصلحة العالم الإسلامى فيما تناقض مع مصلحة الإنجليز الاستعمارية.

وقد بدأ هذا العداء منذ الحرب العالمية الأولى عندما كان الظواهري شيخاً للجامع الأحمدى بطنطا، ثم استمر إلى أن استقال بسببه من مشيخة الأزهر في سنة ١٩٣٥.

ففى تلك الحرب كانت إنجلترا معادية لتركيا، وكان عباس حلمي

الثاني خديوى مصر وقتئذ قد انضم إلى تركيا فعزلته إنجلترا وعينت بدله عمه حسين كامل وسمته سلطانا وكان هذا السلطان لذلك مكروها من المصريين .

ففى وليمة رسمية فى رمضان بقصر عابدين، حضرها الظواهري بصفته شيخ الجامع الاحمدى ، هاجم السلطان حسين تركيا انتصاراً للإنجليز ، فتمبه الظواهري إلى أن تركيا مقر الخلافة الإسلامية ، كما كانت وقتئذ ، وأن مهاجمته لها انتصاراً منه للإنجليز يغضب المسلمين جميعاً . فغضب السلطان وغضب الإنجليز وكاد الظواهري يفصل من وظيفته ، لولا الحشية من غضب المسلمين إذا ما عرفوا السبب . وفى أثناء مشيخة الظواهري لمعهد أسيوط ، وكان قد نقل إليها من طنطا مفضوبا عليه ، اعترض على مارغبه الانجليز وقتئذ من ضم الأزهر لوزارة المعارف ليكون بذلك تحت سيطرتهم ففشل هذا المشروع بناء على اعتراضه

ثم فى مؤتمر مكة وفى نفس العام ، حيث كان الظواهري رئيس وفد مصر الرسمى به ، اعترض على أن للسودان وفداً غير وفد مصر واستصدر من المؤتمر قراراً بأن مصر والسودان قطر واحد فأغضب ذلك الانجليز كثيراً لأنهم كانوا يهدفون لضم السودان للإمبراطورية البريطانية .

وعقب تولى الظواهري مشيخة الأزهر اقترح عقد مؤتمر اسلامى عالمى يجمع كبة المسلمين فأغضب ذلك أيضاً الانجليز لأن جمع كبة المسلمين تتعارض مع رغبات بريطانيا الاستعمارية وأوقفوا اقتراحه .

وفي مؤتمر القدس وكان أثناء تولية الظواهري مشيخة الأزهر، أرسل للجاح أمين الحسيني يحذره من تنصيب خليفة للمسلمين يكون مقره القدس ويكون بذلك لعبة في يد الإنجليز . . فزاد ذلك في غضب الإنجليز من الظواهري .

وفي موضوع عرش ليبيا كان الظواهري رسول الملك فؤاد للسيد إدريس السنوسي ليعرض عليه ملك ليبيا تحت الحماية الإيطالية تمهيداً لاستقلاله ، فأغضب ذلك الإنجليز كثيراً من الظواهري لأنهم كانوا يريدون هذا العرش تحت الحماية البريطانية ، كما حصل فعلاً بعد ذلك .

السبب المباشر لاستقالة الظواهري

فلما مرض الملك فؤاد في سنة ١٩٣٥ أراد الإنجليز إقامة مجلس وصاية عليه أثناء مرضه وعلى نسق النظام الإنجليزي ، فلقد كان الدستور المصري لا يسمح الوصاية إلا على الملك القاصر وليس على الملك المريض . ويحتم هذا النظام الإنجليزي أن يكون كل من رئيس الوزارة ورئيس الدين عضواً بهذا المجلس . فرفض الظواهري عضوية هذا المجلس غير الدستوري الذي ما ابتدعه الإنجليز ألا لتكون السلطة كاملة بأيديهم . فقرر الإنجليز إبعاد الظواهري عن رئاسة الدين وإحلال المراغي شيخاً للأزهر مكانه إذ أن المراغي كان قد وافق على هذه العضوية إذا ما عاد لمشيخة الأزهر — فاتفق الإنجليز مع المراغي ومع توفيق نسيم المعادي وقتئذ للملك فؤاد بعد أن كان صديقه والذي كان الإنجليز قد عينوه خصيصاً وقتئذ رئيساً للوزراء ليكون عضواً

بمجلس الوصاية المذكور ، ومع مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد المصادق وقتئذ لتوفيق نسيم بقصد التنكيل بالملك فؤاد — اتفق الانجليز — محتفين في بادىء الأمر كهاتهم ثم اضطروا للظهور سافرين بعد ذلك — على أن يشير هؤلاء الثلاثة المصريون الأزهر ضد الظواهري بقصد إرغامه على الاستقالة . فانهز هؤلاء فرصة أن الظواهري كان قد حدد عدد الطلبة الذين يدخلون المكليات الأزهرية التي أنشأها ، حرصاً منه على مستقبلهم بعد التخرج إذ لم يكن هناك وقتئذ وظائف كافية لهم ، وكذلك أنه كان قد أحال للمعاش سبعة من مدرسا مسنين كانوا غير صالحين للتدريس في الأزهر الجديد وأراد أن يحل محلهم آخرون صالحون ، فاستغلوا غضب هؤلاء وهؤلاء وغرروا بالأزهريين ونجحوا في إثارتهم ضد الظواهري كما نجحوا أيضاً في إخفاء هذه الأسباب السياسية عنهم . وقد طال شغب الطلبة وقتئذ واستقال الظواهري مراراً بسببه . ولكن الملك فؤاد كان يستنجد دائماً بوطنيته ألا يستقيل ، لكي لا يمكن الانجليز من تعيين المرافق بدله توطئة لإقامة مجلس الوصاية الذي يرغبونه .

فلما بان فشل هذا الشغب الأزهرى ظهر الانجليز سافرين في الميدان بعد أن كانوا محتبئين وراء هؤلاء الثلاثة المصريين ، فطلب السير مايلز لامبسون المنسذوب السامى البريطانى وقتئذ باسم حكومة بريطانيا من الملك فؤاد المريض تعيين المرافق شيخاً للأزهر بدل الظواهري . وكان الطلب في صيغة إنذار يجب تنفيذه في اليوم التالى على الأكثر ، فصعد الملك فؤاد رغماً عنه لا مرهم .

وكانت هذه ثاني مرة في التاريخ يتدخل فيها الانجليز المستعمرون في تعيين شيخ الجامع الأزهر . وكانت المرة الأولى في سنة ١٩٢٨ ، ومن أجل رغبتهم في تعيين المراغي نفسه شيخاً للأزهر في مشيخته الأولى ، حيث أرغموا وفتنوا الملك فؤاد نفسه أيضاً على تعيينه فيها .

وبعد عودة المراغي لمشيخة الأزهر على هذا النحو لعب القدر دوراً مفاجئاً فقد تحسنت صحة الملك فؤاد فجأة وعلى غير انتظار ، فعدل الانجليز عن إقامة مجلس وصاية عليه ... ولكنهم أبقوا على المراغي شيخاً للأزهر .
وفي حالة المراغي :

بعد أن عينه الإنجليز شيخاً للأزهر على هذا الوجه ، وبعد حماية الانجليز له من بطش الملك فؤاد لأكثر من عام ، توفي الملك فؤاد ثم استمرت مساندة الانجليز له أثناء مجلس الوصاية على الملك القاصر فاروق .

فلما تولى فاروق الحكم رأى المراغي أن الأسلم له أن يرتقى في أحضان ذلك الملك خصوصاً وأنه كان لا يزال صغير السن وتسهل قيادته .

وكان فاروق في سبيل الانفراد بالنفوذ وبالمنفعة الشخصية قد ورث عن والده عداوة لمصطفى النحاس رئيس حزب الوفد ، وكان متحمساً في عداوته ومتخذة تسليمة له نظراً لصغر سنه ولضعف في خلقه . فانضم المراغي لفاروق في هذه المعاداة . فقد مصطفى النحاس مسلك المراغي هذا غدرآ به ، إذ أن له فضلاً قديماً على

المراغى هو أنه في سنة ١٩٢٨ عند ما كان رئيساً للحكومة لم يعارض
 الإنجليز في رغبتهم في تعيينه شيخاً للأزهر رغم عدم رغبة الملك
 فؤاد في تعيينه ، ثم أنه في سنة ١٩٣٥ ساعد أيضاً حكومة توفيق
 نسيم في إثارة الأزهر ضد الظواهرى توطئة لعودته (أى المراغى)
 لمشيخة الأزهر وهو لم يشأ أن يعارض الإنجليز وقتئذ في ذلك أيضاً.
 فلما عاد مصطفى النحاس رئيساً للوزارة في سنة ١٩٤٢ على
 الدبابات الإنجليزية رغم أنف الملك فاروق طلب من المراغى
 أن يستقيل من مشيخة الأزهر فرفض المراغى الاستقالة محتجاً
 بفاروق . حينئذ عمدت حكومة مصطفى النحاس إلى إثارة طلبه
 الأزهر ضد المراغى تماماً كما عمدت حكومة توفيق نسيم لاثارتهم ضد
 الظواهرى من قبل . ولكن في مرة المراغى طالت ثورة الطلبة نحو السنة
 والنصف بدون أن يقدم المراغى استقالته فأمر مصطفى النحاس
 بتشديد الشغب . فاستقال المراغى .. ولكن الملك فاروق رفض
 امضاء المرسوم الملكى بقبول الاستقالة .. فلزم المراغى منزله بحلول
 فراراً من الطلبة وبقي به عشرة شهور لا يذهب للأزهر بحجة أنه
 يعتبر نفسه مستقلاً فلا حظ نافذوه أن هذا لا يتفق مع استمراره
 في استيلائه فعلا على المرتبات المخصصة لوظيفة شيخ الأزهر وكان
 قدرها حوالى السبعة آلاف جنيه في العام .. ثم بقي المراغى معتكفاً
 بمنزله حتى أقال فاروق وزارة مصطفى النحاس في سنة ١٩٤٤
 فذهب المراغى عندئذ للأزهر واعتبر نفسه أنه لم يستقل — وكان
 كل ذلك قبل ارتقاء مصطفى النحاس نفسه بعد ذلك في سنة ١٩٥٠
 في أحضان فاروق عندما كشف أن بأسه وبأس الإنجليز الذين كانوا
 قد انقلبوا عليه أقوى من أغلبية حزب الوفد في البرلمان .

سبب محبة الانجليز للمراغى

أما السبب في محبة الانجليز للمراغى فترجع لنفس تاريخ عدايتهم للظواهرى أى منذ الحرب العالمية الأولى وبسببها ، فبينما كان الظواهرى بقصر عابدين يعارض السلطان حسين فى عدااته لتركيا مقر الخلافة الاسلامية وقتئذ كما قدمنا ، كان المراغى على العكس من ذلك يفتى بالسودان على جواز محاربة تركيا فقد حدث أن امتنعت وقتئذ القوات المسلمة السودانية والهندية عن الحرب بجانب الانجليز ضد تركيا لأنها كانت مقر خلافتهم الإسلامية فأفتى المراغى وكان وقتئذ قاضى القضاة الشرعيين بالسودان أنه يجوز للمسلم محاربة أخيه المسلم وبذلك حل للانجليز هذه المشكلة الهامة فاكسب بهذه الفتوى محبتهم وتقديرهم حتى أنهم نوهوا بأثر هذه الفتوى فى كسبهم لتلك الحرب فى كتاب « سفر الولاء للإمبراطورية ، وهو الكتاب الذى أصدرته الحكومة الانجليزية فى ذلك الوقت .

مسئولية الأزهر فى عصية فاروق لله

من هذا ترى أن الأزهر فى عهدى الظواهرى والمراغى كان متندجا فى السياسة المصرية اندماجا مباشرا لحد أن بعض الناقدين حمله مسئولية الفساد الخلقى الذى صار اليه فاروق وانتهى آخر الامر بعزله عن العرش بواسطة الجيش . فهم يقولون أن مجالس الوصاية على فاروق كان قد وكل للمراغى بصفته شيخ الأزهر أن يعلم

فاروقا الدين الإسلامى وأن يوجهه نحو الخلق الدينى الكريم
وأن هذه المهمة استمرت بضع سنين بعد تولية فاروق الحكم
ولكنهم لعجبهم وجدوا أن هذا الامر تمخض عن مسرحية مؤلمة ،
فبينما كان الشعب يرى بعينه ملكهم فاروقا غارقا فى ملامى القاهرة
ومراقصها وحاناتها ، إذابهم يسمعون المراغى شيخ الجامع
الازهر فى خطبه ودروسه الدينية التى كان يلقيها فى رمضان يلقب
هذا الملك العاصى الفاسق بالملك الصالح ويصوره للناس كأنه
أمير المؤمنين بما دعا فاروقا للاستمرار فى الفسق ، وبما دعا ببقية
الازهرين لترسم خطى المراغى فى التستر على معاصى فاروق
الدينية بدلا من الاحتجاج عليها . وقد ضرب هؤلاء الناقدون
لذلك مثلا أحد كبار العلماء الذى كان أيضا وكيل الازهر فقد أرسل
لفاروق برقية فى كبرى ، وهى موطن النساء العاريات فى إيطاليا ،
ينهى فيها كبرى بحلول فاروق فيها ويصفها بأنها أصبحت بذلك
البقعة المباركة بين بقاع العالم .

مسألة
الكلب

خاتمة المقدمة

وبعد . . فهذه نبذة تاريخية سياسية خاصة بالازهر وبالعالم
الإسلامى فى العهد الحديث كتبتها فى قوة التاريخ بأسلوبى الصريح
على النسق الغربى كما أشرت إلى ذلك من قبل ، حيث لا يحجم
الناقدون هناك عن قرن الوقائع والافكار بأسماء أصحابها علناً وفى
صراحة تامة ، أى بدون ذلك التلبيح والالتواء الذى لم يتحلل
منه بعد كثيرون من كتاب الشرق ، والذى لا يزال عالماً

ببعض كآثر من آثار الاستعمار الأجنبي والاستعباد المملكي .
 وأنه لو اوضح أن التلويح دون التصريح يقضى حتما على العظة المرجوة
 من التاريخ ، وكذلك على القدوة الحسنة .

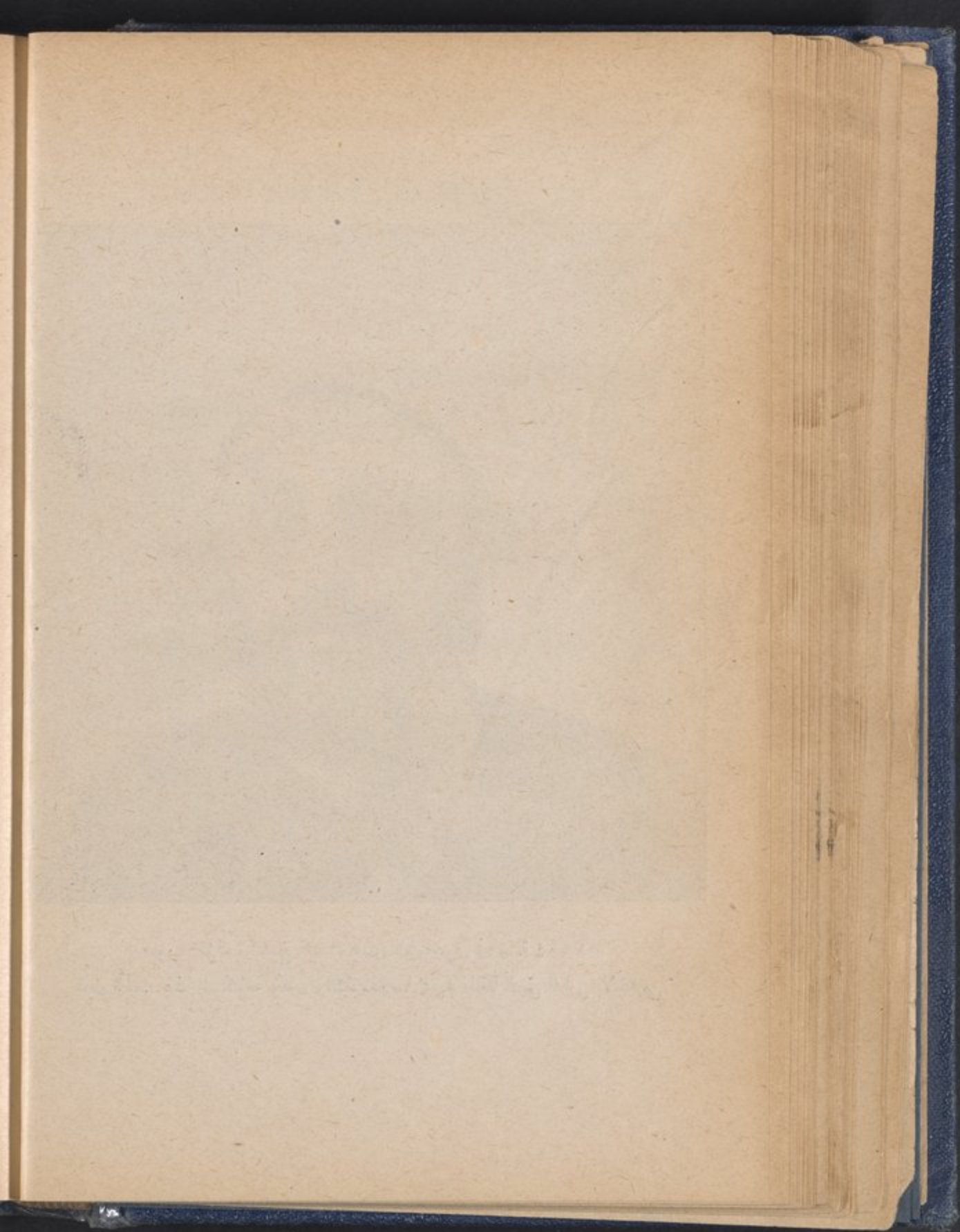
ويرى الغربيون أنه يكفي الرجال العموميين فخراً أن يوجه
 اليهم إطلاقاً النقد، فما يوجه النقد للتافهين وفرق بين النقد والطعن .
 لذلك فاني أرجو أن تؤخذ صراحتي في ذكر الاسماء التي
 ذكرت بها هذه الروح العالية التي قصدها من النقد وليس بأية
 روح أقل من ذلك . وكفى مبرراً لاقتباس هذا الأسلوب الغربي
 الصريح ، في عهد جمهوريتنا الجديدة ، أنه يتيح للمنفقين أنفسهم
 إذا كانوا أحياء أو لمناصريهم في الرأي إذا كانوا أمواتاً
 فرصة أن يدافع كل عن وجهة نظره ، ففي ذلك تمحيص للتاريخ .

الدكتور نغرا الدين الأحمدى الظواهري

يونيو ١٩٥٥



صورة المؤلف الشيخ محمد الأحمدى الظواهري في سنة ١٩٠٤
حين تأليف هذا الكتاب وكان وقتئذ مدرسا بمعهد طنطا الدينى العلمى الاسلامى



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم على ما أنعمت، وأسالك الهداية للصراط المستقيم،
كما أرشد خير رسلك صلى الله عليه وعلى آله .

أما بعد ، فإلى مولاي العباس ابن محمد خديوى مصر المعظم،
وإلى ساداتى الأفاضل من حماة الدين وحمة عرش العلم ورجال
الإسلام ، أرفع مقالى هذا ، استلفاً لأفضل ما يتناول له أهل النظر،
وأحق ما تتسابق فيه الفكر ، ألا وهو شأن التعاليم الإسلامية
اليوم ، فإنها هى أصل الأصول فى مستقبل الإسلام وسعادة
المسلمين ، والنظر فيها ينبغى أن يكون أهم ما يعنى أولى النظر من
أهل البصائر الدينية ، بل وأهل الناموس المدنى بالممالك الإسلامية .
إذ هى التى عليها التعويل فى تكوين العقول الراجحة ، وإيجاد
الملكات والغرائز الصحيحة والوجدانات العالية ، وتصوير الغاية ،
وتحديد الكمال الإنسانى ، ورسم الطريق الموصل إليه ، والإرشاد
إلى حقائق ما قد يرى الإنسان من ظاهره غير ما بطن فيه من المنافع
والمضار المتعلقة بالشخص أو النوع ، وتلك هى أصول السعادة .
فلن تقوم قائمة المسلمين إلا أن تكون تلك التعاليم على نهج قويم ،
وصراط مستقيم . ولن يسود الأمن والنظام فى ممالك الإسلام ،
وتنقطع جرثومة الجود والانحطاط ، إلا بجند حكومتها الروحانية
القاهر . وسلطانها على القلوب الباطن والظاهر .

ولا شك أن الناظر فيما عليه المسلمون الآن من القصور في كل شيء (غير القصور) ، يكاد يظن أن التعاليم الإسلامية سبب الشقاء وعقبة الارتقاء في طريق الأمة بل وطريق أهل التعليم أنفسهم ، فإذا ما قرأ القرآن ، وعرف الغاية التي يدعو إليها الإسلام وتبينت له أسرار الشريعة ومقاصد التشريع ، كاد لا يصدق بأن هذه الأمة هي أمة ذلك الكتاب ، وصاحبة هذا القانون العالی ، ولئن سلم بهذا فقد لا يصدق بأن هناك من بين طوائف هذه الأمة طائفة تقوم بأمر الدين ، وأن هناك مدارس كبرى لنشر تعاليمه ، ولئن سلم بذلك ، فقد يكون محالاً أن يصدق بأن هناك فائدة منها أو تأثيراً لها .

ولئن كان هناك أقوام من متغوري المسلمين عرفوا هذا النقص الكبير والتأخير الكثير والانحطاط العام وأنهم إلى أي مصير يسرون ، ثم اختلفوا شيعاً في سبيل التخلص من ذلك ، فليصغوا لمقالى هذا وليضعوا يدي في أيديهم كي نسير معاً إلى منابع أنهار الحياة الإسلامية ، والترقي الشرقي ، وحيث تتلاقى سبل السعادة والشقاء أمام أبواب مدارس التعليم الإسلامي ، لكي لا يبعدوا النظر ، وليعلموا أن ماء الحياة الصافي لا يفيض عليهم من مجرد تقليد الأمم الأفرنجية ، فيما يحسن ويقبح ، مع إهمال المبادئ الإسلامية ، بل من تحت أرجلهم ومن نحو مدرسة الأزهر الشريف . هذا إن أخذت تلك المدارس حظها من الاستكمال وجرت في الآداب والعلم والتعليم على نظام شاهد بما توحى به أسرار الشريعة ، وما يقتضيه العقل السليم ، ولم يقف بها العجز دون الغاية ،

ولم يخرج بها الغلو في حب الكمال عن الغرض المقصود . وهذا هو ما دعاني لأن أرفع ندائي بمقال هذا ، على حسب ما أعتقد ، وعلى وفق ما أرى .

وقد أكون مخطئاً ، كما يغلب أن أكون مصيباً . ولذلك فاني أرجو من سادتي الأفاضل أن لا يحملهم خطأى فيه على عدم الالتفات إليه ، ولا مخالفتى في رأى على عدم التعويل عليه ، ولا أن يكون ضدوره من مثلى (١) سبباً في الاستخفاف به واحتقاره . كما أرجو اعتبار أن جميع ما جاء في هذا الكتاب هو رأى في موضوع في عام ، لا يؤثر الخلاف فيه على العلاقات الشخصية بوجه من الوجوه ولا يكون سبباً في بغضى أو التحمل منى أو فهم انى أريد التشهير بالعلماء ، خصوصاً وأنا مدفوع إلى بيانه ، مع تمام حسن النية ، بدافع حب الخير لأبناء جنسى خاصة وللمسلمين عامة . كما أنى على استعداد تام للتنازل عنه متى تبين لى خطؤه . وليس هناك أفيد من تبادل البحث على قاعدة الصفاء والحرية والتواضع ، ولا أفضل من الانصاف فى الرأى . والعاقلة يأخذ الحكمة حينما وجدت . وليس فى الحق صغير أو كبير . ولا أقبح من تأخذهم العزة بالإثم ، فلا يصغون إلى الحق لكونه صدر من هو أقل منهم على ما يعتقدون .

(١) كان المؤلف ، الشيخ الطواهرى ، وقت تأليف هذا الكتاب صغير السن لا يتجاوز عمره أربعة وعشرين عاماً وكانت وظيفته مجرد مدرس بالجامع الأحمدي بطنطا وكان قد حصل على درجة العالمية منذ سنتين لا غير وهذا هو السبب فى تخوفه من استهتار كبار العلماء وقتئذ به وآرائه

أقول قولي هذا وأنا أحرص الناس على الاتحاد والاتفاق ،
فإني أرى الخلاف مضرّاً أشد الضرر .

ولهذا فإني أمد يدي ، مع مزيد النذل والتواضع ، إلى سادتي
العلماء ، خاطباً ودهم ومحبتهم وصدقتهم ، عارضا عليهم نفسي كي
يرشدوني إلى ما فيه الخير والكمال . أتقرب من جافاني ، وأحسن
إلى من أساء إليّ ، وأسأح كل من قال فيّ ما قال ، أو يقول .

* * *

هذا ويلوح لي أن أرتب مقالاً على أبواب ، ليكون ذلك
أضبط لمطالبه المنتشرة ، وها أنا ذا المسكين الكئيب الحزين ،
الذي أضناه النقص واقلقه الانحطاط . المفكر دائماً فيما فيه
الخير والكمال لأبناء جنسه وأهل ملته

محمد الاصمدي الظواهري

البَابُ الْأَوَّلُ

في العلماء

العلماء ورثة الأنبياء . أو كما أقول أنبياء لا يوحى إليهم .
أو كما يقول الناس رؤساء الدين . هم الملقى إليهم قياد العقول .
هم المعهود إليهم إيجاد الشعور والوجدان الحاكم على كل محكوم
وحاكم ، هم الذين تلقى إليهم فطرة الله التي فطر الناس عليها
ليحيوها أو يميتوها . هم الذين أعطوا الحكم على الأمة في الحقيقة .
وهم ، هم الملوك في الإسلام عند تحقيق النظر .

العالم لا يكون عالما حقا . إلا أن ظهر أثر علمه في قومه ،
وبأسخ شريعة ربه ، وكان في الأمة كما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيها ، من جهة العلم والإرشاد . العالم مسئول عن نفسه وعن
غيره أمام الله ، فلا يكفيه أن يصلح نفسه دون أن يسعى في إصلاح
قومه أيضا . العالم الحقيقي شمس مشرقة ، صاعدة من الأفق الأعلى
يرتبط بها كمال الموجودات ، وعين جارية يتوقف عليها أمر الحياة ،
العالم هو الدواء السريع والعلاج النافع والطبيب الخاذق الذي
تصح به أجسام الأمم ونفوس الأشخاص . هو الذي يرتبط به
كل سعادة وشقاء ، لأنه الموكل إليه أمر العقائد والوجدانات
والأخلاق والملكات والمبادئ التي تسعد وتشقى وتميت وتحيي .
العالم هو الملك ، لأن شعور الملك ومبدؤه وتكوين عقله ونظره

صورة من حال معلمه ، ألا ترى قصة معاوية ابن يزيد حين تبرأ على المنبر من عمل والده ، وسلك من العدل نقيض ماسلكه ، فاتهم أعوان الظلم معلمه بأنه هو الذى دس له ذلك فى تعليمه ، فولعه بمحبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العالم هو الوزير والأمير والحارس والقاضى والسكانب وصاحب الشرطة والزارع والصانع ، وهو الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة بأجمعها ، فإن أحسنوا أو أساءوا فللعالم نصيب بما عملوا . ذلك لأن كل إنسان يعمل على وفق مبدئه واستعداداته . والعلماء هم الموكلون إليهم أمر هذه المبادئ . إنهم بحسن وعظمتهم ، وكمال إرشادهم ، وقوة تأثيرهم ، قادرون على إصلاح تلك المبادئ أو إفسادها ، وعلى جلب الشرور أو إبعادها . وهم ، هم الملقاة تبعه كل تقصير عليهم ، والراجع كل خير لعملهم ، لأن من وظائفهم القيام بين الناس بالإرشاد والإقناع والوعظ وقوة التأثير ، حتى يوجدوا فى الناس ملكات ثابتة لفعل الخير ، ورغبة شديدة إلى كل كمال . وعليهم أن يستعملوا عقولهم فى إيجاد الطرق المتنوعة والأسباب التى يمكن أن يصل إليها العقل الإنسانى (ولاحذله) ، المؤدية إلى مقصودهم بلا فتور ولا كسل .

العالمية عبء ثقیل ومرتبة شاقة الأعمال كثيرة المتاعب . إذا وجهت إلى عبد من عبيد الله فحق عليه أن لا يفرح من أجل إنه رُقى بين الناس منصباً يؤهله لأن يتصدر وتقبل يده مثلاً . بل عليه أن يفكر وينظروا يدعو الله أن يوفقه لأداء واجباتها والقيام بمهمات ، فإن ما وجه إليه أمر عظيم ، لا يقوم الإنسان بحقه إلا بتعب

جسمه وعقله ، وإن أهمل كان من السافلين .
 العالم إذا أصبح ، أصبح مجاهد في سبيل الله ، واسكن لا بالسيف
 والحرب المعلومة ، بل بسيف أقطع وسلاح أمضى ، هو
 قوة الفكر وفصاحة النطق ، يقضى بهما ما شاء الله أن يكون واعظا
 وإرشادا وتعلينا . بينما تجده في درسه يقرر خفيات المسائل في
 العلوم المختلفة ، تجده قد خرج يخالط الناس على اختلاف طبقاتهم
 كأنه واحد منهم ، يرشد هذا بالعبارة ، وذاك بالإشارة ، هذا
 بالأحاديث ، وهذا بالآيات ، هذا بالحجج العقلية ، وهذا
 بالمشاهدات والمسكتشفات ، طوراً يستشهد بحال الصحابة والتابعين
 وطورا بحال فلاسفة اليونان وحكام الأوربيين . وبينما تجده
 مع الملوك والأمراء في قصورهم ، تجده مع الفقراء في أكواخهم ،
 ومع التجار في حوانيتهم ، ومع الزراع في حقولهم . لا تقتصر له
 هممة ، ولا يتراخى له عزم . ولا يزال يتفنن في طرق التعليم
 ووسائل الإرشاد كما يقتضى الحال ، يخاطب كل إنسان بلغته وعلى
 قدر عقله ، وبالأسلوب الذى يناسبه . لا ينتظر أن يأتى الناس
 إليه ، ولكن هو يسعى لى يعلمهم ويرشدهم .

وظيفة العلماء الأزهريين

العلماء لا تنحصر وظيفتهم في تعليم الطلاب فنون العلم في
 المدارس الدينية بالكيفية الجارية الآن ، بل هى على الحقيقة أعم
 من ذلك وأشمل وأنفع . وظيفة لها دخل في سائر الأعمال

والأحوال . وترتبط بسائر الأمور الدنيوية والأخروية . لأن العالم يعتبر مؤسس المبدأ الذي يسير عليه الإنسان ويبني عليه سائر أفعاله المتعلقة بالمعاش والمعاد ، ووضع الخطة التي تجري عليها الأمة في سائر شؤونها المادية والأدبية وغيرها .

وهو وأن لم يمكنه أن يقوم للإنسان بسائر ما يلزمه ويعلمه جميع ما يحتاج إليه من العلوم والآداب والصنائع ، فلا شك أن ذلك كله يكون مبنياً ومركباً على القواعد العمومية والخطط الأساسية التي يعطيها العالم للأمة ويفرسها أولاً في أفكار الناس ، فهو الذي ينبغي أن يرشد إلى السعادة الروحانية ، واللذات العقلية ، والأسرار التشريعية ، ويحمل على الكمال في الأخلاق والأعمال والتعب . وهو الذي ينبغي أن يرشد إلى فوائد السياحة ، واقتباس النافع من المدنية الحاضرة ، والسفر إلى أوروبا ، والاندراج ضمن تلامذة مدارس الطب والصنائع والكليات الجامعة ... إلى غير ذلك . بل يحوار المدارس الدينية ينبغي أن تبني مدارس الفنون المتنوعة ، والصنائع المختلفة . لتزدهم بتلامذة المسلمين بناء على أوامر المدرسة الدينية وإرشادات العلماء .

ويمكننا الآن أن نقول على وجه الإجمال أن وظيفة العلماء تنقسم إلى ثلاثة أقسام : تعليم ، وإرشاد ، وقيام بالوظائف الدينية من نحو الافتاء والقضاء .

أما التعليم فمراتب (١) تعليم صغار المسلمين وأطفالهم في المدارس الأولية المسماة الآن (بالمكاتب) ، و (٢) تعليم جمهور الناس و (٣) التعليم العالي في نحو الأزهر والجامع الأحمدى .

ولا جرم أن كل واحدة من هذه المراتب ضرورية وتحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيرها من الأساليب ، وتخالف أختيها في الكمية والكيفية . بل قد تنقسم الوسطى والتي بعدها إلى أقسام شتى ، فإن تعليم المتنورين من متخرجى المدارس مثلاً لا يكون أبداً كتعليم الباعة والزراع والصناع . ولكن من موجب الأسف أن علماءنا أعرضوا عن المرتبتين الأولتين ولم يعيروهما أقل التفات ، مع أنهما من أهم الضروريات اللازمة ، التي يتوقف عليها تقدم الأمة وحسن نشأتها في أمرى الدين والدنيا . بل هما اللتان ينبغى أن تكونا ثمرة هذا التعليم العالى الذى يشتغلون به فى المدارس الدينية ويضيعون فيه الأعمار ، من غير أن يعود على الأمة منه فى النهاية فائدة تذكر . على أنه فى الحين الذى يأتى فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين ، أرى أنهم لا يمكنهم أن يقوموا بهما حق القيام . أى نعم ، هم يتكبرون أن يكونوا فقهاء مكاتب ، مثلاً ، وأنا لا أرى منهم من فيه تمام الأهلية لتولى هذه الوظيفة السامية ، التى هى مفتاح السعادة للمسلمين فى سائر بقاع الأرض ، لأن أمر التربية ليس بالأمراهين . ولا تكفى له معلومات النحو والفقه والأصول والبلاغة . وإنى أرجو من صميم قلبى أن يوجد الله بيننا علماء مرشدين ، عارفين بأصول الآداب وأساليب التربية . ليكونوا بدل فقهاء المكاتب فى كافة أنحاء القطر ، بل وفى سائر البلاد الإسلامية . وأما الإرشاد ، فأعنى به الحث على العمل بأوامر الدين ، سواء فيما يتعلق بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، أو ما يتعلق بإحياء الصناعات ، والقيام بالمطالب القومية والحاجات الاجتماعية ،

والتفكير في أساليب الكمال ، والأخذ بالشئ المناسب ، وتنمية الشعور الدينى . وتنشيط الهمم وتقوية العزائم على القيام بسائر أنواع الكمال التى يدعو لها الدين لأمر الدنيا وأمر الآخرة . إذ لا يخفى أن مجرد المعرفة لا تكفى للعمل . فقد تقوى الشهوات وتؤثر العادات فلا يعمل الإنسان بما يعمل . بل قد ينسى ما علم . والإرشاد يضمن إصلاح هذا الفساد ، بل هو أعظم أساس يبنى عليه هيكل الإصلاح الإسلامى والكمال الإنسانى .

ومما يوجب الأسف أن هذه الوظيفة السامية لا يقوم بها العلماء الآن أيضاً ، وقد بنى على إهمالها ما نراه بأعيننا من النقص العظيم ، وعلى قواعد هذا الإهمال ثبتت جذرانه القوية التى قد لا يهدمها إلا معاول القدرة القاهرة والروح الإلهى إن شاء الله تعالى .

وأما الوظائف الدينية ، فلا نغنى بها كل ماله تعلق بالعلم ، بل ما للعلم مدخل كبير وتأثير فيه ، وأهمها القضاء والاقتضاء ، ومنها الخطبة ، لأنها صاحبة المقام الأول فى التعليم والإرشاد ، وقد كانت من وظائف الخلفاء . وأهم لوازمها قوة التأثير ، وهى تكون من العالم أكثر تأثير من غيره .

وهذه الأمور وإن كان هناك من يقوم بها الآن ألا أن من الصعب أن يقال أنها أخذت حظها من العناية والكمال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

كمال العلماء

العالم لا يستحق اسم الكامل حقاً إلا إذا كان كاملاً فى علمه ، كاملاً فى تعليمه ، كاملاً فى إرشاده ، كاملاً فى أخلاقه ، كاملاً فى

تعبده ، كاملا في ملكاته ووجدانه ، كاملا في نفوذه وتأثيره ،
كاملا في فعله ، كاملا في التنور العام ، كاملا في تعمير قلبه بالنور
الالهى والاقتراب من الملكوت ، إلى غير ذلك من ضروب
الكمال ؛ وبيان هذا كما ترى :

الكمال في العلم

لا نريد من ذلك بلوغ النهاية في كل ما يطلق عليه اسم العلم ،
فإن هذا من المتعذر ، فضلا عن أن هناك من العلوم ما لا يلزم
للعالم التوسع فيه وإن كان كاملا في ذاته ، وإنما نريد أنه لا بد من
الكمال في علوم الدين ، ثم معرفة المقادير اللازمة من العلوم
الأخرى التي يلزم أن يلم بها العالم . وهذا من البديهي الذي
لا يحتاج إلى الإفاضة ، وإنما الكلام في بيان علوم الدين وغيرها
والقدر اللازم منها ، وبيان أننا لم نصل قط إلى هذا الكمال الأول .
وسياتى كل ذلك في باب العلوم إن شاء الله .

الكمال في التعليم

إذا كان التعليم شعار العالم الرسمى وأخص صفاته فلا بد له
من الكمال فيه ، وإذا كان هو أساس السعادة وواسطة التربية
والترقى ونشر الدين فلا بد من الإعتناء به والسعى في تسهيله ،
ولا يجوز الاقتصار فيه على ما هو قائم الآن .

وبديهي أنه لا تلازم بين العلم وحسن التعليم ، فكثيرا ما يكون
الشخص من كبار العلماء . ولكنه مشوش أو عاجز البيان أو قليل
الخبرة بأساليب الإقناع ، ليست عنده قوة التصرف ، ولادراية له

بطرق التفهيم التي تختلف باختلاف المتعلمين . ولا شك أن نجاح الطالب أو سقوطه . وسعادته أو شقائه ، يرجعان إلى طريقة التعليم . فهناك من العلماء من يرفع البليد بحسن تعليمه ، ويقدمه إلى صفوف الأذكياء ، ويأخذ بأيدي الطلاب إلى أسنى مراتب العلم وأقصى وجوه النظر من أقرب الطرق بدون تعب يذكر . وهناك منهم من يحط من قدرة الأذكياء حتى يضيع ما كان ينتظر من حسن استعدادهم فيكون كالعلة التي تلحق الحيوان أو النبات في أول نشأته فتعوق نموه وتورثه الذبول .

فمن الواجب إذا التنافس في إيجاد الطرق التعليمية الصحيحة ، والعمل لبلوغ الكمال في حسن التعليم .
هذا كلام مجمل وسيأتى في باب التعليم تفصيله إن شاء الله .

الكمال في الإرشاد

الإرشاد هو أهم ما يتوقف عليه ترقى الأمة وحسن نشأتها في سائر الشؤون المادية والأدبية والدينية . وهو العامل الأكبر للنهوض من هذا السقوط والانتباه من هذه الغفلة .

الإرشاد هو الوسيلة القوية الوحيدة التي يمكن بها انتشار هؤلاء الشبان الذين كمن فيهم القوة الدينية كمن النار في الحجر وغلبت على ظواهرهم مظاهر الشهوات ، فانتهكوا حرمان الله تعالى وأهملوا ما فرض الله عليهم .

الإرشاد هو الذي يخرب بيوت الفسق ويعمر بيوت الله بجماهير المسلمين . هو الذي يقفل حانات الخمر ومناخ البطالة

والسكسل ويفتح أبواب الاستقامة والاجتهاد والعمل . هو الذى
يمكن أن يقينا شر هؤلاء الأشقياء الذين يهددون الناس فى أنفسهم
وأموالهم . وهو الذى يخفف الأعمال عن عاتق عمال البوليس
والنيابة وقضاة المحاكم الأهلية والشرعية . هو الذى يبدل الصفات
والمعالم ويكاد يقلب الحقائق . هو الذى يرفع عن الأمة غشاوة
الجهل ويطلقها من قيود الأوهام . هو الذى يمكنه أن يأخذ بأيدي
هؤلاء السفلة والمتشردين من الشبان الذين لا عمل لهم ، حتى
يخرجهم من هذه الأوطار الناقصة ويجعلهم فى صفوف الرجال
الكاملين النافعين .

هو الذى يوفق بين مصالح الدنيا ومطالب الآخرة ويؤاخذ
بين قوانین الاسلام ومنافع المدنية الحاضرة ، وهو الذى يمكن أن
يرقى الرجل الشرقى فى العمل والفكر حتى يضارع أو يفوق الغربى .
وبالجملة فإن الارشاد متى أعطى حقه من العناية والاستكمال
جعل القطر كله مدرسة كلية جامعة . وجعل الناس كلهم تلامذة
يتلقون من العلماء دروس التربية العالية فى كل زمان ومكان ،
ومع كل عمل وعلى كل حال . وأمة يكون هكذا شأنها لا بد أن
تبلغ ما ترجوه لنفسها من التقدم والارتقاء .

والذين ينبغى أن يقوموا بهذا الواجب المقدس والامر المهم ،
ويكونوا مصدر هذه الموهبة العظمى ومفتاح هذه السعادة ومحققى
هذا الكمال ، لاشك أنهم العلماء . أولا ، لأنهم أعرف الناس بما يشير
اليه القانون الإسلامى وأعلمهم بالغاية التى يدعو إليها الإسلام
وأقدرهم على التأثير وأبعدهم عن الأوهام (بحسب أصل الوضع)

وأعلمهم بفوائد الإرشاد . وثانياً : لأن الإرشاد هو المحقق لفائدة العلم والتعليم الذي يشتغلون به . فإن مجرد معرفة أحكام الدين لا تستلزم العمل ، وهي بدون العمل لا تفيد .

ولكن من أعجب العجب أنهم أهملوا الآن هذا الواجب وأعرضوا عنه ، فكان من نتائج ذلك ، ضعف الشعور الديني ، وانتهاك حرمة الشرع ، حتى فيما يرجع إلى مصالح هذه الحياة الدنيا . بل كان من نتائج ذلك ضياع حرمة العلماء وانكماش أمر الدين ، حتى كاد يعد الدين من الأحوال الشخصية أو الأمور الاستحسانية ، التي تختلف باختلاف المشارب والأذواق .

من دواعي الحزن أن ينفصل العلم عندنا عن العمل ، فقد نزع علماءنا بتحقيق بعض المعاني الخفية والمفاهيم المشتبهة في حين أننا نرى قوماً من غير العلماء يتشبهون بأذيال العمل ثم يتمسكون بأهداب الإرشاد ، وهم أهل الطريق الصوفي ، حتى صارت كلمة « مرشد » وإرشاد ، من ألقابهم الخاصة بهم عند الإطلاق .

ولا يمكن القول بأن هؤلاء القوم قد أعطوا هذه الصفة حقها وقاموا بواجبها ، فإنه فضلاً عن قصرهم لها على ما يتعلق ببعض اللذائذ الروحانية دون غيره من سائر الكمالات والمطالب الواجبة ، فإنهم أخرجوا الإرشاد عن الوضع الواجب ، فاتخذوه بعضهم شعاراً إسمياً فقط ، طلباً للشهرة والاحترام أو الاسترزاق وتيسير أمر المعاش .

فوا أسفاً على هذه الوظيفة السامية والصفة العالية ، التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق الصوفي ، بل واأسفاً على تركه

الإسلام التي تفرقت أيدي سبا في أيدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها ، بل دنسوها وشوهوها حتى صارت في ظاهر الأمر من المعاني السافلة والأمور الدنيئة . ومن لهذه التركة الثمينة بمن يعرف قيمتها ، فيجمع شملها ويلم شعنها ويرجع إليها نضارها الأولى ، ويكون كمن يلتقط نقائس الجواهر الملوثة بأزراع الأقدار من وسط المزابيل ، فينظفها ويميط عنها الأذى وينظمها عقداً ثمين القدر والقيمة . تالله لا يصلح العلم بدون الإرشاد ، ولا يفيد الإرشاد بدون العلم ، وهما لن ينفعا بدون العمل ، فما هذا التفريق والتزيق في الشيء الواحد .

ولأن نقول للعلماء اعملوا وتنازلوا وخالطوا الناس وخاطبواهم على قدر عقولهم وارشدوهم عليهم أن يهتدوا ، خير من أن نقول لغيرهم اشتغلوا بالعلم وجدوا فيه حتى تصيروا علماء ثم ارشدوا ، فإن العلماء أدرى بالواجب ، يعقلون ويعرفون قيمة ما يلقي إليهم من المقال ، وهم بهذا يكونون أقرب للكمال ،

فمن أجل هذا أرى أن أمر الإرشاد من أهم الأمور التي ينبغى أن يتنافس فيها العلماء ويتمتعوا بها على أكمل معانيها وأتم وجوهها . ولهذا الإجمال تفصيل يأتيك إن شاء الله في باب الإرشاد .

الكمال في الأخلاق

إذا كان الكمال في الأخلاق واجبا على سائر الناس فكيف لا يكون موضع نظر العلماء واهتمامهم . وكيف لا يكونون أول من يتحقق به ، وإذا كان من وظيفتهم الإرشاد إلى الكمال وتهذيب

الأخلاق، فكيف لا يكونون القدوة الحسنة في هذا الباب . وإذا كانوا هم الأئمة الذين يستمدى بهم، وينبغي أن يسلك سييلهم الذين يسلكونه ، ويكون الحسن ما يأتون ، والقبيح ما يتركون ، فكيف لا يتكلمون ! ونسكن هل هم الآن كذلك ! ومن أين يكونون كذلك ! هل في طبيعتهم وأصل تكوينهم ما يميزهم عن سائر الناس بالاقتراب من الفضائل والتكامل بالأخلاق الحسنة ؟ كلا ، فالناس في ذلك سواء . هل قرنت بهم ملائكة تهديهم إلى الصفات الحميدة ؟ كلا . وإنما ذلك من خصائص الأنبياء . هل من الأمور التي تلقى في المدارس الدينية ، أو من العلوم التي درسوها في إبتان تعلمهم ، علم الأخلاق ؟ كلا . إذا فمن أين يكون تهذيب أخلاقهم ؟ لاجرم أنهم في ذلك كسائر الناس ، منهم من تسوقهم المقادير والصدف إلى التمسك بشيء من الأخلاق الفاضلة ، ومنهم من يظل على حالته الأولى كأشجار (أم الغيلان) .

ولاشك أن السكالم في الأخلاق الآن ساقط الاعتبار في تحقيق مفهوم العالمية ، وأنه لا تلازم اليوم بين التخلق بالأخلاق الحسنة وبين أن يكون الرجل من العلماء وأهل الشهرة الفاتكة في العلم وأصحاب المناصب العالية . بل هذا الآن شيء ، وذلك شيء آخر . وقد يكثر في آحاد الناس من هو أرقى في الأخلاق من بعض العلماء ، وقد يوجد في العلماء من هو أخط في الأخلاق من آحاد الناس . ضرر للنقص في الأخلاق ضرر شديد يضيع الفائدة المنتظرة من العلماء . فهو يسرى بالعدوى إلى الألوف من الطلاب ومن هؤلاء إلى غيرهم ، ثم هو يكون سببا في اتصاف كثير

من الجمهور بالأخلاق الدنيئة اتكالا على أن هناك من العلماء من هو متصف بها ، كما يكون سببا في خوض الناس في حق العلماء واحتقارهم لهم ، بل وبغضهم وعدم الإنصات لمقالتهم وإن كان حقا ، بل ولا لمقال أهل الأخلاق الحميدة ، ثم هو بعد ذلك يكون سببا في مثل ما نرى اليوم من انقسام العلماء على أنفسهم ، وبغض بعضهم للبعض وغيبة بعضهم للبعض الآخر ، وقيامهم في وجه كل إصلاح ، وجمودهم على حال واحدة وإن كان غيرها أحسن منها ، إلى غير ذلك .

وعلى الحقيقة أن العالم أحوج الناس إلى السكال في الأخلاق ، بل لا يستحق العالم هذا اللقب إلا إن كملت أخلاقه . فان العالم ليس له قوة قاهرة من جيوس وأساطيل ينفذ بها رغائبه ويبلغ بها مقاصده وينشر بها مبادئه وتعاليمه قهراً . وإنما هو الخلق الحسن والعقل المفكر واللسان المبين يجمع بها القلوب حوله ويسلك بها السنن الأقوم ، ويقوم من هياكل الإصلاح ما شاء الله تعالى . والعالم الذي لا تكمل أخلاقه ضرره أكثر من نفعه ، يسىء من حيث يريد أن يحسن ، ويخذل الدين من حيث يريد أن ينصره ، ويكون عقبة كبرى في سبيل كل حركة خير أو فكرة تقدم ، بل مهما كان مقدار علمه فسيجد من سوء خلقه سدا يحول دون الانتفاع به .

وليس هناك أقبح وأضر من إعطاء شهادة العالمية لأقوام من هذا القبيل . يتحصنون بها ويتمقون على نشر مبادئهم الخبيثة وصفاتهم الناقصة ، ويكونون كالصخرة في فم النهر ، وحقا أن شر الشر

إعطاء العلم لمن لا يستحقه، أو لمن يتخذه عونا في بث مبدئه ومشربه
الديني بين الناس .

على أني لا أريد أن أفيض في هذا الموضوع، وتالله أنه ليسيتي
الأماع إليه ، وما كنت فاعلا لولا أن الإغضاء عنه، وهو مشهور
معلوم، يعد نقضا آخر .

وعلى هذا فاني أرى أنه لا بد من دراسة علم الأخلاق والإعتناء
بأمر التربية ، وأنه لا بد أيضا أن يكون السكّال في الأخلاق من
مواضع التفاضل بين العلماء ، ليكملوا في أنفسهم أولا ثم ليمكنهم
أيضا أن يصلحوا من أخلاق الناس ، وخصوصا أخلاق الطلاب
الذين اشتهر عدم حسن أخلاقهم عند الخاص والعام .

وأقترح هنا تأليف جمعيات خصوصية من جماعات الطلبة لكي
يكون كل عضو فيها مرآة لأخيه ينصح بعضهم بعضا ويرشد كل واحد
أخاه إلى ما فيه من خير أو شر وبحيث لا يخفى كل واحد عن أخيه
شيئا مما يراه . فمن تبادل النقد في ساحة المودة على بساط الصفا
يكون السكّال . والله ولي الإرشاد .

السكّال في العبادة

لا حاجة إلى الإفاضة في بيان أن العلماء لا بد أن يصلوا درجة
السكّال في التعبد . فذلك أمر ظاهر يدعو إليه حالهم الرسمي وشعارهم
العام وكونهم القدوة للناس وأعلامهم بما يترتب على فعل ذلك أو
تركه من خير أو شر ، وأحقهم بالقرب من حضرة الحق، والعمل
بسائر ما يعلمون . بل أن السنن في حالتهم، مع اختلافها، قد تكون

كانها الواجب ، حملا لهم على العمل وبيانا منهم لأحكام الدين
بالفعل والعمل فهما أدعى للإمتثال .

ولكن الذى يحتاج منا الآن إلى البيان ، هو أن ذلك الامر
غير منظور اليه الآن إلا بالنظر التبعي . فالعالم عندنا اليوم ، هو الرجل
الذى يكون سريع الفهم ، كثير الشغب قوى التصور ملها بالمعلومات
المتنوعة بقطع النظر عما إذا كان يعمل أو لا يعمل . ولقد قوى
هذا المعنى الآن حتى نبت شعور يقضى بأن الصلاح والتعبد بما
ينافى العالمية وبما يعد من علامات الجهل والبساطة ، وأنه لمن
المحزن حقا أن هذا الشعور أخذ ينمو فى بعض الفرق الحديثة
من العلماء الذين لا يريدون من شهادة العالمية إلا أن
يكون لهم حيثية رسمية أو أن يجوز لهم التوظيف فى القضاء .
وهناك أقوام لم يزجوا بأنفسهم فى بحار هذا التمدن الوهمى
والتفلسف الكاذب ، فلم يضعف احترامهم للتعبد كسابقيهم ولكنهم
مع ذلك لا يعملون له ، ولا يجتهدون فى التحقق به ، مع احترامهم
له ولأهله . وأولئك هم من تغلب عليهم الطباع الأولية والشهوات
الحيوانية ، فيحشرون العلم فى آدمغتهم من غير أن يظهر أثره فى أعمالهم .
وهناك قوم يقتصرون من التعبد على نحو التسبيح وملازمة السنن
المؤكددة من الصلاة وزيارة قبور الأولياء ، مع ترك الأهم من
مظاهر التعبد ، كالوعظ والإرشاد ، بل مع التلبس بما ينافى التعبد فعلا
كالغيبة والكذب والنفاق . وهناك فريق آخر يرى أن كثير آمن
ضروب التعبد التى مارسها القسم الذى قبله غير صحيحة ، أو أن فيها
غلوا ، أو أن أغلبها يرجع إلى الوهم . ولهذا فهو يهملها أو يتراخى فيها .

ويظهر من هذا وذاك أن هناك إهمالا في التعبد وغموضا
وخلافا فيما يحققة .

فأما إهمال التعبد فلا ياتى بعامة المسلمين فما بالك بعلماهم ،
إذ لو تسوئل من ينبغي أن تلى مرتبتهم فيه مرتبة الأنبياء لكان
الجواب هم العلماء (ولا شك فهم ورثتهم) .

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما كان عليه من
عظيم المرتبة ، كان شديد التعبد كثير التهجد ، يصوم النهار ويقوم
الليل حتى تتورم قدماه ، قائماً بالمصالح العامة والخاصة للمسلمين ،
يعظ ويرشد ويبلغ رسالات ربه ويدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة
الحسنة ويجاهد في الله حق جهاده ، فكيف لا يكون العلماء اليوم
به قدوة !! ها هم أصحابه والخلفاء الراشدون منهم ، كانوا على
سننه يقيمون وصراطه المستقيم يسرون ، فما لنا لا نقمدي بهم
ونقتفى آثارهم ! ها هم ساداتنا الأولون كانوا من كبار العاملين
فلم لانكون مثلهم !

ما لنا نكاد نظن أن منهيات الدين لا تتجاوز الزنا وشرب
الخمر وترك الصلاة ، دون ما عداها بما هو مثلها في الإثم ! ما لنا
نسكت عن التحيل والتأويل في أحكام الدين ، وماذا تركنا لغيرنا ،
وما هي خصوصيتنا حينئذ !

العلم ثمرة العمل ، فما هي فائدة حشو أدمغتنا بفروع الفقه
إذا لم نكن من العاملين بها فضلا عن أن نكون في مقدمتهم !
العلم عند المحققين هو المصحوب بالعمل ، حتى أن بعضهم اعتبر العمل

في مسمى الفقه ، فلم لانعمل حتى نتحقق بمفهوم العلم على التحقيق !!
لو تأملنا حال السلف الصالح لرأينا أنهم كانوا لا يتوسعون في
مسائل العلم الديني أكثر من اللازم ، ولكنهم في الوقت نفسه
كانوا يكثررون من العمل بما يعلمون . فمالنا الآن نكثر من التفلسف
والتخيل والتفريع ، ثم نقلل من العمل ، حتى نكاد نعدمه ، وما لنا نجعل
الوسائل مقاصداً !!

العلم الإسلامي الذي كانت تنفعل عنه نفوس سلفنا الصالح
لا يستمد من العقل فقط ، بل منه ومن الوجدان الروحاني العالي
الذي لا يتم إلا بكثرة العبادة والإقبال على الحق والاقتراب
المعنوي من ملكوت الله .. ذلك هو العلم حقاً ، وبه تتجلى المعاني
لنفس على نحو لا يحصل من مجرد التصور والفكر .. ذلك هو
العرفان الإلهي المطلوب حصوله في قلب كل مسلم ، وهو أيضاً العلم
الرباني الذي إن كمل كان الوحي وهذا لا يكون إلا بالانبياء . فمالنا
نبتعد عنه ولا نأخذ في الطريق الموصل إليه ! وما لنا نقصر في
الغايتين العلية والعملية ولا نكون أول من يتحقق بما ندعو
نحج إليه !

وأما ما يحقق التعبد فأرى أنه في العالم غيره في غير العالم ،
لأن هناك من الواجبات الدينية ما هو موجه إلى العلماء دون غيرهم
فهذا الذل والخشوع والزهد في الدنيا وكثرة ذكر الإله وزيارة الأولياء
والغلو في الاعتقاد لا يحقق وحده معنى التعبد في العلماء ومن يكون
هذا حاله فقط فهما كان عليه لا ينبغي أن يسمى عالماً ، بل زاهداً
مثلاً ، وأولى الأشياء به أن يذهب إلى شعاب الجبال ليعبد الله فيها

بعيداً عن الناس - حتى يأتيه اليقين - والأخرى به أن لا يكون من العلماء ،
فهؤلاء عمال الرسالة المحمدية ونواب الحضرة الأحمديّة في هذه الأمة .
من أجل ذلك فلا بد أن يضم العالم إلى مراسم التعبد المتقدمة ،
صفات أخرى تجعل منه متعبداً كاملاً : ومن هذه الصفات الجراءة
وقوة الفكر ، ومعرفة الأحوال الحاضرة للجمتمع ، وما يرتبط
بشؤون وظيفته العنمية الإرشادية مع خصائص الناس ، وذلك كله
مع القيام بهذه الواجبات أتم قيام .

وهؤلاء الذين نسميهم « صالحين » ونعدهم من كبار العلماء
ونجلهم ونحترمهم ، هم على الحقيقة مقصرون في واجبات العالمية ،
فإن طريق التعبد الذي يسلكونه ليس في الحقيقة كاملاً لهم ، وإن
كان كما لاغيرهم .

فالعالم الذي يشغل وقته بالصلاة والذكر والتسبيح
وزيارة الأولياء بينما هو ويترك الناس في غوايتهم ولا يلتفت
لإعزاز الدين بالطرق الصحيحة المعقولة ثم إذا قيل له في ذلك أجاب
بأن « هذا آخر زمان ، أو « ماذا أصنع » ، هذا العالم لا يستحق
المدح والثناء على طريقة عبادته .

كذلك إذا قصر العالم مجهوده على السعى وراء الصالح العام
والعمل فيما يرقى الأمة ، وأهمل التعبد ، كان ذلك منه قصوراً
بالغا حد النهاية ، ولا يعد صاحبه من أهل الكمال في شيء . وإنما
الكمال هو التحقق بكلا الأمرين وعدم إغفال أحدهما . فالعالم
إثناء النهار لا بد أن يكون ، في وعظة وإرشاده ونظره فيما يعود
بالمنفعة على المسلمين ، كملك الذي يشتغل بمصالح رعيته ويدبر

شؤونها ، فاذا جن عليه الليل كان في تقديسه وتسبيحه واقترابه من ملكوت الله كالملائكة (كن ملكا بالليل وملكاً بالنهار)
ولقد نشأ إهمال التعبد وكذلك اختلاف المشارب فيما يحققه التعبد الصحيح ، من نقص شديد في التربية الدينية في المدارس الكبرى التي يتخرج منها العلماء . فالطالب متى قدم هذه المدارس فوجى بدروس فروع الفقه الدقيقة ومعرفة أحكام المتحيرة وأحكام سهو الإمام وسهو المأموم ونحو ذلك ، وظل على هذه الحال إلى نهاية الدراسة من غير أن يتلقى درساً واحداً في الحث على العمل بهذا العلم بالطرق المؤثرة ، ثم هو بعد ذلك يخرج بقلب عالم بدون أن يعرف ماهي واجبات العلماء ، وغير خاف أن مجرد معرفة أحكام الفقه لا تحمل العلماء على التعبد والعمل بها ، فلا شك أنهم في ذلك على حسب استعداداتهم الأولى المختلفة وحكمهم في هذا كحكم سائر الناس .

من هنا أرى وجوب الاعتناء بتقوية الداعية الدينية في نفوس الطلاب ، والاعتناء بالوعظ والارشاد فيما بينهم ، وبيان الغاية التي ينبغي أن يصلوا إليها والمبادئ التي يجب أن يكونوا عليها . كما أرى وأن لا يرقى منصب العالمية إلا أهل الكمال في التعبد . والله الموفق إلى ما فيه الخير والصلاح .

الكمال في الملكات والوجدان

من أصدق المقال قولهم « المرء محكوم بوجدانه » ، إذ أن هناك عند التدقيق شعور خاص وتجلى للأشياء في نفس الإنسان على

البعض. أوجه شتى ، كما أن هناك إدراك دقيق للأمور على أوجه مختلفة ويتبع ذلك الميل لشيء دون شيء ، واستحسان لبعض الأمور دون البعض ، وبهذا كانت تلك الأحوال هي في الواقع المسيرة للإنسان ، إذ تترتب عليها سائر أعماله ، فيكون لها آثارها في قوله وفعله ، بل وفي مسكنه ، ونظامه ، وملبسه وسائر ما يرتبط به ويكون له أثر فيه . وإلى هذه الأحوال النفسية والملكات الخفية والوجدانات المستخرة ، يرجع علو الإنسان وانحطاطه كما يرجع كماله ونقصه ، فهي إذا مرجع التفاضل ومبنى الكمال ، وعلى مقدار حالها يكون الحال الحقيقي للإنسان .

وهناك من الناس من يتكلف فيظهر بمظهر موافق ويجري على سنن العقلاء في عاداتهم ، في حين أن ملكاته ووجداناته على عكس ذلك . فمثل هذا الشخص مهما تمكن من إخفاء حقائقه ، فلا بد من ظهور آثارها ، ومهما تمكن من الجري على خلاف ما يجد من نفسه ، فلا بد أن يغلبه وجدانه في بعض الأوقات .

الملكات العالية والوجدانات الطاهرة من شأنها أن تأخذ بأيدي صاحبها إلى موجبات الفضيلة الحقيقية وتهديه إلى الكمال وترشده إلى الحقائق في سائر الشؤون والأحوال ، فمن فقدوها ، فهو وإن حسن حاله الظاهر ، قد تبدو منه آونة نقائص لا تغفر ، ومعايب لا يزول عارها مدى الزمان . وقد يكون الفرق بينه وبين صاحب الوجدان العالي والملكات الكاملة ، كالفرق بين الببغاء ، الذي يتعلم جملا من الكلام ، وبين الإنسان الفصيح ، فالببغاء قد يتقن الجملة التي يتعلمها حتى يخيل للجاهل أنه ناطق كالإنسان وأنه قادر على كل كلام ، ولكن العالم يرى أن ذلك قد

تم بتعليم في شيء خاص، وأنه بذلك لم يخرج عن حيوانيته المطلقة ولا ينكر علينا أحد أن هذا المعنى الوجداني، الذي أعجز عن بيانه في هذه الجمل القصيرة، ينبغي أن يكون على أكمل وجوهه في العلماء. كما لا ينكر أحد أن أصل العلم والتقدم لا يستلزمه، فأننا نرى بأعيننا من العلماء المشهورين الذين أحرزوا التقدم وشغلوا الوظائف العالية وعدوا من الرؤساء، من ينقصهم هذا المعنى، وأن ملكاتهم ووجداناتهم التفسيرية دنيئة ناقصة، تبين مراكمهم الرسمية، وتضاد منزلتهم بين الناس، وأنهم لا تزال لهم من الصفات الناقصة ما يحطهم عن أكثر الناس، وإن كان ذلك لا يترأى إلا لمن يعاشرهم ويعاملهم ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة. وقد ينبغي على ذلك صدور أعمال منهم تعد من الأعمال التي تورث النقص العام وتوجب العار الفاضح للأمة وللدین. والشواهد على ذلك كثيرة.

ومن هذا كان الواجب التنبيه لأمر الملكات والوجدان، والسعي في إيجادها على أكمل وجه في العلماء، وكذا الطلاب. على أن إيجادها ليس بالأمر السهل وتربيتها في النفوس لا يعرف صعوبتها ولا طرق الوصول إليها إلا علماء التربية. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ومن جد وجد ومن لجَّ فتح الباب. وكل شيء سهل مع المجاهدة وعلو الهمة. والله ولي التيسير.

السكّال في النفوذ والتأثير

النفوذ والتأثير لازمان للعالم من حيب هو مصلح ومرشد، فإن مجرد معرفه الحق والخير لا تكفي في حمل الناس على العمل

به ، وكثيراً ما ينادى بالحق من لا يكون له شيء من النفوذ فيذهب
نداؤه كصرخة في واد. وكثيراً ما جاهر بالباطل واحد من أرباب
النفوذ والتأثير فتابعه الناس عليه :

أصبح علماءنا اليوم فاقدين كل شيء من معنى النفوذ والتأثير ،
عارين عن سائر موادهما . ولا شك أن هذا نقص شديد يجب
تداركه . لا أقول فقدوا النفوذ والتأثير فقط ، بل واكتسبوا
صبغة الاستئصال والاحتقار من أكثر الطبقات العليا ، حتى كاد
يكون الحق منهم باطلاً ، والصدق منهم كذباً ، والنصح منهم غشاً .
فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

لو نظرنا بعين الاستبصار إلى سائر المرشدين إلى الحقائق
وهداة العالم ، وأولهم نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لرأينا أنهم
كانوا أولاً موضع الازدراء والتحقير من الناس وأن من تبعهم
كان أقل القليل ، فلما اكتسبوا قوة النفوذ والتأثير انعكس
الامر وأقبل الناس عليهم ودخلوا في دين الله أفواجا ورأوهم
بعين غير الأولى ، كأنهم ليس هم أولئك الأولون . ذلك لأن الناس
دائماً أسراء العادة ، عباد المظاهر ، إيمانهم في عيونهم ، كما قال بعض
العارفين . فهم دائماً لا يستمعون إلا لمقال من يكتسب صفات
الاحترام العام ولا يرضخون إلا لمن يحوز قوة النفوذ . وإذا كان
الامر هكذا ، فلم لا نكتسب نحن العلماء هذه القوة لنتمكن من نشر
الحقائق الإسلامية ونتوصل إلى إعلاء كلمة الله ! ثم لم لا نكتسبها
وهي التي ترفع الإنسان من الطبقات السافلة إلى أعلى المراتب
وتجعله سلطان القلوب وقائد الأفكار .

ها هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده واحد منا : انظر لماذا
علا دون أمثاله؟ ولماذا وصل إلى أن صار صاحب الرأي الأعلى
في سائر الشؤون الأزهرية وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة
المسموعة عند أكثر أهل الطبقة العالية ، حتى أمكنه أن يسود
أكثر الذين يبغضونه من العلماء ، لقد كان في أول قدومه للأزهر
عند الناس كاحاد الطلاب !! شيء جاء بالصدفة ، أم أن هذا
نتيجة العمل والاجتهاد . لا جرم أن هذا كان نتيجة النفوذ
المكتسب من قوة العقل وحسن البيان وإتقان العمل ، فجعل
ذلك له مكانة عند الطبقة العليا . وتلك المكانة أكسبته نفوذاً
آخر وجعلت تأثيره أقوى . وقد تمكن بهذا وذلك من أن يرأس
العلماء وأن تكون له كلمة التصرف ، حتى على شيوخه ومن
يبغضونه ، وأن ينشر مبادئه ويدعو الناس إليها ، ويلبي دعوته
كثير من الناس . وهو لو دعا إليها في بدء نشأته ما اجتمع إليه
أكثر المجتمعين حوله الآن ،

تأمل ما وظيفته الآن في الأزهر . فأما الافتاء فهو من وظائف
الحكومة لا تعلق له بالأزهر ، وإنما وظيفته أنه عالم من العلماء ،
ثم هو عضو من أعضاء مجلس الإدارة ، لا فرق بينه وبين
باقي الأعضاء ، بل هو وفضيلة الشيخ سليمان العبد والشيخ
عبد الكريم سليمان والشيخ أحمد الحنبلي متساوون . إذاً فما هذه
الغلبة الهائلة والصولة العظمى والتأثير الكبير حتى يكاد الناس
يحترمونه أكثر من شيخ الأزهر نفسه ، وهم يعتقدون أنه الأمر
الناهي وأن كل شيء صادر عنه ومنسوب إليه . لاشك أن هذا

كله أنما جاء بقوة نفوذه وتأثيره ، وهكذا تكون الرجال ،
فلئن كان هذا الأستاذ محقاً فلهاذا لا نسكتسب نفوذا كنفوذه
ونكون أنصاراً للحق .

ولئن كان مبطلا ، وتمكن بنفوذه أن ينصر الباطل ويصل
إلى هذه الدرجة من القوة والتأثير ، فلم لانحرز مثل هذا النفوذ
بل ما هو أقوى منه لنتمكن من نصرة الحق وخذلان الباطل !
ولم نجبن وبجبنا نضيع الحق معنا ! لاشك أن هذا هو الموت
الأدبي والشقاء الأبدى والصغار السرمدي وما يعقله إلا العالمون
بقي علينا أن نعرف ماهي الوسائل التي تفيدنا قوة النفوذ
والتأثير . وهي على الحقيقة ليست محصورة في شيء خاص ولا
مقصورة على ضرب معين . ولكن كلها ترجع إلى قوة العقل وفصاحة
البيان والانجاء نحو العلو والاتصاف بكل شيء شريف من شأنه
أن يرفع الإنسان بين الناس ، مع كثرة المخاططة والابتعاد عن
النقائص .

فالواجب إذاً على العلماء التمسك بهذا المعنى والسعي وراءه
والاتصاف به ، والله خير موفق ومعين .

الكمال في الفعل

من الواجب أن يكون صدور سائر الأفعال والأقوال
والحركات والسكنات من العاقل على وضع حكيم وترتيب حسن
ونظام تام ، إذ قد لا يوجد أثر يدل على كمال العقل وقوة الفكر
أكثر من فعل الإنسان ونظامه . وهناك من الناس من قديتهم

الحسن والقبیح ويكون شديد الإدراك ، ثم لا يكون لكل لذلك أثر في فعله . فمثل هذا الشخص لا ينبغي أن يعد في صفوف أهل الكمال . فإن المجنون قد يدرك تماماً كما يدرك العاقل ، ولكن إدراكه لا تنفع له عنه حواسه ولا تظهر له ثمرة ما في فعله . فما أشبه من لا يحسن أعماله ويتقنها ومن لا يضع الشيء في موضعه بالمجنون ، مهما كان إدراكه ومهما كانت قوة فكره وماذا تفيد سعة الاطلاع وقوة الذاكرة وكال الإدراك ، إذا كان صاحبها همجياً لا يحسن شيئاً من عمله ولا يتقنه ، بل سائر أعماله خلل وتشويش ، وجميع حركاته مثال الرعونة والطيش . وأمثلة هذا كثيرة ، فكم مرة تقع أعيننا على أناس أو تجمعنا بهم جامعة في مجلس ، فيظهر منهم شيء من عدم الإتيان في أقوالهم أو أعمالهم أو حركاتهم ، فيكونون بهذا موضع الازدراء والتحقير من سائر الناس . وإذا كان هذا الحكم حكماً عاماً ، فهو بالعالم ألصق واختصاصه به أشد ، فالعالم مالم تظهر عليه الرزاة وتكون جميع أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته واقعة موقعها ، لا يعول عليه مهما كان كبيراً في العلم .

العالم لا بد أن يكون ، مع سائر الدوائر المرتبطة به ، على جانب عظيم من الأحكام والنظام ، وإن كان هذا مع الأسف غير المشاهد الآن . العالم ، لا بد أن يوجد في كل شيء يلتصق به ، حتى زيه ولباسه ما يشير إلى حكمته وحسن تدبيره ، فلا ترى في عمامته مثلاً أو بملابسه ما يشير إلى فساد في النظام أو ما يستلقت إليه الأنظار على وجه يناهى الاحترام . العالم لا بد أن ترى في مشيته

وسكونه وإشارته بالتحية، وفي منظره إذا تبسم وفي منطقته إذا تكلم،
ها يشير إلى جلاله ووقاره وكمال عقله وحسن خلقه ، وأكثر
ما ينبغى أن يكون ذلك في المحافل الرسمية وجامع الناس .
ولكن بما يوجب الأسف أنهم يخالفون ذلك الآن مخالفة كلية .
فمثلا في حفلات التشريفات تجد منهم من يأتي قبل الميعاد المحدد
بزمن كثير ، أو من يتأخر عنه ، وهذا مما يخفض من احترامهم
في أعين الناس وخصوصا عمال المعية . ثم تجد منهم من لا يحافظ
على «قصب» كسوته فيتغير لونه تغيرا مشينا ويصير هيئة مزدراة ،
ولا شك أن هذا من دواعي الانتقاد . ثم تجدهم أيضا في هذه
الاجتماعات غير مرتبين وغير بادية عليهم سياء الوقار ، بل هذا
يذهب هكذا وهذا يأتي هكذا ، والصغار منهم يتقدمون الكبار ،
إلى غير ذلك من دواعي التشويش وعدم النظام . وكثيرا ما يزاحم
صغار الشبان كبار الشيوخ فلا يجد بعض أكابر أهل الدرجة الأولى
كرسيا يجلس عليه . ولا شك أن هذا من أسوأ الأحوال التي لا تليق
بفئة من الناس . ويعلم الله أن صغار تلامذة المدارس يفوقونهم
في مقتضيات الحكمة ودواعي النظام الاجتماعي في أمثال
هذه الحفلات .

وفي تشييع الجنائز ، قلما تجدهم على حال لا يوجب الانتقاد ،
من العامة والخاصة . ولعل أكبر جنازه رأيتها مدة عمرى جنازة
المرحوم اسماعيل باشا . وقد كانوا فيها على حال سيء غير مرضى
فبينما كنت ترى سائر الفرق سائرين مع تمام الانتظام والسكون
والوقار ، تعلوهم الهيبة ويحفهم الجلال (ومن تلك الفرق فرق

الرؤساء الروحانيين) ، كنت ترى العلماء سائرين على شكل مشوش ليس فيه شيء من مقتضيات النظام أو ماوجب الهيبة والاحترام ، يكلم بعضهم بعضا بكيفية أوجبت انتقاد سائر الناس ،

وفي المجامع الخافلة تراهم أيضا على هيئة غير مستحسنة وغير موجبة للتبجيل . فإذا كانوا في مأتم كانوا أول المتكلمين المعرضين عن سماع القرآن ، وإذا ماتحدثوا تحدثوا على شكل غير منتظم وربما قطع بعضهم الحديث على البعض ، وربما بادره بشيء من الانتقاد غير صحيح ، أو صحيح غير مناسب ذكره ، وإذا ما حكي بعضهم شيئا بادره الباقي به إظهاراً لأنهم يعرفونه ، أما سمعوا قول القائل :

وتراه يضغى للحديث بسمعه * وبقلبه ولعله أدري به
فإذا ما جرّ سياق المقال إلى بعض المسائل العلمية ، تسابق الكل للكلام واختلفوا في الآراء ، وربما تكلم أكثر من خمسة في نفس واحد ، وكل هذا من عدم الحكمة وقلة التدبر .

بجالس العلماء لابد أن تكون مجالس سكون ووقار وتكون هي الأصل الذي تستقيس منه آداب المجالس . كما أن العالم في جميع أطواره يجب أن يكون قدوة السالكين للناس ،

العالم لابد أن تكون أوقاته مرتبة ، ويجب أن تكون أعماله مقسمة عليها تقسيماً مناسباً وحسناً . فيجب عليه أن لا يمتضى أى وقت بدون فائدة أو في غير عمل منتج .

العالم لا ينبغي أن تفوته فرصة من الفرص المؤدية إلى خير ديني أو مادي أو أدبي من غير أن يغفتمها . العالم لا ينبغي أن لا يفعل

فعلا ما إلا وهو جار على سنن الحكمة ومنهج السداد ، سواء أكان من الأفعال المتعلقة بالأحوال الشخصية أو الاجتماعية أو الأدبية أو المادية أو المتعلقة بشؤون وظيفته أو ما يوجب عليه منصب العالمية .

العالم لابد أن يكون في بيته منتظما انتظاما تؤخذ منه نظمات البيوت .

العالم لابد أن يكون حسن التدبير في أموره المالية وجميع شؤونه الخ الخ الخ .

ولا شك أن النقص في هذا كله إنما يأتي من نقص التربية . فعلى علمائنا أن يهتموا ويصلحوا أمثال هذه الشؤون المهمة ، في أنفسهم ، ثم يعتنوا بها في تربية الطلاب ، وما يتذكر إلا أولوا الألباب . والله هو الهادي إلى الصراط المستقيم

السكّال في التنور العام

التنور العام من صفات السكّال اللازمة لسائر أفراد الإنسان ، العلماء وغيرهم . ولكن حاجة العالم إلى التنور العام أشد من غيره ، لأن وظيفته كلها مبنية على الفكر ، ولأنه لا يجوز الاحترام ولا يتمكن من تأدية وظيفته كما ينبغي ، إلا إذا كان عنده هذا التنور العام .

لكن هناك من العلماء من تجد أن تنورهم قاصراً على مناقشات

الفنون والكتب التي يدرسونها لا غير ، حتى أنه لا يمكنه أن يخوض مع أى إنسان آخر فى أى حديث آخر فيتقنه . وإن جلس فى مجلس عام تجده لا يحسن التكلم فيه ، بل إما سكوت ، وإما كلام تمجده الأسماع ويأباه الطبع السليم ، وقد كان الواجب أن يكون العالم مصدر سائر المستحسنات حتى يقبل الكل عليه ويكون مركزاً تدور عليه سائر أحوال المجلس الذى حواه ، وليكون موضوع احترام الكل وإجلالهم ، فيمكن التأثير عن قوله والأخذ به .

هذه الصفة ، صفة الاختصار على مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها للطلبة ، لا ينبغي أن تكون إلا لمثل البيغاء الذى يتقن جملاً من الكلام دون غيرها . ومن الغريب أن يظن بعضهم أن أكثر المعلومات التي تكون هذا التنور ما لا ينبغي الالتفات إليه . وهذا خطأ فاحش . إذ العالم لا بد أن يعرف سائر اصطلاحات الناس ، وعوائدهم فى الكلام ، والأشياء المتداولة بينهم والتي تنال عندهم القبول ، ايدخل من بابها ويستعملها فى استمالتهم نحوه وسماعهم لأقواله . وهذا الخطأ ، كغيره ، جاء من أنهم لم يفرقوا بين العالم ، ومن سميناه فى ماسبق زاهداً ، فظنوا أن كمال العالم فى البعد عن الناس وعن سائر أحوالهم ، وهذا خلط قد أدى إلى ضرر جسيم .

فالواجب إذاً السعى لتحصيل التنور العام حسب ما تقدم فأنه للعالم كالسيف للمجاهد ، والله خير موفق ومعين .

مطالعة الجرائد

مطالعة الجرائد من أعظم ما يفيد هذا التنور، فهي توقف العالم على المعلومات المتداولة التي يعد جهلها عيباً عند الناس، فهي التي توقف المطالع على حال إخوانه المسلمين في سائر بقاع الأرض، وعلى تقلبات الأحوال، وعلى كل ماله ارتباط بشؤون وظائف العالم. فهي إذاً أعظم عضد له في القيام بشؤون وظيفته وللعلم من الجرائد منفعة أخرى لا تقدر، وهي أنها خير واسطة له في إبلاغ مقاله وبسهولة لسائر الناس في سائر أطراف الأرض. وهذا حال لا ينال الآن من تأليف الكتب، فإن قراءة الناس للكتب قليل بخلاف الجرائد.

هناك من العلماء من يرى أن كلام الجرائد كذب لا تجوز قراءته. وهو رأى واضح الفساد، فإن عدم قراءة الجرائد تجعل الانسان في انحياز تام عن العالم، وبعيدا عنهم، كأنه ليس على ظهر البسيطة، وتجعله أيضاً مستثقلاً محققاً في أعين المتنورين، حتى أنهم ليعدون مخاطبتهم له تنزلاً ومجاراتهم واحترامهم له تفضلاً، لأنه في أعينهم رجل بسيط لا يعرف إلا أحكام الدين، ولا يدري ما عليه الناس من احوال.

على أنا لا نقصد بالجرائد تلك الوريقات الساقطة التي تتجاري على الكذب. بل الجرائد المشهورة المفيدة كالمؤيد مثلاً

ولو صح نظر هؤلاء الناس في نظرتهم للجرائد وأنها ما تقول الا كذبا، لما جاز للأولين أن يشتغلوا بعلم الحديث لأن من الحديث ما هو موضوع.

وفي الجرائد غير وراء الاخبار مقالات وإبحاث مفيدة
يهم العلماء والطلاب معرفتها والاستفادة منها . ومن هذا لا يحسن
عندى أيضا حال بعض العلماء ، ممن شغلهم الدنيا ، حيث يقتصرون
من الجرائد على قسم الحوادث المحلية ليعلموا منها تنقلات عمال
الحكومة مثلا ، أو أن الباشا فلان جاء والبك فلان ذهب ، إذ
هذا شيء لا ينبغي أن يكون نظر العلماء فيه إلا تبعا .

المجلات العلمية

ومن أهم ما يجب الاطلاع عليه أيضا المجلات العلمية ،
كالمتنظف والهلل ، والمنار . فإنها تطلع الإنسان على معلومات
لا يستغنى عنها العلماء . وحبذا لو امتلأت صفحات هذه المجلات
بمقالاتهم الضافية وإرشاداتهم المفيدة .

الكمال في تعمير القلب بالنور الالهي

والقرب من حضرة الحق

نريد من هذا الكمال حصول الغاية التي يدعو إليها التصوف
المعتدل وهو يكون بصفاء الروح ، والتفاتنا إلى ما وراء الحس ، وميلها
إلى اللذائذ الروحانية وحصولها على ذوق عال ووجدان صافي
يوصلها بالملاء الأعلى ويقربها من مبدأ الوجود جل وعلا ، وذلك
لكي تشرق عليها أنواره وتفيض عليها أسرارها .

هذا الضرب من الكمال هو اعلاء أنواع الكمال وارقاها بل
هو غاية الغايات ومنتهى السعادات . وهو الذي يمكن أن ينال به
مقام وراثته النبوة على التحقيق . فلا جرم أن من أول الواجبات

على العالم التحقق به والوصول إليه .

منزلة هذا النوع بين ما يدعو إليه الدين الاسلامي من سائر الكمالات والمصالح منزلة اللب والثمرة من الغلافات والقشور وباقي أجزاء الشجرة . وكيف لا وهو يتعلق بنيل أعلا المراتب العرفانية وأعظم المقامات الروحانية . إلا أن هذا الكمال المطلوب دقيق في ذاته ، خفي في تصوره ، صعب في إثباته ، نادر في حصوله . له مشابهات كثيرة من أحوال النفس وتولعاتها وتخيلاتهما . وهو مع ذلك لا يكون إلا بقدر معلوم ونمط معين . فكثير من الأحوال والآقوال التي تصدر عن ينسبون إلى التصوف ، ليست من هذا الكمال في شيء وإنما هي انفعالات وتولعات وخيال . وهناك أيضاً من الناس من يغلو في الأقبال على العالم الروحاني حتى يتجاوز الحد المطلوب ، وقد يصل إلى ما يسمى « بالاشطح » ، أو الفناء في الأحوال التي تخرج الانسان عن إنسانيته .

ما أشبه الإنسان في تكوينه وكماله في تركيبه بالمؤلفات العنصرية والمركبات الكيماوية . روح عال دائم من الملائ الأعلى . وجثة دنيئة قابلة للفساد . تنزل هذه إلى تلك وتتصل بها بقدر معلوم وعلى وضع معين فيمتزجان ويتحدان ويكون منهما إنسان تام . فكمال هذا الإنسان يكون مركباً من مجموع الكمالات الروحانية المتعددة المتعلقة بروحه وكذلك الكمالات الكثيرة الجسمية المرتبطة بجسمه . ولسكن عن نسبة خاصة فيما يتعلق بالروحانية مع الجسمية أولاً . ثم فيما يتعلق بافراد كل مع بعضها ثانياً . فإن اختلفت النسبة أو اختلف التوازن لم يكن في الإنسان كمالاً وإن

جاز أن يكون كمالاً في شيء آخر . فكمال الانسان إذاً في تركيبه . كالدواء المركب من أجزاء معلومة بمقادير معينة أو كالعناصر الأولى البسيطة التي تتركب على وضع ونسبة معينة فتكون شيئاً واحداً هو الماء مثلاً ، فإن اختلف التركيب انقلب الوضع وكانت مثلاً قطناً وهكذا .

وإن تعددت الأجزاء التي يتركب منها كمال الانسان ، فإن هذا النوع الذي نحن بصددده هو أشرفها وأعلاها . كما أنه أدقها وأخفها ، حتى يكاد ينكر وجوده من لا يجده ، وهو ليس بلازم لأحد ما ، لزومه للعالم ، فهو يستعد بحسب أصل الوضع لنيل أقصى المراتب الكسبية من الكمال الإنساني .

هناك من الناس من يتحصل على هذا النوع من الكمال مع القصور في غيره من بقية الكمالات الروحانية والعلمية وغيرها ، بل الجسدية أيضاً ، كما أن هناك من يتحصل على الكمال العلمي كله أو بعضه دون هذا الكمال الروحاني ، حتى لا تكاد الآن تجد أجزاء الكمال بمجموعة إلا في أندر النادر .

ولكن هذه الكمالات وأن ~~تت~~ تتمت ، فقسط صاحب الوجدان والنور الإلهي منها قسط أوفر وهو إلى السعادة الحقيقية أقرب ، مادام متحصلاً من الكمالات الأخرى على الضروري اللازم . وهو أفضل ممن ينال الغاية العظمى في الكمال العلمي ولا يتحصل على شيء من هذا المعنى الجليل .

ومن هذا يتبين أن الاعتناء بنوال هذه المرتبة السامية من أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون ، ويتسابق إليه المتسابقون ،

والله هو الكريم الفتح. ولهذا الاجمال تفصيل كبير يا تيك شىء
منه فى الكلام على التصوف إن شاء الله .

حال العلماء اليوم

ماذا أقول فى هذا الباب وماذا ينبغى أن أقول فيه والمقام
خرج والحاجة إلى الابانة شديدة. أخشى سطوة الرؤساء وقيامه
العلماء فاكتب من صحائف الاطراء ما تمزقه يد الشهود. أم تأخذنى
العزة بالاثم فلا أرضى أن أنسب لنفسى ولا لأبناء مهنتى ما
حظنا وحقرنا فى هذا الوجود أم أسكت وأغالط شعورى وأقول
إنى واحد من كثير . أو أعلل نفسى بالقضاء والتقدير .

ربى أنت أعلم بحيرتى ودهشتى فانشلى من أحوال هذا
التردد . والهمنى القول الرشيد. ووفقنى لما فيه الخير لى ولأهل
ملتى يارب العالمين .

تالله أن من أهم ما يستلقت الانظار حال علمائنا اليوم وفائدة
الأمة منهم . فهم بحسب أصل الوضع المرجع الأعلى فى إصلاح
شؤون الأمم الإسلامية وغرس الملكات الدينية فى قلوب المسلمين
ونشر العلم بينهم ودلائهم على ما ينبغى أن يكونوا عليه فى أمرى
الدنيا والآخرة . وإيقافهم على قبج القبيح وحسن الحسن من
الأخلاق والعادات والآقوال والأفعال، إذ هذا هو المقصد الأول
من أفراد طائفة بالاشتغال بالعلم ، ومن تشييد دور واسعة لهم .
ولكن المطلع على حالنا اليوم لا يدري هل المقصود من
الاشتغال بالعلم الدينى هو هذا أو أن المقصود أن يجوز العالم مرتباً

يقوم بضروريات معاشه ، فيكون العلم الديني من الحرف ، يقصد للتعيش !! أو المقصود أن يحوز رجل الازهر شرفاً وجاهاً وصفة بين الناس لا يحوزها إلا من يؤدي الامتحان ، فيقال ذكي ، نجيب ، حاز قصب السبق ، إلى غير ذلك من العبارات !! أو المقصود تكميل الفرق وتتميم الطوائف حتى لا يكون المجتمع الاسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) فوجدت تكميماً للنظام ، وإن لم تنفع هذا المجتمع بشيء يذكر ؟ .
أو المقصود المحافظة على التقاليد الأولى والأحوال القديمة ولو بغير معنى . أو المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي أقامت هيكل العالم الإسلامي وشيدت له بيتاً من العز في العصور الأولى ، وذلك كما يكون في تشخيص رواية مثلاً .

ولا يدري المطلع أيضاً ، هل المقصود من العلم أن يعرفه الإنسان وأن كان لا يلاحظه في خلقه وعاداته وعمله ، أم لا بد أن يظهر أثر عمله في شخصه قبل غيره . وهل الغرض أن ينحصر العلم بين جدران المدارس الدينية ، أو الغرض أن تكون المدارس كالشمس تنبعث منها الأنوار في جميع أرجاء العالم ، ويكون لها أثر في ترقى الأمم الإسلامية مثل تأثير الشمس في إنماء الزروع وانضاج الثمار صلاح هذا الكون .

على أنى لا أريد أن أفيض في بيان حال علمائنا اليوم وما هم عليه . فذلك شيء مؤلم ، وحسبى منه ما يعمله الناس وما مست الحاجة لإبانته في سابق هذا الكتاب ولاحقه . ولكنى أذكر من ذلك أمراً واحداً مهماً ، هو علة العلل في كل الأحوال . هو مبدأ العلماء اليوم ومشربهم فأقول :

ينقسم علماءنا في مبدأهم إلى قسمين: آخذين بالعادة ، وآخذين
بالفكر ، فأما الآخذون بالعادة فهم أغلب العلماء ، وهم لا يميلون
إلا لما وجدوا عليه من كان قبلهم معقدين أن الكمال فيه ، سواء
في ذلك علومهم أو معتقداتهم ، أو الكتب التي يدرسوها أو
طريقة التدريس أو الأمور الشخصية وسائر الأحوال .

والأكابر أهل الكمال في نظر هؤلاء ، هم الممتازون بالصلاح
والتقوى والنظر إلى الآخرة ، أو المعروفون بالتدقيق في المباحث
اللفظية والمعاني الخيالية ولكن مع الجهل بالشئون العامة
وأكثر العلوم الأخرى الضرورية ، ومع التلبس بكثير من
المعتقدات الخرافية والأوهام العامة ، ومع الجمود والوقوف
عند حد من الفكر والتعقل أدنى مما ينبغي ، والاقتصار من العلم
على ما لا يكفي ، ومع عدم النظر إلى نشر العلم أو تقريبه من
الفهم ، وعدم السعي فيما يصلح العامة وما يعود على الأمة بالترقي
في أمرى الدنيا والآخرة ما ومع عدم الجراءة في شيء مما تنبغي
الجرأة فيه ، ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بما يطرأ اليوم
على الإسلام من أوجه الطعن ، وعدم الاكتراث بإقناع المعترضين
ورد المجادلين . بل هم يكتفون من العلم بتدقيق في الألفاظ وتحقيق
لبعض المعاني على ضرب خاص ، لا يفيد إلا بعد زمن مديد
وجهد شديد .

وأما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ، ولا يزالون قليلين
جدا . وهؤلاء يرون أن ما عليه أهل القسم الأول غير صواب ،
وهم ينتقدونهم في علومهم وأخلاقهم وصلاتهم وسائر أحوالهم
ويرون أن الكمال إنما أن يكون الإنسان قوى الفكر شديد

العارضة صحيح النظر في الشؤون العامة ، وأن يعلم من علوم الكون ما يمكنه أن يرقى به الأمة ويوقفها في صفوف الأمم الحية ويخرجها من الآهام وأسرها الجهالة وهم أيضا يغالون في ذلك ، فهم يثقون بأفكارهم ويستبدون بها ، ويحكمونها فيما لا ينبغي أن تحكم فيه ، وهم يكرهون كل قديم ولا يعطون تربية الملكة الدينية وما يتعلق بأمر الآخرة من العناية القدر الذي أعطوه للأمور المتقدمة ، بل مع أغفال ما يقرب الإنسان من الملأ الأعلى ، ويظهر عليه آثار العبودية ، والذي أراه هو نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين ، وأن كلا منهما يتبعد عن الغاية التي ينبغي أن يصل إليها أهل العلم ، بقدر ما يقترب الآخر منها ، وإن أجزاء الكمال الواجب للعلماء موزعة عليهم وليسست بمجموعة فيهم ، وأن كلا مصيب في شيء مخطئ في آخر . فإن التمسك بالعادة قبيح ، كما أن الثقة بالفكر توقع الإنسان في الخطأ من حيث لا يشعر . والمبدأ الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه أهل العقول الراجحة هو كما أقول (لا تقس العادة ولا تثق بفكرك) ، بل تأمل وتدبر فعسى أن يكون ما عليه الناس حقا خفي عليك ، وعسى أن يكون ما رأيته صوابا غفل عنه الناس . وما يتمسك به الأولون من الصلاة والتقوى والانكسار والإقبال على أمر الآخرة والتحقق بالعبودية حسن ، ولكن في موضعه ، وأيضا على وجه لا يؤدي إلى اقتصار العالم عليه عدم قيامه بالشؤون الأخرى الواجبة عليه من حيث هو عالم ، إذ يلزمه أن يكون ذا نظر وسعة اطلاع ، وإمام بأخلاق الناس وأحوالهم ، وحسن بيان وعلم بما يلزم من علوم الأكوان ، ليتمكن أن يقوم بالواجب

عليه للناس حق القيام ، ويكون لقومه شمسا مضيئة ، وإعلام
كلمة الحق وقيام الناس على طريق الهدى سيقاً ماضياً ، ومناراً
عالياً .

من هذا يتضح أن المبدأ الأول واجب وأن المبدأ الثاني لازم
فالعالم إذا جن عليه الليل ذل وخشع وانكش وانخلع عن هذا الكون
الناقص ، وأقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع
ويسبح ويقدس ويحمد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماه ،
وينحل جسمه . وإذا أصبح ، أصبح شهماً جريئاً في موضع الجراءة
والشهامة ، يعظ ويرشد ويعلم ويقول الحق ويهدي إلى سواء
السبيل ، يسائر هذا ويجلس إلى ذاك . إن استعمل الشدة في
موضعها ومن غير عنف ، وإن استعمل اللين في غير ضعف ، لا تفوته
شاردة ولا واردة بما يرى فيه صلاح الأمة في أمر دنياها وآخرتها
فلقد قال الله في أصحاب رسول الله « أشداء على الكفار رحماء
بينهم » . فلقد كانوا إذا رأهم راء في النهار ظنهم من قطاع الطريق
يشنون الغارة هنا ويعارضون غير قريش هناك ، وهكذا لا تأخذهم
رأفة في دين الله ، فإذا أقبل الليل كان لهم أزيز كأزيز النحل ،
يذكرون الله تعالى ويسبحونه أثناء الليل وأطراف النهار ولا يفترون .
وما يغلب على القسم الثاني من القيام بإصلاح الأمة وإرشادها
إلى طريق سدادها ، وعدم إغفال الفكر مع الميل إلى الترقى في
العلوم والمعارف والأخلاق الخ ، حسن . ولكن على وجه
لا يغفل معه قوام الدين وأساسه ، وهو إيجاد الروح الدينية
للعالم ، والتقرب من الملأ الأعلى وتعمير القلوب بالأنوار الإلهية

والمعارف الوجدانية التي هي غاية الكمال لمرتبة الإنسان والتي
تقربه من الحق جل وعلا . وأنت تجد أكثر القرآن إنما جاء
ليدعوا الناس إلى سعادة وراء هذه السعادة الدنيوية وكال فوق
هذا الكمال الظاهر ،

هذا ولا بأس أن أستمع بالمقارنة والتمثيل بالعلماء الحائزين
لخصال الكمال والمشهورين بأنواعها ، فأقول إن العالم لا بد أن
يكون في جرأة وعقل وفكر وحسن بيان فضيلة الأستاذ الشيخ
محمد عبده وذل وتواضع وخشوع وصلاح فضيلة الأستاذ
الشيخ الشربيني

بل أقول أن العالم الكامل لا بد أن يكون في إقدام عمر ووحلم
الأحنف ، وذكاء إياس ، وتقوى ووجدان الجنيد ، وبلاغة سحبان
وعبد القاهر ، ونحو سيبويه ، وفلسفة ابن سينا ، وفقه أبي حنيفة الخ .
وأقول أخيراً أن العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ما جمع
الغزالي أو يفوقه أو يقرب منه ، وأسأل الله الكريم أن يوجد
بيننا علماء أقوياء كامنين ، يكون هذا حالهم وهذا شأنهم ، إنه سميع
قريب مجيب .

العلماء الحديثون

تهتم فئة كبيرة اليوم بالحصول على شهادة العالمية لأنهم يتصورونها
من موجبات الرفعة والعلو والجاه والشرف . ومن أجل هذا
تراهم متى جازوا الإمتحان ظنوا أنه لا كمال فوق هذا الكمال ،
ولأنهم آملون أن يستريحوا من العناء ويبدلوا العمل والجد لعباً

ولهو أحتى أن أكثرهم لا يلتقى الدرس ويشتغل بالتعليم إلا من باب تأدية الواجب بحسب الظاهر ، ولهذا فهم لا يعينهم أمر العلم ، كأنهم ظنوا ما قبل الامتحان دار الشقاء وما بعده دار النعيم وجنان الراحة من عناء الأشغال الجسائية والعقلية .

وهذا بلا شك غلط كبير ونقص عظيم . أولاً لأن مقتضى ما يمكن أن يحوزه الطالب من المهارة في علوم الامتحان هو على الحقيقة لا يعطى صاحبه حق السكالم في العلم ، بل ذلك كله يعتبر دوراً أول . وثانياً : لأنه على فرض الاستكمال ، فأن هناك من الواجبات على العالم من نحو التعليم الخاص والعلم والإرشاد ، ما ينبغي أن يكون عمله وحده فيها واشتغاله بها أكثر من عمله وجده واشتغاله أبان التعلم .

لهذا فان نصيحتي إليهم أن لا يركنوا إلى الراحة والسكسل ، وأن لا يغتروا بالنجاح في الامتحان ، وأن يعدلوا أن هذا وحده لا يعطى لصاحبه إسم العالم على الحقيقة ، وأن نسبة النجاح في الإمتحان إلى ما يصح أن يعد كمالاً في العلماء كنسبة ذرة إلى دره ، وأنه يجب أن لا يجرموا أنفسهم من السعادة العظمى التي يفتح لهم بابها بالنجاح في الامتحان ، فليداوموا على الاشتغال بالعلم تكميلاً في العلوم الأزهرية ، وابتداء في غيرها مما هو لازم ، ثم فليجدوا غاية الجد في القيام بواجب العلماء نحو الدين والأمة .

وأضم إلى ذلك نصحي بأن هذا اللقب الذي نلناه لا يزال ينادينا بطلب التأهل له من وجهة الأخلاق والعمل ، فإن شهادة

العالمية ليست من الشهادات الفنية، ولا يعد صاحبها معلماً فنيا مجرداً كعلمي المدارس الأميرية مثلاً، بل هي وصاحبها على الحقيقة أعلى من ذلك، وواضح أن شهادة كهذه الشهادة ينبغي أن لا تعطى إلا لأهل العقول الراجحة، وليس لصغار العقول أهل الطيش من الشبان مهما كان ذكاً وذكوراً وتنورهم. ولا ينبغي أن ينالها إلا أهل الأخلاق الفاضلة وإن لم يزيدوا عن درجة التوسط في العلم. وليس لسيئ الأخلاق مهما كانت قوتهم في الأصول والبلاغة والمنطق. ولا يجوز أن يحرزها إلا من يعرف قيمة الدين وأهمية مركز العالمية، لا من يسعى في تحصيلها مجرد أن صاحبها يبجل عند الناس ويحترم. وعلى المجلة فالعالمية وظيفة سامية تطالب الإنسان بواجبات كثيرة وحقوق جمة. ونحن معشر الشبان من العلماء رجالها وحملتها الذين تعقد بأعمالهم آمال المستقبل. فالواجب أن لا نطيع شهواتنا ونخلد إلى الراحة واللهو ونكون صغاراً في الفعل كما نحن صغار في السن. وأن لا نتبع أباءنا فيما وجدناهم عليه مجرد أننا وجدناهم عليه. وأن لا نثق بأفكارنا ونمشي وراءها في كل ما تدلنا عليه، قبل تخوين الفكر وإمعان النظر ومزيد البحث وعظيم التروى، كي لا نعدل عن طريق الحق ونضل ضلالاً كبيراً من حيث لا نشعر. وأن ننظر إلى سائر الأشياء في هذا العصر من حيث إنها قد جرت كلها شوطاً بعيداً في التقدم والإرتقاء تبعاً للسنن الكونية، ليسكون لنا منها عبرة وموعظة تبعثنا على التقدم. ولكن يجب أن لا نزيد في هذا النظر من غير أن نعرف ما هو كما لنا على التحقيق فلا نتسرع وننقل من حالنا الأول، باسم التقدم والترقي وبجارية

الأشياء في تقدمها وانقلابها إلى ما هو ليس كالأشياء لنا ، فيكون حالنا من باب التقليد المضى الناشئ عن الاعتراض وقصور النظر والثقة العمياء بالفكر ،

أقول قولي هذا وأعتقد أني من أكثر الناس قصوراً وتقصيراً وأنه لا أحد أحق ولا أوجب مني لنصيحتي هذه وغيرها ، والسلام ،

دعوة العلماء إلى الاتفاق

لقد أجمع سائر العقلاء من سائر الملل على أنه لا شيء أولى وأنفع من الاتفاق . كما أجمعوا على أن السبب الظاهر لنمو الأمة الإسلامية وانتشار الدين في سابق العصور والعامل في تلك الانتصارات الباهرة التي علت بها كلفة الإسلام في بدء وجوده إنما هو الاتفاق . وأنه ما أضعف الأمة بعد ذلك وأخرها وفرقها أيدي سبا وأوقعها في الذل والهوان تحت الأحكام الأجنبية إلا التفرق والاختلاف وعدم العمل بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقوله (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) وقوله (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) .

وقد كان أكبر عامل في هذا التفريق ، الانتصار للرأى وجعل الخلف في المسائل العلمية والمذهبية مؤثراً على أصل الوحدة ، وقاطعاً للعلائق الشخصية ، ومسيباً للبغض والكراهة . حتى تفرقت الأمة أحزاباً وفرقاً وشيعاً (كل حزب بما لديهم فرحون) ولئن كان الأولون قد اندفعوا في هذا التيار بحسن نية ، مكونين مبادئ الخلف والتفريق ، جاهلين نتائجه المهلكة ،

وعواقبه الوخيمة ، فليس من العقل في شيء أن نوقد نحن الآن نيران هذا الخلاف والتدابير والتخاذل والتحاقد والتخاصم ، بعد مارأينا بأعيننا ، وسمعنا بآذاننا ، ولمسنا بأيدينا ، وذقنا مرارة عواقب الخلاف التي بها وصلنا إلى ما نحن فيه من الذل والهوان .

وإن كان الخلاف مضرا بين سائر الطبقات ، فليس أشد منه ضررا بين حماة الدين ورجال العلم وعلماء الإرشاد ، كما أنه ليس أغرب من وقوعه بينهم ، وهم الذين ينبغي أن يكونوا أسلم الناس بمضاره .

هذا الخلف بينهم أشد خطرا على الجامعة الدينية منه بين الملوك والسلاطين ، لأنهم مصدر القوة العالية الروحانية ، وهي أعلaque ، كما أنها أصل للقوات الحسية التي في أيدي الملوك . فمع اتفاق العلماء ينعدم خلاف الملوك أو يقل ضرورة . ولكن من الأسف أن علماءنا اليوم تكاد أن لا تربطهم إلا رابطة الانتماء إلى بقعة الأزهر مثلا .

خلاف في العقائد ، خلاف في المذاهب ، خلاف في المشارب ، خلاف في المبادئ ، خلاف في الأخلاق ، تحاقد ، تحاسد ، تحاذل ، نظر إلى السفساف ، لا يكاد يخلو مجلس لهم من ذم الآخرين ، يبذل الواحد منهم كل جهد الطاقة في رفع شأنه وتحقير غيره والخط من كرامته ، نحسبهم جمعا وقلوبهم شتى . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ألم تكفنا تلك المحن مواعظ ! ألم تكفنا هذه المصائب عبرا !

ألم تكفينا تلك الدروس التي تلقينا فيها مضار الخلاف مدة ألف وثلاث مائة سنة ! ما هذا الحال ! ما هذا الانقلاب ! ما هذا الذهول أهذه تعاليم دينكم ! أهذه إرشاداته ! أهكذا أوصاكم الله ورسوله ! تالله إن هذا لعار كبير ونقص ظاهر حقونا في أعين الناس ، حتى الأسافل منهم ، وجلب علينا وعلى الأمة أشد المصائب ، وجعلنا منظورين بعين الإزدراء والسخرية والمقت من الناس أجمعين .

مالنا كلما قابل أحدنا الآخر في مجلس أو طريق ، نفخ كل منهما كبيرا وتكبيرا ، وأراد أن يعلو على الآخر ويفوقه وينظر إلى الثاني نظر الاحتقار (اللهم إلا في قليل الأحوال) .

مالنا كلما اجتمعنا يتصور كل منا لنفسه ناموسا وهميا يحافظ عليه ولو بنصرة الباطل .

مالنا كلما اجتمعنا كان هم كل أن يظهر على غيره فضله وعلمه . مالنا يسيء أحدنا ظنه في الآخر لأقل حادث ، بل وبدون سبب . مالنا يفتاب بعضنا بعضا بحق أو بدون حق .

مالنا نستعزى ونزدرى بمن يرى أننا يجب أن نكون على أحسن مما نحن عليه ، مالنا نناق مع رؤسائنا ، فتن جلسنا إليهم وافقناهم ، ومتى فارقناهم ذمناهم ، بل مالنا نخاف منهم فلا نتذكر عليهم في مواجعتهم ما راه غير موافق ، ولكن مع حسن النية وتام الأدب .

مالنا نرضى بتضحية المصلحة العامة في سبيل المنفعة الخاصة . مالنا كل يعد غيره جاهلا وأنه هو المنفرد بالعلم . مالنا لا نتناصح . مالنا لا نتصافى . مالنا لا نتواد . مالنا لا نتحاب .

مالنا لا نؤلف المجتمعات النافعة ، ونشرع في المشروعات المفيدة
لنا وللأمة . مالنا لا يشد بعضنا إزر بعض . مالنا لا يحس أحدنا
بالواجبات التي لأخيه وللأمة عليه . مالنا جمدنا على حال واحدة
فلا نرضى سواها وإن كان سواها حقا . ومالنا لا نحسن النظر
ونأخذ من كل شيء أحسنه . مالنا نكره الإصلاح وإن كان لنا
فيه تمام العز والشرف . مالنا لا نتمحقق بالخضوع والتذلل والتواضع
وهي أصول الخير وأسباب الفلاح . مالنا متى رأينا عورة
لبعضنا ، أحببنا أن تظهر . مالنا يحقر كبيرنا صغيرنا وصغيرنا
كبيرنا . مالنا لا نسعى في إعلاء كلمة الله وترقية أمتنا وإصلاح
مفاسدها ، مالنا . مالنا . مالنا . وكم ألف ألف مرة أقول مالنا ،
ألسنا نخاف الله ! ألسنا نخشى العقاب ! ألسنا محاسبين أمام الله !
أليس مردنا إلى الله ! لا حول ولا قوة إلا بالله . تالله إن الدنيا
يخذا فيرها لأحق من أن تفرق بين اثنين من المسلمين ، يخافان الله
ويعلمان أن الدنيا لا تدوم . وأن الأشياء كلها فانية .

أما نعلم أن الشعور الديني كاد أن يتلاشى من نفوس كثير
من المسلمين ، خصوصا المتنورين وأهل الطبقات العليا ! أما نعلم
أن تيار التمدن الأوربي وسيله الجارف ، قد زحزح أمور الدين
الثابتة لجهل الناس بأن التمدن لا ينافي التدين ، أما نرى ونبصر ،
أن الدين . قد انحاز بأهله وصار يعتبر من الأحوال الشخصية
والأمور الإستحسانية التي تختلف باختلاف الأذواق ! . أما نعلم
أن الأمة واقعة الآن في بيداء جهالة مظلمة ، فهي ما بين اعتقاد
عقائد مضلة بل مكفرة . وما بين اعتقاد خيالات وخرافات ! .

أما نعلم أن الأمة قد لامست قلوبها مقدمات المبادئ التي تقودها
لخلع ربة الدين ، وحلت في صدرها طلائع أمكروبات الجحود
الزاحفة ! أما نعلم أن أعداء الدين يستعملون كل حيلة في سبيل
تنصير المسلمين ، ويبدلون في ذلك النفس والمال ! أما نعلم أن
شبهها كثيرة وكتبها جديدة تنشر كل يوم في الطعن على الإسلام
والرسول ! أما نعلم أن هناك أقواما يبذلون جهدهم في أن يترك
المسلمون الإسلام ويعتقدوا ديناً جديداً ، وقد اتبعهم كثيرون
من المسلمين في غير هذه البلاد ! أما نعلم أن الأمة خذلت وضاعت
وتفرقت في أيدي الأجانب كالسي !

كل هذا لا نفكر فيه ، ولا نحس به ، ولا نتألم منه ، ولكننا
نشغل من العلم بتحقيق بعض معان خيالية لا أثر لها في الخارج .
ثم يكون الأمر المهم والشغل الشاغل (أنا مستحق كسوة تشریف .
أنا مستحق النقل . لماذا فلان يأخذ بدل كسوة وأنا لا . لماذا
ينقل للدرجة الأولى وأنا لا . فلان جاهل . فلان وقع . هل طلعت
اليوم عند المفتي . أنا طلعت . ذهبت اليوم لزيارة شيخ الجامع .
ماذا عملوا اليوم . سيقبلون كيان الأزهر . شيخ الجامع لا ينفع ،
فلان بتداخله تحصل على كذا . الشيخ فلان يكره فلان . فلان
محسوب المفتي . فلان محسوب الشيخ . فلان رجل بطل ، فلان
رئب في جامع كذا ، فلان عطل على فلان) إلى غير ذلك من
الأمور التافهة المحزنة التي تدل على ما تدل عليه .

ولهذا ، فها أنا المسكين ، أتجاسر وأدعوهم جميعاً باسم الله إلى
المحبة والصفاء والاتحاد والتعاون والاتفاق ، وعدم الاعتناء

بتافه الأمور ، وعدم تقديم المصلحة الشخصية على العامة ، وعدم الإيذاء ، وعدم الغيبة ، وطلب الكمال من أوجه الحقيقة والحرص عليه والالتفات نحوه والتنافس فيه ، وعدم الجود على حال معين ، وعدم الاستبداد بالفكر ، وأن لا ننظر إلى الشخصيات بل إلى المميز النوعي ، الذي نصير به نوعا واحدا بإزاء أنواع كثيرة وفرق متعددة من الناس .

وأدعو كبراءنا وعظماؤنا ورؤسائنا إلى القيام بهذه الدعوة ، وتأييدها بالتنازل وحسن التأليف ، وعقد المجتمعات ، وبذل النصح ، والتجيب للأصاغر والأكابر ، والتجاوز عن السيئات ، والكف عن الغيبة ، فإن مقالهم يسمع وأمرهم يتبع وحالهم يقتدى به ، وهم أولى الناس بذلك . والله ولي التوفيق .

نبيل العالمية

علينا بما تقدم أن العالمية حمل ثقل وأمر خطير ووظيفة سامية وأمر عال لا ينبغي أن يعطى جزافا ولا أن يحابي فيه . فإن أشد النقص نقصا وأكثر التهاون ضررا إسناد العالمية لغير أهلها ، لأن في ذلك خطرا على الدين ، إذ العلماء أصله وحماته وحراسه ودعائمه التي يستند إليها ، بل أساسه الذي يبنى عليه ، والخطر لا يأتي على الممالك إلا من ضعف حاميتها ولا على الملك إلا من عدم كفاءة حراسه ، والخشية على البناء القائم تتوقف على دعائمه وأساسه الذي يقوم عليه .

إني لا أجد ارتباطا بين شيئين ، أو أمرا له دخل في جميع

أجزاء الآخر ، أو سببا يتوقف عليه وجود المسبب ، ، أكثر من الارتباط بين كفاءة العلماء وبين قوة الإسلام وعلو كلمة الدين وتقدم المسلمين . ومن أجل ذلك فإني لا أجد أمرا يستحق العناية والتروى والتحفظ والتأمل وإمعان النظر من قبل الإقدام عليه ، كما يستحق موضوع إسناد منصب العالمية إلى طالبه .

ولذلك فإني أغمض عيني عمدا لكي لا أرى اشمزاز وغضب بعض العلماء والطلاب ، وأقول موجها وجهي للحق ، إن طريقة الامتحان الآن معوجة وغير كافية ، بل ومؤدية إلى ضرر بين وانحطاط شديد وفساد ظاهر .

وبيان ذلك أن هذه العالمية يجب أن لا تكون مأخوذة بالمعنى اللغوي حتى يكفي فيها مجرد العلم ، كما أنها يجب أن لا تكون من المعاني الاصطلاحية حتى يكفي فيها مجرد المواضعة والاصطلاح على أن من كان كذا فهو عالم ومن لا فلا . وإنما هي منصب الرئاسة الدينية والوراثة لمقام النبوة والقيام بخاصة ما كان يقوم به سيدنا الرسول من واجب الهداية والإرشاد .

فهى بهذا لا يكفي فيها علم ما ، ولا كمال العلم فقط ، بل لابد أيضا من الكمال فى الأشياء الأخرى المبينة فى باب كمال العلماء . ولكن الجارى الآن أنهم يكتفون بمقدار من العلم دون القدر اللازم ، ويهملون ما عدا العلم من الواجبات الأخرى التى لابد منها وضرورة العالمية اليها كضرورة الشيء إلى نفسه أو جزئه . فالكلام إذا فى أمرين ، الأول إهمال ما عدا العلم من الأمور اللازمة ، والثانى الاكتفاء فى العلم بما لا يكتفى .

أما الأول فمن الواجب أن الطالب لا يكون عالماً إلا إذا تحقق من كمال استقامته . وحسن سيره وسيرته . ووفور عقله . وحسن خلقه . وعلو همته . وعدم جبنه . وعدم جموده . وعدم جرأته على انتهاك الحرمات . وعدم كذبه . وعدم تمسكه بالعادة . وعدم طيشه . وعدم ثقته بفكره وكذلك ألا إذا وعلبت عقائده ، وأمياله ، وأنه إلى أي غاية يرمى ، وعلى أي مبدأ يسير . . إلى غير ذلك من الأمور التي يجب تحققها في العالم من حيث هو قدوة للأمة ، وإمام للناس . وصاحب الإرشاد وتهذيب الأخلاق ، وإصلاح الفاسد وهداية الضال ، وأقرب الناس إلى صاحب الشريعة (بحسب ما يجب لا بحسب ما هو موجود) .

ولكن مما يوجب الأسف أنهم اليوم يهملون هذه الأشياء إهمالاً كلياً ولا ينظرون في الامتحان إلا للمجرد الإجابة فيما اعتادوا أن يسألوا فيه من مسائل العلم . وفي ذلك الخطر المحقق على العلم والدين والأمة . وكيف لا وليس في برنامج المدارس الدينية ولا نظامها ضماناً للاستقامة ولا حسن الأخلاق ولا شيء مما تقدم بل ليس فيه ضماناً للقدر المطلوب من العلم في الامتحان الآن أيضاً . فهذا يحصله عدد أقل من الواحد في المائة من الشباب الأذكياء بجدهم واجتهادهم . ولكنهم في غيره على حال الصدفة والإتفاق الأولى .

أليس من العجيب أن يبلغ التهاون في إعطاء منصب العالمية إلى حد أن يأتي الطالب أمام لجنة الامتحان وهو غير معلوم أصلها ليؤدي الدروس المعينة له . من غير أن يعرف هل هو من الفاسقين

أو المتقين . من الزائعين في الاعتقاد أو من المعتدلين . من غير أن يعرف مبدؤه ولا مشربه . من غير أن يعلم هل هو سيجلب للعلماء نفرا وشرفا أعلى ، أو سيورثهم بفعله عارا وصغارا لا يحصى مدى الأبد . أليس من العجيب أن هذه الزمرة من الشبان الذين نشأوا أمراء نفوسهم وقوادها إلى خير أو شر ، والذين لم يذوقوا طعم التربية ولم يحسوا بالواجب الإنساني فضلا عن الديني ، ولم تسمو مداركهم ولم تستكمل عقولهم ولم يعرفوا للعالمية قيمة إلا أنها ذلك الشيء الذي يورث الألفة والاستكبار وانتهاء التعليم وكون الانسان أهلا لأن يحترم عند أبناء جنسه وأمثاله وتقبل يده من صغار التلامذة المتعلمين . . يدخل هؤلاء الامتحان وبكل سهولة تعطى لهم الدرجات العالية متى وجدوا نابغين في فهم (مسألة الأمر بواحد أو مسألة مطلق المقدور . والإيراد المذكور) !!

أنا لا أريد أن أتكلم عن أن الذين دخلوا الامتحان كاملون من هذه الوجهة أو غير كاملين ، وإنما أريد أن أقول ان طريقة الامتحان ليس فيها أدنى ضمانه لتحقيق السكمال ، وأنه على فرض حصوله فهو من باب الصدفة ، ومشيشنة الأزهر مقصرة على كل حال .

أنا لا أرى خطرا أكثر من ترقية من لا يستحق ، خصوصا من هذه الوجهة . ولئن يكون العالم ضعيفا في المعلومات ، كاملا من هذه الجهة ، أخير من العكس .

أنا لا أنكر أن معرفة الحقيقة في هذه الأمور صعبة ، وربما أدى البحث إلى تأخير بعض المستحقين ، ولكني أرى هذا أهون

من إعطاء العالمية حدث أو شيوخ من أهل الصفات البيهيمية
والأخلاق الحيوانية ، ممن يجلبون العار للإسلام ، بل ممن يعملون
لمحو الدين ، من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

قد يكون في طلاب الامتحان أهل الجهل المركب (في غير
مسائل الأصول والنحو وغيرها من مواضيع الامتحان) ، أو أهل
الثقة بأنفسهم والغرور بأفكارهم ، الذين متى صاروا من العلماء
بشوا مبادئهم الخبيثة بين الناس .

قد يكون من طلاب الامتحان أهل الجمود الذين يقفون عقبة
في طريق كل تقدم ، كما قد يكون منهم أهل الصفات الدنيئة الذين
يحطون من قدر العالمية والعلماء .

قد يكون منهم أهل الرعونة والطيش وسوء الخلق ، بل وسوء
الاعتقاد و . و . و . الخ .

ولهذا فيأني أرى أنه لا بد من التشديد في ذلك . وأن المسؤولية
في هذا على المشيخة الأزهرية ، التي يجب أن تخصص شطرا عظيما
من أعمالها لأمثال هذه المباحث ولمثل هذا التحرى .

ولأجل ذلك فلا بأس من تقليل عدد الممتحنين إن دعت
الضرورة ، فإن الكثرة على هذا الوجه مضرة ، والعاملون عليها
إنما يعملون لاتساع الخرق وإعضال الداء ويفتحون بابا يدخل
منه اللصوص والسفلة إلى أعلا المقامات وأشرفها . وواحد كألف
وألف كل شيء . ويكاد يكون هذا هو المحقق اليوم .

ولا يتوهم أحد أن الشهادة في الأزهر كالشهادة في مدارس
الحكومة مثلا ، تعطى لكل طالب نابغ في العلوم ، فإن تلك شهادة

فنية ، المدار فيها على العلم ، أما هذه فشهادة رئاسة دينية ، لا بد فيها من العمل مع العلم .

ومن هنا يمكنني أن أقترح انه إذا لم يمكن الجرى على ما رأيت أولاً ، فليجعل هذا الامتحان فنياً ، وليدخل فيه من شاء من الطلاب ، ولكن على شرط أن لا يعطى فيه لقب (عالم) بل (مدرس) مثلاً ، فيكون هناك مرتبتان ، ولا يرقى إلى العالمية إلا الواحد بعد الواحد ، ممن توجد فيهم الكفاءة والأهلية ، بقطع النظر عن التقدم في السن أو طول مدة التدريس .

وهناك من الواجبات الأخرى ، إحسان التعليم ، وبديهي أن ذلك لا يستلزمه الكمال في العلم ، وهو مع ذلك من أهم المهمات التي يترتب عليها سعادة الطلاب أو شقاؤهم . فمن الواجب ملاحظة ذلك في إعطاء العالمية . ولا بأس أن تعتبر هناك درجات متفاوتة في التعليم حتى يكون هنالك من يحرز الدرجة الأولى في العلم والثانية أو الثالثة في التعليم وأن يعتبر لهذا المعنى إمتياز آخر . وأما الأمر الثاني ، وهو الاكتفاء من العلم بما لا يكفي ، فذلك من وجهين . أحدهما الاختصار على بعض العلوم والثاني الاختصار فيها على ما هو أقل من اللازم . وبديهي أن العالم لا بد له من شيئين ! فكر وقاد ومعلومات كافية . ولكن يظهر أنهم اليوم لا يعولون إلا على أصل التمييز والفكر ، بقطع النظر عن المعلومات ، حتى أنني سمعت من أحد أفاضل علماء الامتحان ، أنهم يكتفون بأن يقرروا الحق للطلاب فإن أمكنه أن يعيده كما قالوا ، كان من الناجحين . وهذا خطأ بين ، فالواجب أن لا يكتفى

بأصل الذكا ، بل يكفي أن يكون فيه متوسطاً على الأقل ، ولكن المعلومات لا بد منها ، لأنها هي التي تفصل العالم عن غيره من سائر أفراد الأمة المتقنورين . وما أجدر العالم الذي لا تكون عنده المعلومات الكافية بأن يسمى (عالم المراجعة) ، وأن يسكن المكاتب العمومية ولا يخرج منها ، لكي لا ينسلخ منه معنى عالم . ولذلك أرى أن يكون من شروط النجاح ، أن يحفظ طالب الامتحان في كل علم متناً متوسطاً على الأقل ، يفهمه ولو فهماً بسيطاً ، وليكن من ذلك القرآن ، فلا بد من التأكد من حفظه ، ولا بد من العناية بالتفسير ، بحيث تكون أقل مراتب النجاح فيه أن يسأل عن المعنى البسيط لكل آية فلا يتأخر في الإجابة . وكذا لا بد من العناية بالحديث ، فلا بد من معرفة المصطلح ، ومن التأكد من أن الطالب أكثر الاطلاع على كتب الحديث . ولا بد أن يحفظ طالب العالمية متن مائة حديث من جوامع الكلم والأصول الكلية على الأقل . وفي علم الأصول لا بد من الإفاضة في بيان مدارك المجتهدين على الوجه المقبول ، وترجيح أحدها بادلة معقولة . وفي النحو والصرف لا بد من التأكد من أن الطالب لا يلحن ولا يخطئ . وأنه يمكنه قراءة العربية على البديهة بلا لحن ، والتكلم بها كذلك . وفي البلاغة يجب أن تعرض آيات وجمل من الكلام عليه ، ليبين ما فيها من نكات البلاغة ، وليفيض في بيان ما فيها من أوجه الحسن التي يقبلها الذوق ، وما في غير الآيات من ضد ذلك إن كان . وليكن هذا كله بعبارات بليغة مؤثرة . وفي المنطق لا بد من التأكد من أن له فيه ملكة يمكنه بها ملاحظة

أصوله فيما يستعمل فيه فكره بسهولة . وفي التوحيد لابد من التأكد من الاطلاع على كثير من الآراء والمذاهب الفلسفية وغيرها ، ومعرفة تاريخ مذاهب التوحيد . ولا بد من عرض مسائل خلافية عليه ليقرر رأيه فيها ، بقطع النظر عن المكتوب . كما أن لابد من حفظ متن تهذيب الكلام على الأقل .

وفي الفقه ، لابد من التأكد من الإلمام بفروع مذهبه على الأقل ، بحيث يمكنه أن يفتي كل من يستفتيه بالحق . أما العلوم اللازمة زيادة عن هذه ، فهي بقية العلوم المبينة في (باب العلوم) ، فلا بد من التأكد من الإلمام بالمقادير اللازمة منها ، الموضحة هناك أيضاً .

وقبل النهاية لابد أن أنه إلى وجوب الاختبارات العمومية التي يختبر بها الاطلاع والتنور العالم ، والفكر المعتدل ، والنظر السليم . كما أنه لابد من التأكد من لجرأة ، وقوة الانشاء ، والتأثير بالعبرة والخطابة الخ الخ والله ولي التيسير .

مرتبات العلماء

إذا قيل للبؤس أين تسكن ، فلا شك أنه يخص بيوت العلماء المدرسين بالإشارة . وإذا قيل للفقر وسوء الحظ من ترافقان ، أشارا إلى العلماء . أي نعم هم التعساء البؤساء أهل ضنك العيش والفقر المدقع . هم أفقر الناس وأشد هم احتياجاً . في حين أنه كان ينبغي أن يكونوا من أغنى الناس واهدأهم بالاً من جهة حاجيات المعيشة . ذلك لأنه لا شيء أحوج إلى صفاء الفكر وراحة البال

وعدم الاشتغال بأمور المعاش من العلم والاشتغال به . وفي ذلك من الأمثلة ما هو كثير مشهور . روى عن أبي يوسف أن جاريته قالت له يوما وهو نازل « فرغ الدقيق » . فدهش ولم يدر أصاعد هو أم نازل ، وذهبت من فكره كذا وكذا مسألة من أصول العلم ولم تعد له . وحكوا عن الإمام الشافعي أنه قال : « لو كلفت بملح الطعام ماتت العلم » . وقد لاحظت الشريعة هذا الحال ، وأن المجتمع في أشد الحاجة إلى مثل هؤلاء العلماء ، ففرضت لهم الكفاية من بيت المال . إلا أنهم اليوم لهم حال يبكي العقلاء ويضحك السفهاء . حال لا يرضاه سواهم ولا يعيش به غمهم . حال لا أدري أأتخذه عذرا في عدم قيامهم بالواجب عليهم (كما يقولون) ، أم أقول إنه جزاء من الله على تقصيرهم ، أم أقول إنه بلاء ابتلاهم الله به .

لعل كثيرا من الناس لا يعلمون أن العلماء ، في مرتبتهم ، لا يساؤون الفعلة وخدمة البيوت ، وإن ما يتقاضونه من المراتبات لا يقوم بحاجة أقل إنسان معه زوجته فقط ، فما بالك بالعالم وقد تبلغ عائلته العشرين .

تالله إن ذكر مرتبتهم مخجل . فلربما أنقصهم هذا في أعين من يرى أن قيمة الإنسان على قدر مرتبه ، وهو الفكر السائد عند أكثر الموظفين ، ولكن لا بد لي أن أقول : فليأتمس الناس لهم عذرا ، وينظروا إليهم بعين الرحمة والشفقة .

أقول مراتب مع أن الأمر أهون من ذلك وأحق . (٧٥) غرشا لعلماء الدرجة الثالثة و (١٠٠) لعلماء الثانية و (١٥٠) لعلماء

الأولى وقليل ما هم . وقد توجد زيادات لقليل من العلماء قد لا تتجاوز خمسة جنيهاً . هذا في الأزهر ، أما علماء الجامع الأحمدى فليس لهم إلا الشيء القليل من فضل الصدقات الواردة في المقام الأحمدى ، وقريباً رتب لهم مرتبات على الوجه التالى : (٤٥) غرماً لأهل الدرجة الأولى و (٣٥) للثانية و (٢٥) للثالثة وما يحسن إيرادها هنا ما حكاه لى بعض العلماء حيث قال وقسمت مرتبى الشهرى على الدروس التى ألقاها فى الشهر فخص الدرس الواحد ملبان إثنان .

فأى شقاء وبلاء أكثر من هذا الحال ، وكيف يتسنى للعلماء معه القيام بالواجب . ولماذا لا يتعلمون صفات النقص ! ولماذا لا يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً ! ولم لا يكذبون ويخضعون للحكام ولم لا يتملقون وينافقون ويتواضعون فى غير موضع التواضع ! وكيف يمكنهم مع هذا ، التدريس وإتقان التعليم والإرشاد !

تالله إن من يتأمل حالهم يعلم أنهم فى عمل شاق ، وعيشة ضئيلة ، وأحوال لا تتجمع إلا لهم ، ولا يرضى بها سواهم .

كيف يجوز أن يكون أصغر المعلمين فى المدارس الأميرية وسواها لا يقل مرتبه عن أربعة جنيهاً ، ويكون للعالم جنيه واحد ، فى حين أنه يؤدى للامة خدمة أكثر من أى معلم فى المدارس . أنا لا أدري كيف يتحملون هذا الحال السيء ولا يخرجون من الأزهر ليكونوا من معلمى اللغة العربية مثلاً فى المدارس الخارجية ليساوا فى المرتب من هو أقل منهم . لاشك أن الصبر

على ذلك من أعظم ما يمدحون عليه . وينبغي أن يدعو إلى النظر اليهم من أولياء الأمور .

كم من رجلى ذكى عالم فاضل انقطع عن العلم واشتغل بالزراعة أو التجارة لأنه يعلم أن مرتب الأزهري لا ينفعه إن هو اشتغل وصابر حتى ينال درجة العالمية .

كاد الفقر أن يكون كفراً . لو رأى الإنسان العلماء وتهاقهم على صغار الوظائف من نحو خطبة وإمامة ومقراة ، وما يبذلون من ضروب الضعة والخضوع والتذلل في طلب أمثال هذه الوظائف وتزلفهم لبعض الأغنياء ؟ وارتياحهم لقبول بعض الصدقات وإقبالهم على تناول ما يسمونه (إسقاط صلاة) ورضاهم بحريان رسومه عليهم في المحافل العامة لعذرهم وعلم أن ذلك نتيجة الاحتياج ، وأن ما دفعهم إلى ذلك إلا مزيد الفقر وعظيم الاحتياج .

العلماء لا بد لهم من النخوة والشهامة وعدم السؤال من كبير أو صغير . وهذا يستحيل أن يكون مع الفقر . العلماء إذا لم يكونوا في سعة ، لم يتمكنوا من رفع أصواتهم بالحق .

لو تأمل العاقل عيشة العلماء ، وجدها عيشة مرة . فإن أكثرهم لا يتمكن احضار زوجته وأولاده لمصر أو طنطا مثلاً بسبب فقره ، ويظل هكذا طول عمره محروماً من التمتع برؤية أولاده إلا في المسامحات . ومع هذا فمتى جاء وقت المسامحة وجدته في ضيق وحيرة ، لأنه يحب أن لا يرجع لأهله إلا بنفقة وكسوة ، ولكن من أين يتحصل على هذا ومرتبه غير واف بأصل المعيشة ، لهذا هو لا يهنا له بال أيضاً في الأيام التي يمضيها مع أهله في بلده أثناء الأجازة الصيفية .

وقد يقدر الله للعالم أن يوظف إماماً أو خطيباً أو في
مقراً فيتحصل على ثلاثين غرساً مثلاً يضمها إلى ماهيته فيفرح ويأتي
بأهله إلى مقر تدريسه، ولكنه يعيش معهم مر العيش ويدقون
جميعاً من آلام الضيق ما لا يصبر عليه أحد . وربما كانت عائلته
كبيرة فلا يكادون يشبعون خبزاً .

وقد يظل العالم طول يومه مع الناس أو في الجامع يتشاغل
ولا يذهب لبيته، لأن هناك امرأته تطالبه بحاجياتها وهناك ابنته
أو ابنه مثلاً يطالبانه أيضاً بحاجياتهما وهو لا يملك شيئاً من النقود
وهو أيضاً لا يقدر على سؤال الناس فينتظر فرجاً يأتيه من دعوة
لقراءة البخاري ، أو لحضور إسقاط صلاة ، أو استفتاء في مسألة
زوجية ، أو طلاق ، وقد يلجئه الاضطرار في هذه الحالة لأن يفتي
على أهواء من استفتوه بضروب من التحلات والتأويلات ، طمعاً
في نوال شيء منهم، وقد قال أحدهم (نحن مع الدراهم قلقة وكثرة)
العالم ربما يمكث في الجامع يدرس طول يومه مع أن بيته
محتاج للقوت اليومي وليس معه ما يفي به .

فأى حال أسوأ من هذا الحال وأى عيشة أشد ضنكاً من
هذه العيشة أو أى عذاب أكثر من هذا العذاب !

نالله إنى كلما تذكرت هذه الأحوال كدت أقطع أسفاً وتحسراً
على سادق العلماء من أفاضل أساتذتي وإخواني الذين لا راحة لى
إلا في راحتهم وعلوهم وكما لهم ، ولا يهنا لى حال إلا أن أجدهم
فى بسطة من العيش وأعلى مرتبة من مراتب الكمال . (أما أنا

فعندى والحمد لله ما يكفينى (فلأجل هذا أرى أنهم يستحقون
النظر والشفقة من الحضرة الخديوية وإن هذا الإصلاح والكمال
الذى أنا بصده لا يمكن أن يتم إلا بالمساعدة المالية . وخير
ما تصرف فيه الأوقاف الخيرية هو هذا الباب ، (١)

(١) فى هذا الوقت لم يكن للأزهر والمعاهد الدينية ميزانية ضمن ميزانية
الدولة كما هو الآن بل كانت مرتبات العلماء تصرف من إعانات من وزارة
الأوقاف تعطىها للأزهر من الأوقاف الخيرية .

الباب الثاني

في المدارس الدينية

وظيفة المدارس الدينية في العالم الاسلامي

الإنسان بفطرته طالب للخير والسعادة ، ساع دائما فيما يراه كذلك ، كفرا أو إيمانا ، طاعة أو عصيانا .

ثم هو ، على ما أعطى من قوة العقل ، عاجز أن يدرك كل ما هو خير له في الواقع وذلك لأسباب شتى ، أهمها الجهل بعاقبة الامر في المستقبل . ومن هذا تلك الأعمال السياسية التي قد يأتي بها الملوك والوزراء زاعمين أنها تنفع دولهم ثم يظهر بعد مائة سنة مثلا أنها كانت من الغلطات الكبرى .

والشريعة الإسلامية هي القانون المرشد لما فيه السعادة للإنسان في الحال والإستقبال على وجه تقديم الأهم عند التعارض . فإن منعت الشريعة من لذة عاجلة يراها الإنسان بنظره سعادة ، فما هو إلا لأن في عاقبتها عذابا لا توازي لذتها ألمه ، كأكل اللحم للرئيس والعسل المسموم لمن يحبه ،

وإن حثت الشريعة على شيء مؤلم كالجهاد مثلا ، فلأن في عاقبته نعيم أكبر ، وسعادة ولذة لا يعد هذا الألم بجانبها ألما .

فالشريعة لا ترشد إلا لما يطلبه الإنسان بالفطرة ويقر به العقل الانساني إجمالا ، وإن لم يعلم تفصيله .

والمدارس الإسلامية هي الوسطة بين العالم وبين هذا القانون المطلوب بالفطرة . تعرفه تلك المدارس كما ينبغي ، وتقوم بتبليغه ونشره وإيقاف العالم أجمع على حقائقه . وتبذل قصارى الجهد في إقناع المعتقد بأن يعمل وفق تعاليمه وكذلك إقناع الجاحد بأن يعتقد فيه .

وهذه المدارس التي تعلم القانون الإسلامي ، وإن لم يدرس فيها كل شيء ، فهي التي تعلم وتشر مبادئ دراسة كل شيء ، وتحت على ذلك . وهي وإن لم تعلم الحرف والصنائع ، فإنها تعطى القواعد العمومية وترسم الخطط الأساسية التي تقضى بتعلم جميع الحرف والصنائع . وهي أيضا التي ترشد إلى بناء دور العلوم المتنوعة ومحال الصناعة . كما أنها هي التي تدعو إلى السياحة وإلى الأخذ بالحسن من المدنية الحاضرة الخ الخ .

والأمة التي تقوم فيها هذه المدارس الإسلامية بوظيفتها الحقيقية كما ينبغي ، تبلغ في شؤون التقدم والترقي والمدنية والاختراع والاكتشاف والعلم والغلبة على الأمم مبلغ الدول الأوربية الآن ، وتبلغ في السكالم الروحاني والتعبد للآله القادر مبلغ كبار العابدين .

ولكن مما لاسبيل إليه ، القول بأنها الآن حائزة للسكالم في شيء مما ينبغي أن تقوم به أو تكون عليه .

وكيف لا وقد جهل الناس أسرار الشريعة وفقدوا الملكات الدينية والعواطف الإسلامية ، فأصبح الدين الآن قريبا من الشيء الممتن المبتذل بين جمهور الأمة ، بل يكادون أن يروا السعادة في

بجانبته ، وأن يتفاخروا بالابتعاد عنه ، وليس من مرمى أظنارهم العمل إليه ، ولا شيء من مقاصدهم التمسك بحبله . فلقد عدم سلطانه على القلوب وفقدت الرهبة من إنذاره كما فقدت الرغبة في تبشيره ، ولم يعد مما يخطر على البال ، عند التردد في الإقدام على أمر أو الإحجام عنه ، أنه موافق للدين أو مخالف له .

فما هو إذا عمل المدارس الدينية !!!

كيف يقال أن هذه المدارس الدينية الإسلامية قائمة بوظيفتها ، وقد وصلت الأمة الإسلامية في جميع بقاع الأرض إلى أحط دركات الخسف والهوان وتقلبت على نيران الذل والاستعباد وقاست مر الصبر من تحمل فظائع العنف والاضطهاد ! ولا بأبالغ إن قلت أن الأمم الإسلامية الآن كادت تشبه الأمم الاسرائيلية في عهد الفراعنة .

كيف نقول أن هذه المدارس قائمة بوظيفتها حسب ما يجب . مع أننا قد فقدنا صفات الرجولة ، وتلاشت منا صفات العزة والنخوة والشهامة ، ومات عندنا الشعور بالوحدة القومية ، ولم يعد في الحسبان النظر إلى المطالب العمومية أو المصالح المشتركة أو ما يعود على الأمة بالعز والرفعة والتقدم ، بل إن الرجل لا يبالي الآن إلا بما يعود على شخصه فقط من المنفعة المحسوسة ، ولا يأنف من أن يبيع شرف أمته وعزة دينه ببعض منافع شخصية يضمنها إليه ثم يقول هذا خير ساقه الله إليه ، فانهدم بذلك ركن عظيم من الدين وهو ما يتعلق بالوحدة المليية والهيئة الاجتماعية .

وقد بُنى على رسوخ هذا في النفوس أن صار اسم الدين لا يفهم

منه إلا بعض المسائل الدينية الشخصية كالصلاة والصوم والتسبيح .
كيف نقول أن المدارس الدينية قائمة بوظيفتها أو أن هناك
فائدة من وجودها ، وهاهو جمهور الأمة غارق في بحار الجهل
بعلوم الحياة من جهة ، ثم هو أيضا لا يعرف من أمر دينه ما يطابق
الحقيقة أو ما يطمئن به القلب السليم ! بل للأسف قد نقدت من
نفوس الأمة تعاليم الدين وأصوله الحقيقية ، وهي التي كانت تعلو
بأرواح أهله إلى الملكوت الأعلى وتنزلهم منازل السعادة من
هذا الكون .

وقد كان من نتيجة ذلك أن افترق المسلمون ثلاث فرق
الفرقة الأولى وهي جمهور الطبقات العليا من طلاب الكمال ،
وهؤلاء شغلت أعينهم ببارق التمدن الغربي ، ولم يصل نظرهم في
الدين إلى ما وراء حال أهله الآن (أى العلماء وأهل الطرق الصوفية)
فكاد يهجم في قلوبهم هاجس أن الدين ربما كان من الأوهام
القديمة والعادات الأولى التي يجب التخلص منها في هذا العصر المنير
والفرقة الثانية هي أهل الاعتقاد في الدين . وهم إما غريق
في جهالات ، أو أسير لخرافات ، أو تائه في بيداء خزعبلات المدلسين
من اتخذوا الدين طريقا لأموال المعاش . فصار أكثر ما يتناوله
إسم الدين في معتقد هذه الفرقة شيئا يناقض الدين على خط مستقيم .
والفرقة الثالثة هي باقى أخلاط الأمة ، ممن قصر نظرهم عن
إدراك ما وراء المحسوس ، فجروا في طريق الشهوات المادية ،
ثم انخطوا فيها إلى ما هو دون المراتب الإنسانية وهي مراتب
الحيوانية البهيمية .

انحطت الأمة الإسلامية الآن في علوم الدين إلى هذا الحد المشين . ثم هي انحطت أيضا في علوم الحياة والمعاش . مع أنها من العلوم التي يدعو إليها الإسلام ، حتى إنها لتعد من فروضه بل ومن أجل ما يتقرب به الانسان إلى الله . فأصبحت أمتنا الإسلامية بذلك عالة على غيرها في كل شيء ، ودون الأمم في كل شيء ، وأجهل الأمم بكل شيء . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يا عجبا !! أين هي تلك الروح الدينية العالية التي كانت تنقل العربي الجلف الوحشي من دركات الجهالة إلى مقامات العرفان في قليل من الزمان ! ألم تنقله من القصور الحسي وعبادة الأحجار إلى مفصلات العقل والاعتقاد بأله واحد ليس له مكان ولا يأتي عليه زمان ؟ أين هي تلك الملوك الدينية التي كانت تنهض خير الأسلاف من بين أطفالهم ونسائهم وأمواهم إلى اقتحام الأخطار وتحمل مشاق الأسفار في طلب موجبات الرفعة والتقدم ثقة منهم بالنعيم الآخروي ؟ ! أين هؤلاء المسلمون أهل العقول الراجحة ، ممن حققوا العلم ، وفتحوا الفتوحات ، وشيدوا المدن وأحيوا الصنائع ، واستولوا على الممالك .. لأجبا في الرئاسة ، ولا طلبا لأمر دنيوي .. بل جبا في الإصلاح ورغبة في قهر النفوس الجاحدة وإبعادها عن الاسترسال مع الشر .. وكذلك جبا في نشر مبادئ جديدة يكون لها أثر في جلب السعادة لأهل هذا الكون .

وآسفاه.. لقد ذهبت هذه الروح الدينية العالية كما ذهبت تلك
العصور . ولقد أصبحنا الآن على الحال الذى بيناه ، فوضع بذلك
عدم فائدة المدارس الدينية القائمة ، كما وضع عدم تأثير رجال التعليم
الإسلامى الحاليين فى نشر الاسلام وإصلاح الأمة . كما وضع
أيضا أن ذلك السلطان المعنوى الإسلامى القاهر قد أصبح أسيرا
وسجيننا بين يدي زنادقة الأوهام والخرافات ، وأنه لم يجد له
من رجال التعليم الإسلامى معينين ولا نصيرين ، إلا نفرا يسيرا .
أنا بعد هذا فى حاجة للتدليل على أن هذه المدارس الدينية
معدومة الفائدة اليوم وغير مؤدية وظيفتها للعالم الإسلامى وأنه
من واجبنا النظر فى أسباب هذا النقص ، وكذلك النظر فى
طرق إصلاحه !! ،

إن هذا وذاك هو مانعني بمقالنا هذا . والله الهادى إلى ما فيه
خير العباد .

النظام الداخلي

للمدارس الدينية

لا أظن أنه يوجد في العالم نظام مختل اختلال النظام الحالي في نحو الأزهر الشريف .

ذلك لأن آباء الطلاب يرسلون أبناءهم إلى هذه المدارس حبا في الدين ورغبة منهم في تلقين أولادهم العلم . وهم في سبيل ذلك ينفقون عليهم ما قد يكونون هم أنفسهم في أشد الحاجة إليه . كما أنهم يتحملون ابتعادهم عنهم وقد يكونون محتاجين لمعاونتهم لهم في زرع الأرض وحصدها فإنه معروف أن معظم طلاب الأزهر من الفلاحين الفقراء وأن ذويهم يقاسون في معيشتهم شيئا كثيراً من العسر .

ومع كل هذه التضحية من جانب أهل هؤلاء الطلاب فإن إدارات المدارس الدينية لا تولى هؤلاء الطلبة حين يفدون إليها أية عناية ، فلا مرشد لهم فيما يجب عليهم اتباعه في أول عهدهم بالدراسة ، ولا محاسب لهم على مواظبتهم على الدروس وتلقي العلم ، ولا مراقب لهم في حسن سلوكهم واستقامتهم واتصافهم بالخلق الحسن .

من ذلك أن الطائب حين قدومه للأزهر قد لا يعرف أن عليه أن يقدم طلبا بالانتساب للأزهر لكي يثبت له وجود رسمي في طلب العلم ، وهو في الغالب لا يعرف ذلك إلا مصادفة من أحد أولاد بلده مثلاً بعد أن يكون قد أمضى شهوراً بل وسنين وهو غير منتسب ، مما يؤخر عليه كثيراً من حقوقه . كذلك هو يظن أن

طلب العلم ماهو إلا أن يجتمع الطلبة حول شيخ من الشيوخ ، فيلقى هذا إليهم كلاما ما ، فإذا ما وجد الطالب أمثاله أو أبناء بلده يجلسون إلى شيخ معين جلس معهم ، ثم انصرف أيضا معهم ، من غير أن يفهم شيئا مما قاله الشيخ . وقد يبقى الطالب سنين عديدة غير فاهم شيئا أبدا . وذلك لأن الشيخ لا يعنى بتفهم طلبته ما يلقى إليهم من العلم إذ هو لا يلاحظ أى طبقة من الطلبة عنده حتى يلقى عليهم المناسب لعقولهم وأفهامهم ، بل كل همه أن يلقى إليهم شيئا مامن العلم وبدون أى اكتراث..، لكي يقال إنه قرأ كتاب كذا أو ابتدأ في كتاب كذا.. أو لكي يقال أنه قرأ إطلاقا.. وإذا أراد الطالب الانتقال من حلقة شيخ إلى حلقة شيخ آخر ، فعل ذلك بدون أى رقيب ، وبدون أن يعلم كلا الشيخين شيئا عن ذلك . وأما عن سلوك الطلبة واستقامتهم أو عن مواظبتهم على الدرس فلا يوجد أى رقيب يراقب ذلك . وإذا فسدت أخلاق طالب فقلع السكر أو الزنا لم يجد من يردعه أو يزجره أو ينصحه . أما القلة التي وفقها الله للاشتغال بالعلم بما وهبها من استعداد فطرى لذلك فالطالب فيها لا يجد أحدا يأخذ بيده فيه أو حتى من يرشده إلى الكتب النافعة أو الخطة المفيدة له ، بل هو يبقى في تخبط وخلط وتشويش وأخذ ورد حتى تساعده العناية الإلهية فيتحصل من نفسه وبعد جهد جهيد وزمن مديد على شيء من العلم يتأهل به لدخول الامتحان .

وبالجملة فإن الطلبة في جميع الأحوال العلمية وغيرها موكول أمرهم لأنفسهم . وليس للعلماء من عمل إلا أن يجلسوا بجوار

أعمدة المسجد ليأتى لهم منهم من يأتى ، فيلقون إليهم دروساً عقيمة ،
وهم لا يبالون أفهمها الطلبة أم لم يفهموها . كما أن حضور الطلبة
لهم وعدمه ، يقع باختيار الطلبة وعلى وفق شهواتهم .

أما مشيخة الأزهر فليس لها عمل إلا أنها ، فى بعض الأحيان
عند ابتداء الدراسة أو عند انتهائها تنادى الطلبة بأسمائهم ، فمن
كان موجوداً أثبتته ، ومن لم يكن موجوداً حذفت اسمه وقطعت
جسريته .

وليس للمشيخة أى رقابة فيما إذا كان الطلبة قد غابوا عن
الدروس أو لم يغيّبوا ، فهموها أو لم يفهموها ، تقدموا فى العلم
أو لم يتقدموا ، حسنت أخلاقهم أو فسدت !!

وعلى الجملة فإن المشيخة لا تعرف الطلبة معرفة ترباوية أبداً ، كما
لا تعرف أحداً منهم معرفة علمية . إلا من أتى لها من نفسه طائفاً
مختاراً فى أخريات دراسته لكي تتممحه امتحان التدريس .

هذا هو الحال الآن فى نحو الأزهر الشريف . ولا شك
أنه حال سيئ ومؤخر ، مفسد للأخلاق ومضيق للعقول . حال
لا يمكن أن يقال فيه إلا أنه الهمجية الصرفة .

فيا حسرتى على هذه الآلاف المؤلفة من الأنفس الضائعة التى
كانت مستعدة لأعلى مناصب الرفعة والعلو . وعلى تلك الأغصان
التى كانت قابلة للنمو من الشبان الذين وفدوا على المدارس الدينية
ليتزودوا بالعلم . فضاعوا فى تلك الهمجية ولم يلبث أن فسد استعدادهم
وتبدلت معاملهم وانطبعت فيهم ملكات الجود والضعف والانحطاط
وفساد الأخلاق ونحو ذلك .

يا حسرة ويا ألف حسرة على هؤلاء الطلبة الذين يفدون نحو

الآزهر الشريف ليتعلموا فلا يجدون مرشدين لهم ، مع أنهم لو وجدوا مرشدين كما ينبغي ، لخدموا البلاد ونفعوا العباد ونشروا العلم والدين ونصروهما ، ولو وجد منهم الحكماء والأساتذة ومن يأخذ بأيدي الشعب إلى أوج الفلاح والسعادة .

يا حسرتاه على هذا الشاب المسكين الذي يبعثه أبوه إلى نحو الأزهر الشريف ويبعث أخاه إلى مدارس الحكومة ، فلا يمضي على من ذهب إلى المدارس السنتان أو الثلاث إلا وقد ذهب شوطاً بعيداً في العلوم والمعارف واتساع دائرة الفكر والتعقل والإلمام بالآحوال العامة ، والاتصاف بحسن الأخلاق وتمام الأدب ، في حين أن أخاه الذي ذهب إلى الأزهر لا يزال كما هو أو أنه قد انحط عما كان .. وتكون النهاية أنه يكون عالة على أهله أو أخيه الذي ذهب إلى المدارس ، أو أن يعود لبلده ليكون من المزارعين في الحقول .

كم من شاب ذكى في نحو الأزهر ضاع سدى بسبب إهمال تعليمه .

كم من شاب جاء لنحو الأزهر وهو في غاية الحياء فتعلم فيه الوقاحة والغلظة .

كم من شاب جاء نحو الأزهر وهو متصف بالتقوى والخشوع فتعلم الفسق والفجور ، بل وشرب الخشيش والخمر .

كم وكم . وإلى متى أقول كم وهي في هذا الباب كثيرة لا تحصى ، وكلها من نتائج اجتماع الشبان بلا قائد ولا مرشد ، ولا مؤدب ، وبلا عمل مشغل لهم .

على أنى لا أحتاج فى هذا الباب إلى إسهاب مادام أمر الطلبة الأزهريين قد أصبح معلوماً ومشهوراً إلى درجة أن صبيان مصر اتخذوا كلمة (مجاور) علامة السخرية والهزأة ، وصارت تلك الكلمة عنوان الانحطاط ، حتى كأن الطالب (المجاور) عندهم من غير طبقة باقى الناس ، كأنهم هم الجنس الدنى المزدرى المحقر ، مع أنه كان ينبغى أن يكون الجنس العالى المحترم الذى يتشرف بالانتساب إليه ، إذ لا أشرف من الانتساب إلى العلم الدينى .

ولو نظرنا بعين التأمل فى أحوال الطلاب وصفاتهم لوجدنا للناس بعض العذر فى هذا التحقير ، ولكن يجب أن يفهم أنه ليس للطلاب ذنب فى قصورهم الذى أدى إلى تحقيرهم ، أذ أن المسئولية فى ذلك تقع فى الحقيقة على الرؤساء فى إدارة الأزهر فبئس ما كانوا يصنعون .

وإن تساهلنا وقلنا أن هذا التحقير لا يعم سائر الطلاب ، رأينا أيضاً أن أكثر الفريق المستثنى هو بمن تثن البلاد وتشكو منه من الشكوى ، وأعنى به فريق الأذكىاء الذين عاقبتهم الهمجية الأزهرية عن أن يستفيدوا من ذكائهم ، فتحول بذلك استعدادهم من الخير إلى الشر وانقطعوا عن طلب العلم ، وساروا فى البلاد يفسدون ويحدثون القلاقل ، حتى أنه صار من الشائع أنه لو بحث وفتش عن سبب ومصدر أى فساد ظهر فى البلاد لتبين أنه أحد الطلبة المنقطعين . هؤلاء هم طلاب العلوم الدينية الذين كان ينبغى أن لا يضاهيهم أحد فى علو الأخلاق وحسن الاستقامة وتمام الحكمة !!!
لو سألنا المرأة على انتهاك حرمت الله أين تسكن لأشارت

إلى رءوس كثير من الطلاب الذين لا يأخذون أحكام الشريعة إلا مأخذ التصور والمعرفة الظاهرة دون التأثير والانفعال الذي يجب أن يصدر عن العلم . ومن أجل هذا فأننا نجد أن أكثر طلاب العلم لا يزيد اعتقاده أو علمه عما أخذه عن آباءه في بلده وإني لأعرف أقواماً من العلماء لا تزال لهم لحنات في بعض أركان الصلاة لصقت بهم منذ طفولتهم ولم يؤثر فيها العلم تأثيراً ما . فليثل هذا الحال الداعي إلى الوبال ينبغي أن تسترسل الدموع الغزار من أعين الأحرار أهل الغيرة على أنفسهم وملازمهم ، ولما لافاة هذا النقص ينبغي أن تستلقت الأنظار وتمحول الأفكار . والله هو الهادي إلى الصراط المستقيم .

معارف الطلبة العمومية

كان من نتيجة هذا النقص أيضاً أن قلت عند طلبة الأزهر درجة المعارف العمومية التي تلزم للإنسان في هذا الزمان ، فمن البديهي أن الشخص لا يمكنه أن يعيش عيشة راضية في هذا المجتمع الإنساني الحاضر إلا إذا ألم بكثير من أحواله وأوضاعه الجديدة . ولكن طالب العلم الأزهرى يحفل كل شيء من هذا القبيل ، حتى أنه يحفل طرق المواصلات ودخائل البلاد و اصطلاحات الناس ورسومهم ، بل وأنواع الغذاء وضرور المعيشة وحاجياتها . ولا يعرف أكثر المسكتشفات اللازمة ، وهو محروم من الانتفاع بأكثر الأشياء التي قدمت للإنسان ونفعته .

مسكين هذا الطالب الذي يحفل ما بين يديه وما خلفه وما عن

يمينة وشماله وما فوقه وتحتة ، ولا يزال في بيت مظلم من الأوهام
سارح البال مديم التفكير والاجتهاد في أشياء بسيطة وأمور
خيالية أو لفظية كان من السهل الحصول عليها في وقت أقصر مما
يضيعه فيها ، ويستفيد بباقي الزمن فيما ينفع من العلوم الأخرى .

معيشة طلاب العلم

يعيش طلاب العلم في المدارس الدينية معيشة سيئة خشنة
ليس فيها شيء من النظام . معيشة تمثل الهمجية وتشير إلى الجود
والانحطاط وتبتعد عن آثار العقل .

ولست أقصد إلى أنهم ليسوا في بسطة من العيش أو أنه ليس
لهم ثروة تحقق لهم أسباب الترف والرفاهية البالغة . فإن ضيق
العيش وعدم وجود الثروة لا ينافي إحسان المعيشة وترتيبها على
وجه يحصل شيئاً من السعادة والهناء .. ولندكر مثالا لذلك حالهم
في المسكن والملبس والغذاء .

فأما مساكنهم ، سواء أكانت داخل المدارس أو خارجها ،
فهي من أقذر المساكن وليس فيها شيء من معنى الترتيب في الأمتعة
المودعة بها .. ومع هذا فهم لا يتألمون من ذلك ولا يشعرون بضرورة
النظافة ، مع أن تنظيفها لا يكلفهم شيئاً من المال ولا كثيراً من
التعب . وهكذا الحال في ملابسهم وأجسامهم ، فهم غير مباليين
لتنظيفها حتى ولو كانوا في سعة تمكنهم من ذلك . ولهذا يكاد
الإنسان لا يستطيع الجلوس بجانب أكثرهم أيام الحرارة . لا يسكن
(البق) إلا في مساكنهم ، ولا يتولد القمل إلا في ملابسهم ،

ولا يتفجر العرق المنتن إلا من مسام أجسامهم . كل هذا ولا مرشد يرشدهم ، إلى وجوب التنظيف ، ولا مقنع يقنعهم بوجوب الخروج عن هذا الحال السيئ ، ولا عذر لهم في ذلك أبداً إلا أنهم جبلوا على القذارة ، فالفقر لا ينافي النظافة .

وأما الغذاء فلهم فيه أذواق خاصة بهم ، فتجدهم يميلون إلى أكل البصل والسكرات والبقول المدمس ، ومعلوم أن هذه الأشياء إن لم تضر بالصحة فإنها تعكر صفو العقل وتولد في المعدة البخار المؤذي ، وبديهي أن ذلك لا يليق بطالب العلم الذي يحتاج أكثر ما يحتاج إلى صفاء الفكر وجودة القرينة . وهناك من الأغذية ما لا يزيد ثمنه عن هذه الأنواع ، وهو أحسن منها وأوفق لهم ، ومع هذا فهم يفضلون هذه الأصناف الضارة ويأكلونها إلى نهاية الامتلاء ، ثم هم يشربون معها كثيراً ثم يجلسون عقب كل هذا ليطلبوا الدروس ، أفع هذا يمكنهم أن يصلوا إلى محصول من العلم أو أن يترقوا في الفهم !!

آداب الطلاب

لا يكاد الإنسان يحصى ما يأتيه الطلاب من الأمور المغايرة للآداب والمنافية لذوق سواء في معاملتهم أو سيرهم أو جلوسهم أو عبادتهم أو تلقيهم للعلم . ومن ذلك عدم تقديرهم للمساجد التي يكونون بها ، حيث لا يباليون أن يلقوا المواد المخاططة وبقايا الآكل تحت فراش المسجد أو في (صحن الجامع) ، ووضعهم للبصاحف وكتب العلم بجوار (المراكيب) ، ولغطهم وعدم إنصاتهم وقت

خطبة الجمعة ، ونومهم على بطونهم أمام الأساتذة في الدروس ،
وميلهم إلى الرعونة والطيش ، وتصفيقهم وصفيهم عند أقل
حادث إلى درجة كانت تجعل قلوب رؤساء هذه المدارس واجفة
حين يشرفها الخديوى المعظم خوفا مما عساه أن يخل بالنظام . وكل
هذا مشهور معلوم فلا حاجة لأن تطيل به المقال .

المعتقدات العامة للطلاب

ما أشق طلاب العلم اليوم وأبعدهم عن الحقائق ، وما أشد
استيلاء الأوهام عليهم ، فهم لا يزالون يعتقدون كثيرا من الآراء
القديمة الوهمية التي وضع بالبرهان القاطع أنها غير صحيحة من
مثل أن الأرض بسيطة لا كروية وأنها محمولة على ثور ، وأن
السحاب جسم متماسك له خراطيم يأخذ بها الماء من البحر ثم يلقها
حيث شاء الله ، وأن ماء المطر ينزل من السماء إلى السحاب .

وأنا بنفسى كان يعابنى أستاذ ما أن الشمس حين تغرب تصعد
في السماء لكي تسجد عند العرش ثم ترجع فتظهر ، وأن سواد
القمر هو كلبة جميل مكتوبة فيه ، وأن القمر لا يزال يسجد كل
ليلة فيزداد نورا إلى ليلة التمام فيتكبر ولا يسجد فلا يزال ينقص
نوره إلى آخر الشهر فيؤخذ ويرمى في جهنم ويؤتى بقمر غيره .. إلى
غير ذلك من الخرافات والمعاني الوهمية التي لا تزال سائدة على
أفكار الكثيرين من أهل الأزهر .

ومن هذا اعتقادهم أن الأطباء اليوم دجالون ، وأن الأمور

الطبية الحديثة فاسدة ، وأن أكثر المخترعات والمكتشفات ، بسبب ظهورها على يد الأفرنج فاستعمالها يكون من علامات التفرنج ، وأن كلام الجرائد كذب ، وأن جميع ما أخذوه عن قبلهم فهو الحق ... الخ .

الحالة العمومية

الحال العام الذي يغلب على طلاب العلم الأزهرين هو الجود وعدم الميل إلى الأخذ بشيء من المستحسنات العصرية ، والجهل بكثير من الضروريات والعلوم النافعة ، والغلظة في الطباع ، والخشونة في العيش ، والأهمال في الآداب والأمور الصحية ، والتمسك بالأفكار والآحوال والعادات القديمة ، إلى درجة تجعلهم مباینين لأهل هذا الجيل وأحط منهم في كل شيء ، وتسلبهم الكفاءة لأن يكونوا من أهل الحضارة حتى يكاد أن يكون الشبه بينهم وبين ما ينبغى أن يكونوا عليه كالشبه بين سكان صحارى إفريقية وبين أهل الأستانة العلمية .

ثم هم بعد ذلك ينقسمون إلى قسمين : الأول من يميل إلى المبالغة في التعبد وربما وصل إلى درجة الوسوسة ويكثر من زيارة الأولياء ويتفأل ويتمطير بمقال المجاذيب الخ الخ الخ . والثاني من يبقى على حاله الأول لا يترقى بحال من الأحوال في عمل من الأعمال ، ألا أن يكون متقناً لنكات النحو ومسائل الفقه ، وفي غير ذلك لا يعرف شيئاً .

الطلاب المتمدنون

هناك وراء ذلك كله قسم صغير جداً من الطلاب أهل القاهرة، وأبناء الأغنياء من الأقاليم، شغلت أعينهم بمظاهر التمدن والتقدم التي يرون عليها تلامذة المدارس ومتخرجي مدرسة دار العلوم والموظفين وأهل العائمت المتمدنين، ورأوا احتقار الناس لطلاب العلم الأزهرين، فعافت نفوسهم أن يكونوا على ما عليه هؤلاء الطلاب. فوجدت عندهم فكرة قديم وجديد، وغلظة وذوق، وانحطاط وتقدم وأحسوا بأن الرائج في سوق التفاخر والاحتمام إنما هو تقدم، وذوق، وجديد. أو (موضه)، فاندفعوا في هذا التيار واتخذوا كثيراً من المظاهر والأحوال التي من شأنها أن تميزهم من جمهور الطلاب وتلحقهم بفريق أصحاب الذوق المتمدنين. ولكن من الأسف أن هؤلاء، على حالهم هذا، لا يقلون في النقص عن باقي جمهور الطلبة وربما كان نقصهم أكثر وضررهم أشد. ذلك لأنهم اكتفوا من تقليد المتمدنين بالقشور الظاهرة مع ترك اللب والثمره المقصودة، فمجد أكبر همهم أن يلبسوا الطرايش الرقيقة ذات الأزهار الحريرية الزرقاء ويبسوا العائمت على أشكال هندسية معوجة دقيقة، ويتخذوا الملابس ذات الألوان الحسنه والفانيلا، المخططة والأحزمة المعقودة، ويلبسوا الأحذية بدلا من المراكيب ويمسكوا العصي، ويستعملوا «الكراريس»، ويحملوا محافظ كمحافظ المحامين. ويشربوا السكاثر، ويخلقوا اللحى، ويجلسوا في القهاوى، ويحسنوا الأحاديث

العامّة ، .. من غير التفات إلى تحصيل الفضائل ، أو سعى في مطاردة الرذائل ، ثم أنهم تغالوا في اتباع كل ما يروونه مظهرآ من مظاهر التمدن في اصطلاح متمدني اليوم ، فوجد منهم من يجلس في المحلات العمومية التي لا يليق بطلاب العلم الجلوس إليها ، ومن يحب التنزه ليلاً في أنحاء «الأزبكية» ، ومن يميل إلى قضاء أوطاره الشهوانية . وقد كان من ذلك ما حكاه لي بعض الأصحاب قال : « بعثت ولدين لي إلى الجامع الأزهر ليتفقهوا في الدين ، ثم ذهبت مرة لزيارتهم . فوقع نظري عندهم على زجاجة كبيرة (جمدانه) فسألتهم عما فيها فقالوا (نبيذ) مفيد للصحة مقو للدم منور للفكر منبه للحواس معين على طلب العلم ؟ » قال « فلم يسعني إلا أن أرجعتهما معي إلى البلد ليشتمغلا بالزراعة وقلت حسبي هذا من (التفقه في الدين) .

وكره أهل هذا القسم كل قديم وإن كان حسناً ، وأحبوا كل جديد وإن كان قبيحاً ، ومال المتنورون منهم إلى الثقة بالفكر وأنكروا كثيراً من الحقائق ، ووقعوا في كثير من الخطأ ، وأجروا حكم كلمة (قديم) على كثير مما يجب الأخذ به ، بل على أصل الدين ولبه وعماده ، حيث جعلوا الصلاح والتقوى من مناقضات التمدن والتقدم ، وجعلوا قبلتهم شيئاً من الذكاء والتنور يبنى على الثقة بالفكر ، والغرور بالنفس والشنييع على القدماء في سائر ما كانوا عليه .

وضرر هذا المسلك ضرر شديد . لأنه متى نقشي هذا المبدأ ونمّا بين الطلاب (وهو ما لا نخاله إلا حاصلًا) ، فقدت

حينئذ الروح الدينية من نفوس الطلاب الأزهريين أجمعين. وكان مستقبلهم مستقبل تلامذة المدارس غير الدينية أو مستقبل طلاب فلسفيين لاطلاب للعلوم الإسلامية وتلامذة يستعدون لأن يكونوا أئمة الدين الإسلامي .

وكل هذا إنما نشأ من عدم تصور هذا القسم من الطلبة الأزهريين للغاية الحقيقية من التعليم الأزهرى ، مصحوبا بانحطاط حال بقية طلبته .

نتيجة التعليم فى المدارس الدينية

يفد الطالب إلى هذه المدارس وسنه خمس عشرة سنه على الأكثر ويمكث فيها عشرين سنه على الأقل يتعلم فيها الفقه والتوحيد والتفسير والبلاغة والحديث والنحو .. فماذا يكون حاله بعد هذا العمر الطويل ؟ !

يكون حاله أنه إن سئل فى الفقه قال « حتى أراجع الكتاب » وإذا سئل فى معنى آية أو حديث قال « حتى أراجع » وإذا قرأ أو كتب أو تكلم لم يمكنه أن يلاحظ أصول النحو فيما يكتب أو يقرأ . وإذا أراد أن يذش رسالة لم يمكنه ذلك .. فهل فى الكون كله تأخر وفساد وعبث أكثر من هذا التأخر والفساد والعبث !! طالب متفرغ لطلب العلم يأتى إلى مدارس دينية كبرى مشهورة معمورة بالعلماء ، متوجة بتاج رئاسة عظمى (مشيخة إسلام) ، ويمكث هذه المدة ثم تسكون نهايته كما نرى بأعيننا من حال جمهور

الطلاب الذين لا يفرقون عن العامة البسطاء إلا بمعلومات يكفي
لتحصيلها شهر أو شهران !! تالله إن هذا هو العجب العجيب .
يمضى الطالب عمره في المدارس الدينية ثم لا يترقى في العلوم
ولا الآداب ولا العبادة ، ولا يقاس بغيره من جمهور الناس
اليوم الذين تقدموا وارتفعت علومهم . بحيث إن وجد معهم
كان أقل منهم في كل شيء ، ويكاد أن يكون أقل منهم في العلوم
التي كان يتلقاها أيضاً .. ما هذا الحال !!

لعمري إن هذا خلل واضح ونقص ظاهر . إن قال قائل
معه أن وجود هذه المدارس لا فائدة فيه كان مصيباً ، بل إن قال
إنها مضرة ومؤخرة للإنسان كان مصيباً أيضاً . أى نعم لو قال
هكذا كان مصيباً لأنه لو كان في القطر المصري كله مدرسة دينية
واحدة أصغر بكثير من الأزهر الحالى ولا يزيد طلابها عن الألف
لا غير ما ولكنها على ما ينبغي في النظام والاستكمال ، لا مكنها
أن تنشر العلوم الإسلامية وتعمم التعاليم الدينية وتوجد تأثيراً
كبيراً وانقلاباً هائلاً في أخلاق الأمة وآدابها وأعمالها وقوة
تمسكها بالدين .

فلئن قال قائل ، كيف تقول هذا ونحن نرى من بعض الأزهريين
أخلاقاً وعلماً وذكاء لا يوجد في غيرهم ، أجبت أن هذا نتيجة
استعداد بعض الأشخاص وما تتيحه لهم الصدق ، فما مثل أهل
المدارس الدينية ألا كالذرية التي مات أبوها ولا مرشد لها ، فمنها
من تساعد المقادير ويرث أباه في علمه وجاهه وسيرته ، ومنها
من يصير حلاقاً أو نجاساً أو نحو ذلك . أو كبلي يضيق بأهله لجذب

فمنهم من يمكث فيه ويرضى بالضيق ، ومنهم من يرحل . . فإما
يسر وإما عسر .

مدة الدراسة

يحددون في القانون الحالي مدة (١٢) سنة على الأقل للدخول
في الامتحان . ولكن من يتأمل حقيقة الجارى وينظر إلى الواقع يجد:
أولاً : إن من لا يتجاوز الاثنتى عشرة سنة يعد من أندر
النادر وأكثرهم لا يقل عن العشرين .

ثانياً : أن الداخلين في الامتحان ، حتى بعد هذه المدة الطويلة ،
قد لا ينتجح منهم أربعون فى المائة .

ثالثاً : أن هؤلاء الذين يتقدمون للامتحان بعد حين ، إنما
يتقدمون بعد الانقطاع عن الدروس والاشتغال بالعلم فرادى
وجماعات اشتغالا من جديد ، لا تذكرأ لما مضى .

رابعاً : أن الكتب المقرر دراستها تستغرق أكثر من
(١٢) سنة ما دام أمر التدريس كالجارى الآن .

خامساً : أن هذه الكتب وحدها لا تكفى لتحصيل القدر
الواجب من العلم على الحقيقة .

سادساً : أن هناك من الطلاب من يمكنه أن يستغنى عن بعض
الكتب المقررة بمطالعتها .

سابعاً : أن المعلومات المقررة والقدر اللازم فى الامتحان

يمكن تحصيله في (٨) سنين فقط ، متى كان هناك عناية من التلامذة والمعلمين .

وينتج من هذا :

أولاً : أن المدة الموجودة الآن بل والمقررة أيضاً كثيرة جداً بالنسبة لما ينبغي . وأن المدة المقررة قليلة بالنسبة للطريقة الحاضرة .
ثانياً : أن الطريقة الموجودة رديئة .

وها أنا أقول أنني يمكنني أن أقدم تلامذة لامتحان يحصلون على الدرجات العالية في مدة (٨) سنين على الأكثر متى خضعوا لشروطي وجروا على الخطط التي أرسماهم . والله هو الفتح العليم

مآل طلاب المدارس الدينية

يوجد فوق السبعة آلاف طالب في الجامع الأزهر ونحو الأربعة آلاف في الجامع الأحمدي . كلهم آت للاشتغال بالعلم وكلهم مع أهله طامع في أن يفتح الله عليه ويصير من العلماء . وطريق تعليم الجميع واحدة ولكن الذي يتخرج من هذا العدد العظيم كل سنة لا يزيد متوسطه عن ثلاثة في الألف .
أما الباقون فانهم ينقسمون أقساماً :

الأول : أقوام ينقطعون في بلادهم لأنهم لا يجدون حلاوة العلم ولا يذوقون طعمه ، وذلك لصعوبة طرقه وعدم وجود مجبرين لهم على الجهد والمجاهدة . وهؤلاء هم الأكثرون .

الثاني : أقوام لا يزالون طلاباً حتى يموتوا بعد أعمار طويلة تضيق بلا فائدة .

الثالث : أقوام ينقطعون في بلادهم لأسباب حقيقية معاشية بعد أن يمضى عليهم من الزمن ما كان يكفي لأن يكونوا من العلماء
الرابع : أقوام ينقطعون في بلادهم لأسباب معاشية قبل أن تمضى المدة الكافية لأن يكونوا علماء .

الخامس : أقوام من أبناء الأغنياء وأهل القاهرة (وأولاد العلماء ، يميلون إلى (الذوقيات) ويغلب عليهم حب البطالة والكسل ، فلا يتنافسون إلا في أنواع « الفانلات » وأشكال العصى ، وأصناف الطرايش والأحذية والمناديل الحريرية الخ ، وهؤلاء يصير أمرهم إلى أن يكونوا من النوع المسمى (أولاد البلد) .

السادس : أقوام تفتح لهم أبواب المكاسب ما بين خطيب وأمام وقارىء ومفنى وتاجر الخ .

والسابع : أقوام يحبون عاجلة العلم فيذهبون لمدرسة المعلمين حباً في التقدم والتكسب والانتفاع من العلم .

والثامن : قوم يشتغلون بالعلم على أطراد أملأ في أن يكونوا من العلماء ، وهؤلاء كما عرفت لا يتخرج منهم إلا القليل والباقي ينقطع عن الدراسة :

وبديهي أنه لا حاجة للأمة في أن يصير كل أو جل من يقصدون هذه المدارس الدينية علماء تضيق بهم الدنيا ، مادام حال العلماء كحالهم اليوم ، لا لهم مرتبات تسكفيهم ، ولا هم يتعلمون أو يعرفون شيئاً من طرق المعاش الأخرى .

ولئن كانت الطريقة الحاضرة الهمجية مانعة وهو لكثرة عدد

المتخرجين بدون وظائف لهم ، فمع ذلك أرى أنه لا يجوز أيضاً أن يقصد الطالب هذه المدارس بغية الحصول على شيء ثم يمكث فيها هذه المدة الطويلة ولا ينال في النهاية هذا الشيء ويخرج حيث تكون أبواب المكاسب وأسباب الجاه والترقي قد قفلت أمامه ، ويكون قد أضاع كل شيء . . بل الواجب على المشيخة بإزاء ذلك إما أنها لا تقبله أصلاً من أول الأمر لكي يبحث له عن باب آخر ، أو تقبله لأجل معين بقدر ما يتفقه في الدين . . وإما أن تسعى جهدها في سبيل حصوله على مأربه وهو شهادة العالمية ، وهو شأنه بعدئذ .

ومن هذا فإني أرى :

أولاً : أن من الواجب على المدارس الدينية السعى وبذل قصارى الجهد في سبيل حصول طلابها على الغايات التي يقصدونها ثانياً : أن من الواجب جعل التعليم مرتبتين أو أكثر . فالأولى غايتها التفقه وتحصيل البصيرة في الدين ومدتها لا تزيد قط عن ثلاث سنوات أو أربع على الأكثر . والثانية يقصد منها الوصول إلى درجة العالمية . . ويحسن أن تكون هناك ثلاثة بينهما تكون غايتها ما يسمونه الآن « شهادة الأهلية » .

وأرى أن يجعل الرؤساء لكل مرتبة نظاماً خاصاً فيما يتعلق بطرق التعليم ومواده .

ثالثاً : يجب أن يدخل في تعليم العلماء وغيرهم ما يؤهلهم لأن يطرخوا أبواب المعاش الشريفة التي تليق بأمثالهم .

الإصلاح اللازم

بعد أن يكون الحال السيء على ما وصفت فلا يسع من عنده ذرة من العقل أن ينكر ضرورة الإصلاح والخروج من هذا الحال التمس هذه الهمجية المؤخرة . وأنه لمن الخماقة والجهل وسوء الحظ أن يوجد جمهور عظيم من العلماء يعارض كل إصلاح ويحرص على مبدأ (القديم على قدمه) ويبذل في ذلك غاية الجهد وشديد الاهتمام .

ضرر هؤلاء الذين يقفون عقبه في طريق كل إصلاح ويجمدون على حال واحد ضرر واضح ، وخطرهم على الدين يزيد أو يساوى خطر من يخرجون بالدين عن وضعه أو يدخلون فيه الدسائس والآكاذيب، أو يعملون لمحوه أو إضعافه سواء بالقوة أو بطرق المصانعة والاحتتيال .

ما أشبه هؤلاء القوم برؤساء الأديان الذين كانوا يعارضون الأنبياء عند ظهورهم بدين جديد ، تمسكاً بالقديم من حيث هو من غير نظر ولا برهان . وتالله لو كان علماءنا هؤلاء الجامدون الآن موجودين عند ظهور شمس الرسالة المحمدية لكانوا أول المعاندين والمعرضين عن رسول الله .

على أنه وإن فرض التماس المعذرة لمن جرى في هذا التيار بمقصد حسن ونية سليمة ، فلا يجوز التماس الغر لفريق المكابرين الذين يغمضون أعينهم عمداً لكي لا يروا المشاهد والمحسوس من الهجمية والفوضى الموجودة الآن بالأزهر وهم لا يغمضون

أعينهم إلا لأغراض سافلة ومقاصد دنيئة لا يليق أن تكون حال رجال العلم وأئمة الدين .

ما هو الإصلاح اللازم

لا كلام في وجوب الإصلاح على ما علم مما تقدم ، وإنما الكلام فيما هو الإصلاح اللازم وما هو طريق تنفيذه ، فقد يرى بعض الناس وجوب الإصلاح ولكنه يجرى في هذا الإصلاح الواجب على طريقة تساوى الأولى في الضرر ، كما قد يرسم آخر خطة حسنة ولكن عند تنفيذها لا تفيد . وقد يرى بعضهم طريقة للتنفيذ تخل بأصل المقصود وحيثئذ تأتى باضرار جمة ،

اقترح في معرفة طرق الإصلاح

وبناء على هذا ، مع مراعاة ، أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء . فإننى أقترح قبل أن أبدى رأي أن لا يعمل في هذا الموضوع المهم برأى واحد ولا فئة واحدة مهما كانت القوة والاقتمدار ، بل يجب أن يشكل لهذا الغرض مؤتمر علمى عام من جميع طبقات العلماء . صغيرها وكبيرها ، تعرض فيه الأفكار وتتبادل فيه المباحث والتدقيقات وتقبل فيه الآراء والانتقادات من سائر طبقات الناس ، وأن تكون موضوعات وأبحاث هذا المؤتمر شاملة لجميع ما جاء في هذا الكتاب ، فإننى لأعول على رأي وحدى ولا ألزم الناس أن يعملوا بما يظهر لى قبل البحث والتدقيق ، ومن ذلك أيضا نفس هذا الاقتراح .

رأى في الإصلاح

لا أريد أن أذكر تحت هذا العنوان جميع ما أراه في الإصلاح العام ، فذلك موزع على فصول الكتاب . وإنما أريد أن أذكر إجمالاً ما يختص بالنظام العمومي للدارس الدينية وهو ما بدأ المقال به . وهو ينحصر على سبيل الإجمال فيما يأتي :

أولاً : إيجاد نظام يقضى بأن الطالب الجديد حين يفد للأزهر يجب أن يسلم لمن يتعهدده ويعطيه المعلومات اللازمة للبتدىء ، ويوقفه على الاصطلاحات والرسوم المتبعة ، والآداب اللازمة والكيفية الجارية في التعلم والتعليم ، ويرشده إلى الممتون التي ينبغي أن يحفظها ، والكتب التي يشتريها ، وأثمانها ، ويعرفه عادات البلد التي يقطنها من نحو مصر وطنطا واصطلاحاتها الخ .

ثانياً : إنشاء قسم داخلي ، يمكن معه للآباء الأغنياء أن يرسلوا إليه أبناءهم ويكونون مطمئنين عليهم في أمر السلوك والتعلم ، وذلك ملافاً لما يحصل الآن بسبب عدم وجود ولاية مع الطلبة حيث تفسد أخلاقهم ولا يستفيدون علماً .

وفي رأى أن عدم وجود قسم داخلي أحد الأسباب التي أعدمته الثقة بمستقبل طلاب الأزهر ، وجعلت الأغنياء لا يرسلون واحداً من أولادهم للأزهر إلا في نادر الأحوال .

ثالثاً : إيجاد مراقبة كافية لجميع الطلبة ، تمنعهم من الخروج عن دائرة الاستقامة .

رابعاً : إيجاد الوسائل التي يمكن بها معرفة الذي يواظب على الدروس والذي لا يواظب .

خامساً : إما أن يوزع الطلاب على الأساتذة ليكون كل أستاذ مسؤولاً عن طلبته ، يراقبهم ويرشدهم ويعطيهم النصائح والتعاليم اللازمة ، ويسلك بهم مسلك التربية العالية ، ويوصلهم إلى غاية الكمال من أسهل الطرق وأقرب المناهج ، وإما أن لا يدرس عالم شيئاً إلا ما تقره له اللجنة العلمية ، ولا ينتقل طالب من أستاذ إلى آخر إلا بإذن ، مع تختم أن يراقب كل أستاذ جميع أحوال طلابه . والأمر الأول هو الأول .

سادساً : تعيين لجان لمراقبة الأعمال العلمية ، وتوزيع الطلاب على الأساتذة ، ومعرفة ما يناسبهم من الكتب ، والإشراف على أعمال العلماء .

سابعاً : الاعتناء بتهديب الأخلاق وتعليم الآداب .

ثامناً : بيان الغرض من الدين . وبيان الحاجة إليه ، والحث على التمسك به ، وتقريب مسأله من العقول ، وبيان الكمال الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم في العصر الحاضر بالنسبة لأمرى الدنيا والآخرة .

تاسعاً : الاعتناء بتربية العقل بتربية ملكات الفنون وتحصيل مسائل العلوم .

عاشراً : الاعتناء بتصوير الكمال الذي ينبغي أن يكون عليه الطلاب والعلماء ، وبيان من هو العالم ، وما هي وظائفه .

(١١) حث الطلاب ومساعدتهم على الاستطلاع والاختراع والتفكير ، ومعرفة نظم الطبيعة وحقائقها ، والإلماع إلى الأحكام

والشرائع والديانات التي في العالم : ومعرفة حقائقها ومقاصدها وحكمها .

(١٢) الإفاضة في سبب انحطاط المسلمين اليوم وتأخيرهم ، ودراسة التاريخ الديني ، ومعرفة كيف نشأ وكيف افترق أهله ، ومنشأ الاختلاف ومضاره .

(١٣) تطبيق العلم على العمل ، وجعل التعاليم منطبقة على الأمور الحاضرة ، وعلى حاجيات الزمن ولوازمه .

(١٤) عقد لجان تنظر في المسائل الخرافية والوهمية المستفيدة بين الطلاب خاصة والناس عامة ، وتنتشر نتائج عملها بين الطلاب .

(١٥) إيقاف العلماء والطلاب على نظم الأوربيين واليابانيين والصينيين وغيرهم في تربيتهم ومعارفهم وأعمالهم ومنازلهم ومعاشهم وداخلياتهم وخارجياتهم وعوائدهم ومشاربهم واعتقاداتهم وأمياهم الخ .

(١٦) تعويد الطلاب على النظام وتعيين أوقات محدودة للعمل ، وأخرى للأكل ، وأخرى للفسحة ، وتمرينهم على النظافة ، وإعطائهم الأصول والقوانين الصحية .

(١٧) تربية الملكات الروحانية الدينية وتنمية الشوق إلى العالم الأعلى في نفوس الطلبة .

(١٨) بيان أن التدين لا ينافي التمدن ، والأخذ بكثير من الأمور المخترعة والأمور المكتشفة . وبيان ما يوافق الدين وما لا يوافق من الأحوال الحاضرة والمدنية الحديثة .

(١٩) العمل لمحو سلطان العادة من قلوب الطلبة ، وتعويدهم

على مبدأ (لا تقدر العادة ولا تثق بفكرك) .

(٢٠) تعمد الطلاب في غير أوقات الدروس ، إماماً من أساتذتهم وإماماً من سواهم .

(٢١) تعيين أوقات يخرج فيها الطلبة للرياضة مع أساتذتهم بنظام محكم . وتكون هذه الأوقات للتذاكر في الأمور العامة والآداب ، والاستفادة من أحوال الناس على اختلاف مشاربهم (٢٢) انتخاب كثير من العلماء والطلاب لكي يزوروا المدارس العالية الأخرى ويشاهدوا نظامها وأحوال تلامذتها وأساتذتها .

(٢٣) ترقية شؤون التعليم بتكثير مواده وتعديل طرقه وإحكام ترتيبه .

امتحان الطلاب

الامتحان هو الوسيلة الوحيدة لتقدم العلم وحمل العلماء والطلاب على القيام بالواجب ، فضلاً عما فيه من تمرين الطلاب على المجاهرة بالعلم ولو في مجالس الكبراء وكذلك عدم الاستكانة والحياء في غير موضعه ، فكثيراً ما نرى قوماً هم كنوز في العلم ولكن بكل أسف لا ينتفع أحد بهم لما فيهم من الحياء المتجاوز حده . إن الطالب متى علم أن أمامه امتحان ستعرض فيه معلوماته مع زملائه ، جد واجتهد خوفاً أن يفوقه أحد منهم أو مخافة أن يعلم أهله بخذلانه وتقهره . كذلك العالم متى علم أن تلامذته سيختبرون مع تلامذة غيره من الأساتذة الآخرين فتظهر بذلك

نتيجة حسن تعليمه أو فساد ، الموجبة لمدحه أو ذمه ، جدهذا
الاستاذ وثابر ولم يأل جهداً في ترقية المستوى العلى لطلابه .
وكثيراً ما ينتقل الطالب من دراسة كتاب إلى دراسة ما هو
أرقى منه حباً في أن يقال ، يتلقى كتاب كذا ، مع عدم أهليته
في الحقيقة له ، ويكون المآل فشله وعدم نجاحه في الكتاب
الثاني كما فشل في الأول فيضيع عمره دون أن يتحصل على شيء .
نافع من العلم . والإمتحان أقوى مانع يمنع من الانتقال من
كتاب قبل إتقانه أو إلى شيء قبل التأهل له .

وبالإمتحان يتحصل الطلاب في سبع سنين على ما لا يتحصلون
عليه الآن في ضعف هذه المدة . وبه يقل جداً عدد الذين
لم يصلوا إلى غاية حسنة من التعلم وهم يعدون الآن بالآلوف .
لا ينكر فضل الامتحان العمومي إلا جامد لا يميز بين الضار
والنافع . ولو بحث باحث حال الأزهر اليوم ، لوجد فيه جموعاً
كثيرة ممن شابت ناصيتهم في الأزهر ولم يتحصلوا على شيء يذكر
من العلم إلى حد أوجب يأسهم في أنفسهم من الوصول إلى غايته
ولسكنهم إنما يريدون أن يمضوا باقي حياتهم في الأزهر خوفاً
من العار واستدراكاً للجراية حيث لا مورد آخر لأرزاقهم .
وهؤلاء وإن وجب على كل إنسان أن يرق ويرثي لحالهم لمزيد
فقرهم ، ألا أنه لو كان هناك بالأزهر امتحان عمومي لأمتنا أن
يوجد آخرون أمثالهم ممن يضيعون أعمارهم بلا فائدة لهم أو للناس
بل ويضايقون أهل العلم الحقيقيين في أرزاقهم التافهة (الجراية)
قد يكون أحد الناس محتاجاً لابنه ليساعده في شئون المعيشة

ولكنه يفضل أن يبعثه إلى الأزهر وأن ينفق عليه من كده أو تبعه ما هو في أشد الحاجة إليه ، ثم مع هذا فقد يتضى الابن عشرات السنين وأبوه منتظر بفروغ صبر ظهور النتيجة ، ثم يظهر أن الابن لم يكن يشتغل بالعلم أبداً وأنه في الحقيقة لم يحصل منه على شيء يذكر . فلو كان هناك امتحان عمومي ومتكرر لأمكن للأب أن يعرف أن كان ابنه يرجي له النجاح ، ليكون له الخيار حينئذ في أن يبقيه بالأزهر أو يعيده معه لبلده ليستعين به هناك في فلاحه الأرض مثلاً .

وبالجملة ففوائد الامتحان العمومي كثيرة جداً وظاهرة .
ومن أجل هذا فإنني أرى :

أولاً — أنه لا بد من تقرير امتحان عمومي للطلاب . إن لم يكن مرتين في السنة فيكون مرة على الأقل .

ثانياً — أن تختبر مقدرة الأساتذة في تلقين العلم ليعرف من يحسن التعليم منهم ومن لا يحسنه .

ثالثاً — أن لا يترقى الطالب إلى كتاب أعلى ، إلا إن أقرت لجنة الامتحان استحقاقه لذلك .

رابعاً — أن توقع جزاءات على من يسقط في الامتحان بحيث لا يكون منها عقوبة الفصل أو حرمان الطالب من طلب العلم مراعاة لأن هذه المدارس مدارس عمومية .

خامساً — أن توقع جزاءات على من يظهر من الأساتذة أن

تعليمه غير منتج . وأرى أن تكون هذه الجزاءات أدبية محضة ،
وأن يلاحظ فيها التحقيق .

سادساً — جعل امتيازات العلماء والطلاب (وفي مقدمتها
الجرأية والمرتبات) بنسبة النجاح في هذا الامتحان بقطع النظر
عن السن وطول المدة .

باب العلوم

العلوم التي لا بد منها للعلماء وطلاب العلم تنقسم إلى قسمين :
« مقاصد » وهي العلوم الدينية ، و « وسائل » وهي علوم أخرى
لا بد منها ولا غنى عنها . وتحت كل قسم أنواع كثيرة ، ولكنهم
الآن يقتصرون في كل من القسمين على بعض الأنواع ، ثم يجرون
في دراسة ما اقتصروا عليه على طريقة لا تفي بالغرض
المقصود منه .

ونريد أن نبين هنا جميع العلوم ، وكذلك المقادير اللازمة
منها ، مبتدئين بالمتداول المشهور منها وهو : الفقه ، والتفسير ،
والحديث ، والتوحيد ، والبلاغة ، والأصول . والنحو ومنه
الصرف ، والمنطق .. ثم نتبع ذلك بغير المتداول ، والمتداول
غير المشهور ، ومنه : علوم الدعوة الإسلامية ، وتهذيب الأخلاق
والتصوف ، والقرآن ، والتاريخ ، والجغرافية . واللغات الأجنبية
والحساب ، والهندسة . والانشاء ، والعروض ، ومتن اللغة ،
وعلوم حقائق الموجودات وخواصها وأسرارها ، فنقول ومن
الله نرجو القبول .

الفقه

الفقه هو أكثر العلوم عناية به في المدارس الدينية ، لأنه يشغل نصف مدة الدراسة تقريباً بحسب الترتيب الأصلي ، ولكن بما يوجب الأسف أن النتيجة التي تحصل بعد هذا العناء لا تستحق ربع هذا الزمان . إذ بعد أن يكون العالم قد اشتغل بالفقه تعليماً من يوم بدئه في طلب العلم إلى يوم تخرجه عالماً ثم بعد ذلك أثناء تعليمه أياه لتلاميذه أيضاً ، فإنك لو سألت عن مسألة من مسائله لقال : « حتى أراجع » . وهذا نقص واضح ، وسببه عدم سلوك الطريق الواجب في دراسة الفقه .

فهذا العلم الآن من العلوم النقلية الصرفة التي لا يفيد فيها إلا الحفظ مع تفسير المحفوظ بقدر ما ينبغي ، ولذلك ، فالصعوبة في دراسته إنما جاءت من عبارات المؤلفين ومن إبداعهم المعاني الكثيرة في الجمل القصيرة . فقراءة هذه الكتب وإجهاذ الفكر في تصور معانيها ثم تركها وفهم غيرها ، لا يجدي أبداً ، وما الإنسان فيه إلا كمن يشغل وقته بالصيد ثم كلما صاد شيئاً أفلته . والشئ الواقع الآن أن طالب العلم قد يمضي وقتاً طويلاً جداً من حياته في دراسة الفقه ، فهو يمضي ساعتين في أول النهار للتلقين وساعة أخرى للمطالعة وذلك طول أيام اشتغاله بالعلم على امتدادها إلى سنين عديدة ، ومع ذلك قد يخرج في النهاية بلا نتيجة . وعندئذ أنه يكفيه أن يحفظ متناً كبيراً قد لا يأخذ منه أكثر من زمن مطالعة الفقه في السنة الأولى ، ثم يسمع شرحاً

له مرتين على الأكثر في سنتين آخرين ، وشرحا كبيرا مرة في سنتين أيضا ، فيكون في هذه المدة قد حصل من الفقه على ما لا يحصل عليه بطريقتنا الحالية إلا في ثلاثين سنة مثلا .

هذا وإني أرى أن في الاقتصار على تعلم مذهب واحد نقص لا يليق بالعلماء الآن ، لأن حصول العالم على العلم ، ليس الغرض منه أن يعمل هو فقط ، بل وأن يعلم غيره أيضا ، وقد يكون غيره هذا على غير مذهبه . فالأقتصار حينئذ على مذهب واحد من المذاهب الأربعة هو بمنزلة تعلم ربع الدين فقط . ولو كان الأمر صعبا لكان لنا من العذر ما يسوغ هذا النقص . ولكن الأمر سهل جدا وما هو إلا أن يوضع متن تبين فيه المذاهب الأربعة ، ولو بطريق الرمز ، على وجه سهل ، مثل ما في الشاطبية ، ثم يشرح شرحين أحدهما مختصر والآخر متوسط ، ويحال في الإطنا ب على الكتب المختصة بكل مذهب . وبهذه الوسطة يمكن للطالب أن يتقن المذاهب الأربعة في خمس سنين .. وهو الآن يشغل طول عمره بمذهب واحد ثم لا يتقنه .

هذا وإني لمتعزني دهشة شديده واستغراب عظيم كلما تذكرت حال علمائنا المتخرجين اليوم وجهلهم الشديد بعلم الفقه ، وعدم عنايتهم به لا تعلما ولا تعليما ، إذ أنه بمجرد أن تنتهي سنو الدراسة الأولى يترك الطلبة هذا العلم ويقصرون جدهم واشتغالهم على العلوم الأخرى كالمنطق والأصول والبلاغة استعدادا للامتحان الذي لا يعول فيه إلا على مثل هذه العلوم دون الفقه والحديث والتفسير . ثم هم متى نجحوا فيه تركوا تدريس الفقه أيضا وأظهروا براعتهم

في تعليم المنطق والنحو والبلاغة .

ولا أبالغ إن قلت إن بعضهم لا يعلم من الفقه جميع ما يلزم له في عبادته اليومية .

وبئس هذا النقص الواضح والخلل الفاضح الذي لا دواء له إلا الاعتناء بالفقه في الامتحان واعتباره من العلوم الأساسية فيه .

التفسير

من الواضح الجلي أن التفسير من أهم العلوم الدينية التي يجب أن يكون العلماء فيها على مكانة واطلاع تامين . بل من العلوم التي يجب أن ينشروها بين المسلمين كافة ليكونوا منها على بينة .

إذا كان القرآن هو أصل الدين ، وكتاب الله الذي يخاطب به المسلمين في كل زمان ، فكيف يجوز أن لا يعرف واحد من المسلمين ، فضلا عن علمائهم ، معنى هذا الكتاب الإلهي بقدر ما تسمح به معارفه ويناسب حاله ودرجة فكره !

أليس من المحزن أن يتهاون علماءنا اليوم في تعليم هذا العلم ونشره ، مع الحاجة الشديدة إليه ! وأليس من المخجل أن يدرك هذه الحاجة واحد ليس منهم كحضرة (فريد وجدى) ، فيقوم بنشر تفسير للقرآن بطريقة سهلة وهم غافلون عن مثل هذا المنهج الشريف !

بل أليس من العار ألا كبر أن يتهاون العلماء في تعلمه ، والاعتناء به حتى أن أكثرهم يحفل بمعاني كثير من آيات التنزيل ، وربما أنه يكررها كل يوم في صلاته !... ولو سئل عن آية في محفل لكان

في الأغلب مترددا بين حالين ، إما أن يقول مالا يعلم ، أو يقول
« لا أعلم » .. وبئس الحالان .

ذلك لأنهم جعلوا هذا العلم من العلوم الثانوية التي ليس لها
حصص مقرر ، بل هي بحسب الاتفاق والأهواء .. الأساتذة
في القراءة ، والطلاب في التلقئ .. ومن العجيب حقاً أن لا يكون
التفسير من موضوعات التسابق والتفاضل كالبلاغة مثلاً (وإن
كانوا يقولون فيها إن فائدتها معرفة إعجاز القرآن) أو كالنحو ،
(وإن كانوا يتعلمونه ليفهموا كلام الله) .

سبب التهاون في التفسير

والسبب في هذا التهاون العام هو عدم الاعتناء بهذا العلم
في امتحان شهادة العالمية ، وعدم مناولته في الامتحان على الوجه
الذي يتأكد منه الأساتذة أن الطالب على خبرة تامة بهذا العلم
النفيس . بل بالعكس فإن الممتحنين يتهجون فيه منهجاً يدعو
الإنسان لشدة العجب . ففي الحقيقة ليس هناك من معنى (امتحان
في التفسير) إلا اسم التفسير .

ذلك أنهم جروا على أن يعينوا للطالب آية من آيات القرآن لكي
يذاكرها ، ثم يأتي أمام لجنة الامتحان ليلقي معناها في كتاب أو
غير كتاب . وظاهر أن هذه طريقة لا يمكن أن تعبر عن معرفة
الطالب لعلم التفسير .

فالجاري الآن أن الطلاب لا يعيرون هذا العلم أثناء الدراسة
أي التفات . بل إن أكثرهم لا يتلقى فيه درساً واحداً من أي

أستاذ .. فإذا جاء وقت الامتحان كان في أماكنهم من طول ممارسة
التعلم أن يفهموا من أنفسهم أو من غيرهم ما يقرأونه في الكتب .
ففي هذا الوقت خاصة يفتحون كتب التفسير ليطلعوا على معنى
الآية المعينة التي خصصت للامتحان .

فما هي إذا الفائدة من هذا الامتحان ؟ وما الذي يدل عليه
من حالة الطالب في هذا العلم ؟ فإذا كانت الغاية منه أن يُعلم ما
عنده من ملكة الفهم ، فإن ذلك يكون قد علم من قبل في غير علم
التفسير ، كالمنطق والتوحيد .. كما أنه يستوى حينئذ أن يعين له
جزء في كتاب الله تعالى . أو في قصة عنيزة .. إذ ليس لخصوصية
كتاب الله دخل في هذا المقصد أصلاً .

فالذي أراه هو وجوب العناية بالتفسير وأن يعطى الامتحان
فيه حظ من مساه . بحيث لا ينال الطالب إجازة تدريس فيه إلا
إذا كان بحيث متى سئل في أي آية أجاب .

ولا أريد بذلك كل ما يتعلق بالتحقيقات الغامضة أو المباحث
العويصة ، بل يكتفي بالدرجة المتوسطة في ذلك وهي المقدورة لكل
إنسان يزاول تدريس التفسير المختصر كما أرى أن يكون الامتحان
في التفسير بحيث يختبر الطالب في معنى عشر آيات على الأقل من
سور مختلفة تطرح عليه في المجلس ولا يكون قد أخطرها من قبل .
والخلاصة أن العالم لا يكون مستحقاً لهذا الاسم إلا إذا كان
بحيث متى سئل عن معنى أي آية أجاب .. وأما الاكتفاء بمقدرة
الفهم إذا راجع كتب التفسير فلا يجوز أبداً .. إذ هذا لا يعمل
بينه وبين عامة المتنورين من غير العلماء أي فارق .

أساليب التفسير

هذا ولا بد لي أن أقول هنا أن أكثر كتب التفسير المتداولة الآن ناقصة جداً إلا فيما يتعلق بمسائل النحو ونكات البلاغة ونحو ذلك . بل أقول أن أكثرها مضر ، فأنها تخيل للقارىء أن الحقيقة صعبة المنال ، نظراً لكثرة الاحتمالات التي يذكرونها في كل آية بل وكل كلمة .

وتالله إن تفسير القرآن ليس بالأمر الهين ، وإذا كان القرآن هو أصل العلوم ومنبع المعارف (وما فرطنا في الكتاب من شيء) ، وهو أيضاً السكز الثمين والبحر الذي لا تنفذ عجائبه ، فلا شك أنه يتقدم بتقدم الانسان ، ويزداد بترقيه في العلوم والمعارف ، وأن كل من أتقن فناً من الفنون فلا بد أن يجد في القرآن معنى ومزية وعجائب عامة لا يدركها غيره ممن لم يحيط بذلك الفن .. فالنحوي والبلاغي مثلاً لا يمكنه أن يفيض الكلام في الآيات المشيرة إلى نوااميس الكون وطبائعه .. ورجل التاريخ لا يمكنه أن يسترسل في مأخذ المسائل الفقهية .. بل على قدر التمكن في الفنون والعلوم المختلفة يزيد إدراك وفهم معاني كتاب الله تعالى .

فهو على ذلك كتاب يشترك فيه الكبير والصغير ، والبدوى والحضرى ، والمتعمدن والمتوحش ، والسالف والحاضر والقادم ، في كل زمان ، وفي كل مكان . كل يغترف منه على قدر استعدادة الفطرى أو الكسبى . وهو لا يخالف حقيقة من الحقائق أو طبيعة من الطبائع . ولا ينقصه شيء .

من هذا فأنى أرى الحاجة شديدة إلى إنتهاج طريق آخر في

تفسير القرآن غير الطريق الذي جرى عليه السلف ، بحيث يكون المعول فيه على جانب المعاني ، وبحيث يكتسب صبغة التأثير حسب ما يناسب الناس اليوم ويلائم معارفهم . وفي هذا المقام أستحسن كثيراً الأسلوب والطريقة العمومية التي ينهجها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده

الحديث

هذا هو العلم الذي أحاطت به العوارض الخطرة في ماضى الأيام واشتغل به علماء الأمة قروناً خضوه فيها خصاديقاً واستخلصوا صحيحه كما تستخلص ذرات التبر المنتشرة في التراب . ولا يعلم إلا الله مقدار الصعوبات الجمة التي تكبدها العلماء في طريق تقويم هذا العلم المهم ، فربما سافر أحدهم شهراً أو أكثر من أجل تحقيق حديث واحد . وهكذا دأبوا وكدحوا حتى هذبوه ورتبوه وعلوا منه الصحيح والضعيف والموضوع . وما كبرت أسفار هذا العلم إلا بذكر الأسانيد ، فهي براهينهم على الصحة أو الضعف أو الوضع . أفبعد هذا يجوز أن تكون منزلة هذا العلم عندنا كما هي اليوم !! وأن نقصر فيه هذا التقصير الذي تعيرنا به أكثر الأمم الإسلامية !!

كيفية الاشتغال بالحديث اليوم

الاشتغال بهذا العلم اليوم كالأشتغال بالتفسير . فهو ليس من مطمح أنظار الطلاب ولا من المعتنى به عند العلماء . ولا هو من الحصص المقررة تقريراً ثابتاً وأكثر الطلاب لا يشتغلون

به . ومن اشتغل به فإنما يكون منه ذلك على وجه (التبرك) أو الأمر الثانوى .

والعلة فى هذا التقصير هى نفس العلة فى التقصير فى أمر التفسير .
أعنى التهاون فى الامتحان فيه كالتهاون فى امتحان التفسير ، بل التهاون هنا أشد . فقد يكتفى الممتحنون من الطالب بتلاوة حديث معين ، وربما لا يتمه ، وربما لا يقرأه .

ثمرات هذا العلم

ثمرات هذا العلم والبواعث على الاهتمام به كثيرة جدا وهى أشهر من أن تذكر . ولكنى أخص بالذكر منها أمرين عظيمين ، نحن الآن فى أشد الحاجة اليهما .

أما الأول فهو المحافظة على الدين من أن يدخل فيه ما ليس منه . ذلك لأن أمر الحديث غير محدد . فإذا خشى على هذا الدين من التبديل والتحريف فلا يكون ذلك إلا من ناحية الحديث . وهو لهذا كان موضوع الاهتمام من علماء السلف .

ولا يخفى أنه قد اشتهر اليوم على ألسنة الناس ، بل والعلماء ، كثير من الأحاديث الموضوعة التى لم يقلها أبدا رسول الله . وقد يكون من معانى هذه الأحاديث الموضوعة ما هو مضاد للدين تماما . وقد بلغ التسليم بها أن صار يُخطب بها على المنابر ويتداولها الكبير والصغير . أليس هذا تحريف الدين وتبديله أو مقدمة ذلك !! وهل يظن أن التحريف والتبديل يقعان فى الأديان إلا على هذا النمط !!

أليس من العار أن يقوم من غير علماء الأزهر من يبين أن هذا الحديث حق وهذا غير حق (سواء أصاب أو أخطأ) بينما نحن في زوايا المساجد لاهون وعن مثل هذا الواجب الجليل مشتهغولون بأشياء أخرى هي تحقيقات وتدقيقات لا فائدة لنا ولا للامة منها على التحقيق .

بل أليس من العار أن لا يصل اطلاعنا على الحديث إلى الحد الذي يمكننا أن نعرف به من أنفسنا ما هو صحيح وما هو غير صحيح . لقد عد أسلافنا هذا النقص عاراً ولذلك ، فعصوبة الأحوال والظروف في عصورهم ، فإنهم ما زالوا يجدون ويجهدون ويواصلون الأيام في التنقيب والتفتيش حتى تحصلوا على الحقيقة بأكل وجوها ، ودونوها في كتب بسيطة سهلة المنال ميسرة المأخذ .. أفبعد هذا يليق أن نكسل حتى عن مد يدنا إلى تلك الكتب وفتحها لنعرف على الأقل ما فيها !!

أما الأمر الثاني في فائدة علم الحديث فهو الاطلاع على دقائق ما كان عليه سيدنا الرسول وأصحابه من حال ومقال ، وكذلك ما يعطيه جملتها ويشير اليه من الأخلاق والأطوار والصفات والوجدانات والملكات التي كانت تحيط بالامة في صدر الرسالة ، ونحن الآن في أشد الحاجة إلى الوقوف عليها .

وبالجملة فإن هناك معان لأحاديث مطابقة ونحن نجهلها ، مع أننا في أشد الحاجة اليها . كما أن هناك معان أخرى مهمة جداً تستنبط من عرض الكلام ونحن كذلك غافلون عنها ، مع أننا محتاجون اليها أيضاً لأنها تتعلق بتكميل الوجدان والشعور . والمرء محكوم بوجدانه وشعوره .

مسألة السند

قلت فيما تقدم أن كتب الأحاديث ما زاد حجمها إلا بذكر الأسانيد . وأقول هنا أن الأسانيد إن كان لها حاجة الآن فهي حاجة ضعيفة جدا ، إذ يكفي أن يعرف أن هذا الحديث رواه البخاري أو مسلم أو نحو ذلك . فلو درست كتب الحديث بقطع النظر عن الأسانيد لأمكن للطالب أن يطلع على جملة كبيرة منها في زمن قصير .

ودراسة الحديث تتطلب شيئين : أولها الاطلاع ، وثانيهم تدبر المعنى . أما تدبر المعنى فأمره سهل ويكفي فيه أن يكون الطالب بصيرة نيرة وملكة فهم معتدلة . وهذا يحصل له عادة من الاشتغال بالعلوم العقلية ، خصوصا وأن الأحاديث المشكلة التي تحتاج إلى المعونة في الفهم قليلة جداً .

من ذلك يتضح أنه إذا سهل أمر الاطلاع . بوضع كتب خالية من الأسانيد . لأصبح لا حاجة إلى دراسة رسمية في علم الحديث إلا بقدر معلوم ، ثم يتم الطالب البقية وحده بالاطلاع ، فهذا العلم بهذا الوجه ، علم مطالعة أكثر منه علم تدريس .

القدر اللازم منه

والقدر اللازم من علم الحديث لا يحدد وإنما هو على العموم ما يجعل الإنسان من المطلعين ، مع الحرص على وجود ملكة الاهتمام التي تقتضي البحث والمراجعة عند الحاجة وخصوصاً وإنه

من السهل جدا أن يطلع الإنسان على معظم الكتب السننية وعلى نحو كتاب اللآلئ المصنوعة . ولكنى أرى أنه من الواجب أن يحفظ الطالب مائة حديث على الأقل من كلام رسول الله الجامع ، وكذلك عددا آخر بحسب الحاجة الزمنية .

وأرى أن يكون طريق الامتحان في علم الحديث مبنية على حفظ الطالب جملة من الأحاديث وأن يتأكد الممتحنون من أنه اطلع على كثير من الكتب . مع معرفة الاصطلاح العام والخاص بكل كتب الحديث المشهورة .

علم التوحيد

قاتل الله الجدل . فلو نظرنا نظر المتأمل لوجدنا أن سبب انحطاط الأمة الإسلامية هو التفرق ، وأن أهم دواعي التفرق عندها كان الجدل واختلاف الآراء في مسائل التوحيد .

أى نعم هذا الاختلاف في الآراء هو الذى فرق شمل الأمة وجعل الأمة أمتين ، شيعية وسنية ، بل جعلها أما كثيرة يكفر بعضها بعضاً ويلعن بعضها بعضاً ويستحل بعضها دماء بعض . وكم بسببه أهرقت دماء ، وخربت بلاد وانتهكت أعراض ، بل وانتقم من أئمة كبار ، بل ومن جثث هامة فارقتها أرواحها بأنواع التعذيب والتمثيل والحرق .

كان هذا فيما مضى وقد بقيت بقاياها إلى الآن ، فلقد روى أحد عقلاء الأوربيين المستعززين بأحوال الأمم الإسلامية أن بعض الأعاجم افتخر أمامه بأنه كان يحارب الدولة

العلية ، تركيا ، في صفوف روسيا ، لأن تركيا دولة سنية
وليست شيعية !!

كم حرم المسلمون من مزايا بسبب الاختلاف في التوحيد ،
وكم لحق المسلمين من الأذى والتأخر بسبب الاختلاف في
التوحيد ،

ويدعونا البحث في وصف حال علمائنا اليوم من ناحية علم
التوحيد وما يجب أن يكونوا عليه فيه ، إلى البحث في الطرق
التي استعملت في أواخر القرون الأولى لتقرير علم التوحيد وهي
التي لا يزال علماءنا يغنون على نغماتها ويتحدثون عن موافقتها
لمقاصد التشريع ولما يجب اتباعه .

ونحن ، على أي حال ، لا نريد أن نطيل المقال في هذا الموضوع
فهذا المقام يحتاج وحده إلى شروح ضافية تشغل مجلدا ضخما . بل
الذي نريد أن نقوله الآن هو أن أكثر الخلافات لاحقائق لها في
الواقع ، وأن حقيقة الأمر في الدين الإسلامي أسهل وأبسط من
هذه التحقيقات والتدقيقات ، ولا يحتاج إلى مثل هذه المشاغبات
والخلافات ، التي قد يكون موضوع أكثرها مما لا يضاد الدين الاعتقاد
فيه بإيجاب أو سلب أو عدم اعتقاد أحدهما ، أو مما لا يجوز
الخوض فيه ولا تكليف العقل معرفته . كذلك نقول أن طريقة
النظر العقلي المجرد طريقة لا يفيد التوغل فيها وحدها إلا مخالفة
المعقول ، وهامى أقوال كبار الأئمة تنادى بأن هذا الطريق صعب
مخوف ، فقد حكى عن بعض الأئمة أنه قال : اللهم إيماناً كإيمان
العجائز ، وجاء في شعر بعضهم قوله :

فإذا الذي استكثرت منه هو الجاني على عظام المحن
فضلت في تيسه بلا علم وغرقت في يم بلا سفن
وقال بعضهم :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أزل واضعاً كف حائر على ذقنه أوقارعا سن نادم
وحسبنا دليلاً على صحة ما نقول أن طريقة النظر العقلي المجرد
لم تكن الطريقة المعهودة في زمن الرسول بل ولا في القرآن .
فما كان الغرض إلا حصول الاعتقاد الجازم من وجهة ثابتة
مقدورة للناس وليس فيها شيء من الحرج . وواضح أن النظر
العقلي المجرد قد لا يفيد من هذا الوجه ، اللهم إلا بالنسبة إلى
أقوام قليلين ، وإنما الذي يفيد هو الدليل الذي يستمد من الحس
والعقل معا ، ويؤخذ من طبائع الوجود ونظاماته ، ومن المعهود
في الفطرة ، ومن الوجدان الصحيح . أي من طريق يشترك فيه
العامة وخواص الناس . طريق يفيد الحق الصريح بل وإن احتمل
معه النقيض نظراً لضروب الجدل . طريق بين أطراف
الافراط والتفريط .

على أنه وقد سلك المتقدمون تلك المسالك ، وجروا على هذه
المذاهب ، وكونوا هذا العلم تكويننا خاصا ، فمقد كان الواجب
علينا إما أن نجاريهم ، وإما أن نتبع ما نرى أنه خير منه .
ولكن بما يوجب الأسف أننا لم نحصل على إحدى الغائتين
ولم يكن لنا من هذا العلم المهم حظ إلا جملاً يسيرة غير كافية بالنسبة
لما يليق بهذا العلم الكبير .

للمتقدمين مشارب كثيرة في هذا العلم ، ولكن أكثر علمائنا اليوم يتبع مشرب الإمام السنوسي . وهذا فيما أرى قصور وحرمان ، لأن هناك مشارب أخرى أنقى وأدق وأعلى .

على أنى أقول أن التوحيد ينبغي أن يقسم إلى قسمين ، قسم يقصد منه تحصيل الاعتقاد الصحيح . وآخر يكون الغرض فيه صد هجمات المعترضين من أهل الفرق الزائفة . ولاشك أن كل واحد من القسمين يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه الثاني . واعتناء المتقدمين بصد الهجمات كان شديداً ولكن ما كتبوه وقعنوا لا يفيد الآن كثيراً ، لأن خصومنا اليوم غير خصومنا أمس ، والشبه الموجودة الآن غير التي كانت موجودة في ذلك الوقت . من هذا فإنى أرى أنه يجب إيجاد كتب مفيدة للقسم الأول أى قسم تحصيل الاعتقاد الصحيح ، ثم دراسة كتاب مثل كتاب تهذيب الكلام أو كتاب الملل والنحل ، ثم إعمال الفكر بعد ذلك فيما يجمع أهل الشبه الكثيرة المنتشرة اليوم ، فإن لكل زمان مقالا . أما الاختصار على قراءة كتب الأولين التي هي في الحقيقة تاريخ المخالفين الأقدمين وما كتب في الرد عليهم ، فغير كاف الآن مطلقاً .

والعلماء حماة العقائد . ومن ثم كان واجبا عليهم النظر فيما ينبغي أن يحموها به ، وكذلك النظر في كيفية الحماية ، فإن سيدنا الرسول قد حمى الدين بالسيوف والحرب ، ومن الواضح أنه لو كان في زماننا هذا حماه بالبنادق ومدافع مكسيم .

هذا كله فيما يتعلق بأصول العقائد ، أما ما يتعلق بالدعوة الإسلامية وإقامة الأدلة على صحة الدين الإسلامى وحقية رسالة

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنني لا أراه مسألة من مسائل علم التوحيد بل أراه علماً مستقلاً . وهو في الحقيقة من العلوم المجهولة عند علمائنا اليوم ، فإنه لو اوضح مثلاً أن قصر ما يقوله علماءنا هؤلاء . تدليلاً على إثبات رسالة محمد ، على أنه أتى بالقرآن المعجز ، وما إلى ذلك من الكلمات الإجمالية ، لا يفيد في زماننا هذا ولا يقنع الخصوم .

علم البلاغة

لا أرى شبيهاً لحال علمائنا وطلابنا في دراسة علم البلاغة . ألا حال من يقرأ في كتب بعض الصوفية ويقول « الجمع وجمع الجمع والفرق » ونحو ذلك من العبارات ، من غير أن يعرف معناها ، ومن غير أن يتحقق به أو يجده كما يجده الصوفي ، ذلك لأن مبني هذين العليين (التصوف والبلاغة) ليس على التعقل والتصور أو التصديق ، بل المعول عليه فيهما ذلك النوع من الإدراك المسمى (بالوجدان) أو الإحساس والشعور الباطني ، الذي لا يحصل إلا بالتحقق بملك المعاني فيهما في ذلك كالعسل مثلاً لا يدرك طعمه إلا بمذاقه . فما يعبر عنه في التصوف « بجمع الجمع » هو حال وجداني « نفسي » خاص ، لا يعرفه حق المعرفة لا من تحقق به . وهذا هو نفس الحال في أمر البلاغة لا يعلمها حق العلم ولا يصلح للانتساب إليها إلا من رق وجدانه وصفا ذوقه ودق إحساسه حتى صار يشارك البلغاء في التأثير والتأثر . وهناك نقطة أخرى أريد أن أبينها ، هي أن البلاغة الوصفية

لا تجدى دون العملية ، إذ هي ليست من العلوم التي يحصل الكمال فيها بمعرفتها فقط ، بل هي في الحقيقة من العلوم الصناعية ، وغايتها إنما هي الملكة التي تنشأ عنها الآثار . فما لم توجد هذه الملكة فلا بلاغة .

ولقد بلغ تأثير هذه الملكات عند أهلها حد أن أصابتهم نوبات إغماء ، من شدة التأثير .

وهذا الحال الذي يعد كمالاً في البلاغة ، لا يحصل إلا من أمرين أولهما تصور معاني دقائق البلاغة ونكاتها وثانيهما التحقق بها .

فأما تصورها فطريقه : تدبر مسائل المعاني والبيان والبديع . إلا أن حصوله من أعمار الأمور . لأن التعبير عما يرجع إلى الوجدان ، وكذلك تصويره ليس بالأمر السهل بل هو من أصعب الأشياء ولهذا فأنت ترى أنمة هذه الفنون يكثرون من الجمل المترادفة بحسب الظاهر ، ويطنبون في التفسير ، ويكثرون من الأمثلة والشواهد والمقارنات ، لكي يمكنهم بمجموع ذلك ، أن يخيلوا المعنى للطالب تخيلاً يقرب من الحقيقة .

وأما التحقق بها ، فطريقه حسن التأمل وكثرة التدبر ، ومطالعة كلام البلغاء ، مع مزيد العناية والالتفات إلى دقائقه ، والتأمل في أسرار كلام الله وحديث رسوله . وبالجملة فهو لا يرجع إلى أمر خاص ولا شيء معين ، ولا شك أن سلامة الطبع والاستعداد الفطري العالي دخل كبير فيه .

وما يوجب الأسف أن علماءنا اليوم يقتصرون على الشطر

الأول المفيد في تصور معاني البلاغة ، ومع ذلك فهم لا يوفونه حقه كما ينبغي . وذلك لسببين : الأول أن الكتاب الذي يدرسه هو (تلخيص الخطيب) لا تفي جملة بتصوير المعاني كما أراد واضع العلم وكما صورها أئمة الفن ، فهو من هذه الوجهة مختصر اختصاراً بخلاً . والثاني أن البحث فيما كتب على هذا الكتاب من الشروح والحواشي والتقارير التي لا تكاد تحصى ، لا يدور على استجلاء حقائق المعاني المقصودة من هذا العلم واستطلاع مكنونات نفائسها ، بل على إشكالات ومباحث إما لفظية وإما عقلية خارجة عن أصل المقصود .

ولهذا فاني أرى أن يكون الاشتغال بهذا العلم على نحو الترتيب الآتي : يحفظ متن التلخيص أو ملخصه ، ويطالع الشرح المختصر مطالعة متوسطة ، ثم يدرس قسم البلاغة من المفتاح ، ثم أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز . وكل هذا يتم في ثلاث سنين أو أربع على الأكثر . ولا بد مع هذا من مطالعة كتاب آخر (كالعقد الفريد) .

البلاغة في الأسلوب

لا بد من ملاحظة أن هناك نوعاً من البلاغة حقيق بأن يسمى « البلاغة في الأسلوب » ، وهو المنفرد اليوم باسم البلاغة عند أكثر العامة ، ومرجه إلى انتفاء أساليب خاصة وبعض مفردات تفيد التأثير ، مع نوع من غرابة لا توصلها إلى حد الفطرة .

وقد يكون هذا النوع المستعمل الآن غير بليغ أبداً إذا
فعارض على دقائق البلاغة . ولكن على أى حال فمن الواجب
عدم إهماله ، فقد يكون استعمال كلام من هذا القبيل أفيد أحيانا
وأشد تأثيراً من استعمال كلام آخر موافق لقانون البلاغة .
فالبلوغ فى القانون هو ما أثر . وهذا النوع هو ما يستعمله اليوم
أكثر أرباب الجرائد والكتابات .

علم الأصول

علم الأصول بحسب أصل وضعه علم جليل . يوقف الإنسان
على الأسرار التشريعية وكليات الشريعة ومقاصدها الخ ، ولكن
للأسف عرته الآن ، على حسب ما بأيدينا ، خمسة موانع أبعدته
عن الغاية المقصودة .

والمانع الأول : أنه لم يعتن فيه بمقاصد الشريعة وأسرارها
وحكمها وما لوحظ من المصالح فى أوضاعها الكلية والجزئية .
وإنما أكثر فيه من المباحث التى تدور على الأمور التى ترجع إلى
القشور والنسك بالظواهر .

والمانع الثانى : أنهم أكثروا فيه من الخلافات اللفظية بغير
جدوى وبدون فائدة كما أكثروا من الخلافات التى لا يترتب عليها
شئ من الأحكام الدينية . والثالث : أنهم أدخلوا فيه كثيراً مما
ليس منه بل من العلوم العربية أو غيرها . والرابع : أنهم أكثروا
فيه من الجدل وخرجوا بمسائله إلى المعنى العقلى البحت . والذين
أخرجوه لهذه الناحية هم الذين اشتغلوا به من جدلي المتكلمين ، حتى

كانهم نسوا بالمرّة أن الغرض منه أن يبني عليه الفقه . ولذلك فإنك تجدهم قد أهملوا التفريع بالمرّة بخلاف أصولي الفقهاء من الحنفية ، وهم الذين سلكوا المسلك السليم المقبول .

والمانع الخامس : أن الكتاب الذي اشتهر وتداولته الأيدي في هذا العلم ، وأعني به ، جمع الجوامع ، ، غير وافي بالمقصود . ذلك لأن صاحب المتن أراد أن يجمع الأسفار الكبيرة في كلمات صغيرة يتيسر حفظها . ومع أن هذا على الجملة عمل مفيد إلا أنه كان ينبغي حينئذ تأليف الشروح الواسعة لتبين أصل المسائل المذكورة فية على طريق الرمز والإشارة بالإيضاح الكافي حتى يمكن للطالب أن يحفظ ثم يفهم . ولكن جرى الأمر على خلاف هذا تماما واليك البيان .

فقد شرح المحلّي هذا المتن شرحا في غاية الإيجاز حتى كأنه مع المتن متن لا يزال في دائرة الاختصار . ثم جاء الكتّابون بعده ونظروا في المتن والشرح نظر المستقد على التأليف في لفظه وتركيبه لا نظر المبين المفيد ، وكان كل ما قالوه أن هذا التأليف غير مستقيم . ثم جاء قوم آخرون ينتصرون لصاحب المتن والشرح بحق أو بغير حق . فألفت الأسفار وشحنت الأوراق بأخذ ورد . ثم جاء آخرون ، كالمعتدين ، ليحكموا بين الطرفين . وجل البحث في جميع ذلك عائد للفظ المتن والشرح لا لفقه المسائل ، فلقد رموا بهذا وراء ظهورهم جملة . واو أخصى المكتوب على هذا المتن في هذه المباحث السخيفة عديمة الجدوى ، لكاد يبلغ مائة مجلد . ولا أبالغ إن قلت أن هذا الكتاب بما كتب عليه صار سدا

مانعا من تعلم الأصول . وأن الطلاب بعد أن يعانوا أشد المصاعب
السنين الطوال في تلقيه يخرجون بلا فائدة ، وكأنهم ما عرفوا
الأصول . فلذلك أرى حرصا على الفائدة أنه لا بد من حفظ
متن في الأصول ، ولو كان متن جمع الجوامع كان حسنا ، وأما في
التلقي ، فإما أن يؤلف شرح جديد واف له ، وإما أن يبدل بغيره
من نحو المنهاج . وهنا لا بد لي أن أشير إلى ذاك الكتاب الثمين
الذي لا أصفه بأحسن من أنه يعد الإنسان للاجتهد . وأعني به
كتاب (الموافقات) الذي لا يشارك كتب الأصول إلا في الاسم
وإلا فهو معنى آخر ومشرب ثانی أولى به أن يسمى مقاصد الشريعة
وأسرارها ، أو عنوان التعريف بأسرار التكليف ، كما سماه صاحبه
أولا . فإن مطالعة هذا الكتاب متعينة على الطلاب . والله
أعلم بالصواب .

النحو

هذا العلم ليس من العلوم المقصودة لذاتها والغرض منه أن
يعرف الإنسان كيف يكتب وكيف يقرأ وكيف يتكلم بلغة
الإسلام العربية . ثم هو في ذاته ليس من العلوم العقلية القابلة
للبحث والتوسع ، بل مداره على النقل واستمداده من المسموع
والمنقول عن العرب الفصحاء ، وليس له من علة وراء ذلك ،
كما هو شأن جميع اللغات . ومن الواضح وجوب الاشتغال به ،
ولكن على وجه يضمن حصول الغاية منه ، مع تمام السهولة
والقرب ، كما هو شأن الأمور المقصودة لغيرها .

ولكن مما يحزن ويوجب مزيد الأسف أن الاشتغال به الآن
جار على كيفية لا تتمشى مع هذا الغرض إذ يضيع فيه الطلبة
وقتا طويلا جدا ومع هذا فلا تحصل الغاية . فالطالب منذ قدومه
يشتغل به ، مبتدئا بشرح الكفر اوى وهو المبتدىء بذكر (أوجه
البسمة) ودقائق النحو .. منتهياً إلى حاشية الصبان على شرح
الأشتموني ، ويستغرق ذلك ثمان سنين .. ومع ذلك لو سألته عن
أكثر المسائل النحوية أجابك (موش في بالي) ، وهذا فضلا عن أنه
بعد هذا الاشتغال لا يمكنه أن يحسن التكلم بالعربية ولا القراءة
بها .. وكمن الزمن يمضي في هذا التعلم العقيم ؟! ثمان سنين على الأقل .
باعتبار أربع ساعات في كل يوم ، ساعتين للدرس وساعتين
لهذا كرة .. فأى فساد أكثر من هذا الفساد ؟!

تلك الكتب الكبيرة ليست كلها نحواً صرفاً ، بل أكثرها
مباحث عديمة الجدوى بالنسبة لدراسة النحو . وهم يقصدون
بها التفلسف في النحو والصرف لغرض توسيع دائرة الفهم .
ولكن نظراً لرداءتها وسخافة موضوعها فهي لا تنتج إلا خسارة العقل
وتدريبه على تحليل الأمور بالعلل الوهمية وانحرافه عن جادة
الصواب ، فضلاً عن أنها تكون عقبة دون فهم مسائل النحو
وإحرازها جملة في العقل ، لما يحدث للطالب حينئذ من التشبث .
ومن الواضح مما تقدم أن النحو أمر نقل ، المدار فيه على
السمع ، وليس ميداناً للبحث العقلي أو الفلسفي أو تسابق الفكر .
فلا يصح بذلك أن يكون المسرح الذي يدرّب فيه الفهم وتربّي فيه
الملكات ، بل الواجب أن يؤخذ كما هو مجرداً من كل أثر للفلسفة ،

وهذا لا يحتاج لاكثر من ربع الزمن الذى يصرف فيه الآن أو ثلثه أو نصفه ، فيوفر الزمن الباقي لعلوم أخرى يصح أن تكون ميداناً للتنافس فى البحث الفسكرى . وبذلك يستفيد الطالب معرفة تلك العلوم فى ذاتها كما يستفيد أيضا منها الملكة المرغوبة ، وحينئذ قد يتمكن من أن يعلق على كتب النحو بأحسن أو على الأقل بمثل ما هو معلق عليها الآن من الحواشى .

على أنه ما دام أن الغرض من النحو هو ضبط أحوال الكلام العربى كما كان ينطق به أهله ، فإن ذلك يدعونا للتفكير فيما إذا كان هناك طرق أخرى توصل إلى هذه الغاية وتكون أسهل وأقرب لبلوغها مما رسمه النحاة القدماء فى كتبهم التى تدرس الآن بالأزهر ، كما هو الحال فى كل علم يكون الغرض منه الوصول إلى غاية معينة ، إذ متى أمكن تحويل الطريقة أو تقريبها أو تسهيلها أو بدت طرق أخرى أخصر ، فلا يجوز الارتكان ولا التعويل على الأولى ، لأن هذا يكون حينئذ من الجمود المضر المؤخر .
لذلك فأنى أرى :

- أولاً : أنه لا يجوز أن تكون دراسة النحو وصفية ونظرية محضه ، بل لا بد من ملاحظة التطبيق تكلماً وقراءة .
 - ثانياً : أن تحذف منه سائر المباحث المشتتة والمعوقة .
 - ثالثاً : أن تكون كيفية الدارسة على نحو هذا الترتيب :
- تفسير معانى الأجرومية بدون تعرض للإعراب إلا بقدر الضرورة ، وإن كان لا بد من شرح ، فليكن شرح الشيخ خالد ، وبعده يكون شرح الكفراوى ، ثم يدرس شرحا القطر والشذور ، ثم تحفظ

الآلفية ويدرس شرح ابن عقيل مرتين . وكل هذا يتم في ثلاث سنين أو أربع . أما نحو الأشموني وغيره فيكون من كتب المراجع ،

المنطق

المنطق مفتاح الحكمة ودليل الصواب ومقوم العقل وموسع دائرة الفكر . ولكن ذلك لا يكون له إلا حيث يصير ملكة للإنسان يسهل عليه جعل حركات فكره مرتبة عليه . وهذا إنما يحصل بكثرة التمرين والاستعمال . أما مجرد فهم مباحثه ومعرفتها فقد لا يفيد إلا من جهة أنها مباحث معقولة تورث تنور الفكر . نسبة المنطق للفكر كنسبة النحو للتكلم ، هذا يقوم العقول وذاك يقوم الألسنة ، وكما أن مجرد معرفة مسائل النحو لا تفيد فائدة ما ، ما لم تلاحظ دائماً في النطق حتى يصير ملكة يسهل معها التكلم بالعربية وقراءتها ، فكذلك مجرد معرفة مسائل المنطق لا تفيد ما لم يكثر الإنسان من ملاحظته في أفكاره حتى يصير ذلك ملكة له .

ويفارق المنطق النحو بأن مسائله معقولة قابلة للتوسع والتعليل وهما فيها يفيدان فائدة عظيمة من جهة تقوية العقل واستخراج نقائص المعقول وخواصه .

ولكن بما يوجب الأسف أن علماءنا اليوم يسلكون فيه نقيض المطلوب . فهم أولاً يكتفون فيه بمجرد معرفة المسائل من غير استعمالها . وقد تغالوا في ذلك إلى حد جعلهم يقتصرون على أمثلة خاصة مفردة يتلقاها الطالب عن المعلم ولا يتعدها الجميع .

ثم هم ثانياً يأخذونها مأخذ المنقول ولا يتوسعون فيها التوسع المطلوب ، وقد لا تنفطن أفكارهم لعللة الحصر أو سبب الاشتراط أو كيفية الإنتاج وسره وغير ذلك من الأشياء المفيدة المنورة للعقل .

هذا في حين أنهم يأخذون النحو ، مثلاً ، وهو من العلوم التي لا مجال للعقل فيها ، مأخذ المعقول ، ويتوسعون فيها توسعاً مضرّاً غير مفيد أبداً في النحو ، ويكثر فيه من العلل التافهة المفسدة للفكر والمباحث العقيمة التي لا فائدة لها إلا الضياع والتشويش . وهذا لعمري تناقض غريب .

علم الدعوة الإسلامية

كان المتقدمون يجعلون ما يخص بإثبات الرسالة المحمدية مسألة من مسائل علم التوحيد ، يوزعون المقال فيها ويستدلون على صدق الرسالة بأنه ادعى النبوة والرسالة وظهرت على يديه المعجزة ، وهي القرآن ، ثم يفيضون في أن دلالة المعجزة عقلية أو عادية الخ . أما اليوم وقد توسع أعداؤنا في الطعن على الإسلام ، ولفقوا من الشبه والمفتريات ما يملأ الأسفار الكبار ، وتفنونوا في الاستدلال على بطلان الإسلام ، وأوجدوا من الأساليب والمطاعن ما لم يكن معهوداً من قبل ، وحملوا على المسلمين حملة شديدة منكرة ، فقد وجب لإفراد هذا الموضوع وجعله علماً مستقلاً تستنبط فيه الأدلة المتنوعة وتفند فيه الشبه بطرق معقولة مناسبة لمعارف الناس اليوم وأحوالهم .

أعمل أعداؤنا الفكر وسهروا الليالي في استنباط الأدلة التي يرونها معضدة لهم والأساليب التي يمكنهم بها إقناع الناس ، وأوجدوا شهاً كثيرة ربما يشتبه حالها على أكثر البسطاء ولا يسع المقام تفصيلها . . . وذلك كله بينما نحن نأتمون لاهون معرضون عن هذا كل الإعراض . . . كأنه ليس من الأور الدينية التي يجب الاشتغال بها !!

ليس من النقص الفاضح والعار الكبير أن يدرس دعاة النصرانية القرآن وكتب التفسير والحديث والسير الخ ، ليجدوا منها مغزاً أو باباً يدخلون منه على الخط من كرامة الدين الإسلامي ، وأن يستشهدوا في سبيل تأييد آرائهم بالأحاديث والآيات القرآنية والوقائع التاريخية (وإن كان استشهاده مقلوباً) ، في حين أننا نرى بما يقرب من الكفر لمس كتبهم بأيدينا فضلاً عن اقتنائها ومطالعتها وتأمل ما جاء فيها !!!

أليس من العار أن توجد مدارس دينية كبرى تحوى الألوف المؤلفة من العلماء والطلاب ، ولا يوجد لها أثر مافى حماية الدين ونصرته والدفاع عنه بشيء معقول مؤثر على الناس اليوم !!!

أليس من العار على علمائنا أن يوجد في باعة الكتب وآحاد الناس من يحسن ذلك ويعتنى به دونهم !! أليس من العار على علمائنا أن يفنوا أعمارهم ويجهدوا أنفسهم في تحقیقات وهمية فارغة عارية عن الفائدة بالمرة ويهملوا مثل هذا الواجب الجليل الذي يتعلق بأصل الدين ورأسه !!!

ماذا يكون حال علمائنا إذا التقى أحدهم ببعض الدعاة للنصرانية ..
الذين يحفظون من الشبه والتويمات ما لا يخطر ببالنا .. في محفل حافل ،
وجرى بينهم جدال (بالتي هي أحسن) ، .. أفلا يكون عجز علمائنا
وظهور الخصم عليهم (في ظاهر الأمر) من أكبر النقائص التي
ربما دعت إلى تشكك بعض المسلمين !!

من هو القائم الآن من علمائنا بالدعوة إلى الإسلام من طريق
الاقناع والبرهان ؟ .. بل من ذا الذي يمكنه أن يدعو ويقنع
ويعرف كيف تكون الدعوة ؟ !
للدعوة طرق وأساليب بعيدة عن علمائنا اليوم بصورتها
ومادتها .

أيظن بعض علمائنا أن الدعوة إلى الإسلام تكون بنحو
(يارجل إسلم . الإسلام حق . دين النصرانية منسوخ) ، ونحو
ذلك من العبارات التي لا تفيد إلا الازدراء والتحقير !!
إن قلب العادات والأديان وتحويل الناس عما ورثوه عن
آبائهم ليس بالأمر السهل ، كما أنه ليس بمحال .
أنا لا أبالي أن أقول أن أكثر علمائنا اليوم لا يدري كيف
يدعو إلى دينه . بل ولا يخطر له ذلك على بال .

إن طرق دعوة النصراني غير طرق دعوة اليهودي ، غير طرق
دعوة الوثني ، غير طرق دعوة المجوسي . ودعوة الشرقي غير دعوة
الغربي . ودعوة المتوحش غير دعوة المتمدن . ودعوة الذكي غير
دعوة البليد الخ .. ومن ذا الذي يمكنه أن يحسن بعض هذه
الطرق اليوم من علمائنا ؟ !

إذا لم نرد أن نقوم بهذا الواجب الأقدس إرضاء لله وتقرباً منه ، أفلا ينبغي أن تأخذنا الحمية الفطرية ! (والإنسان مفتطور على حب الدعوة إلى دينه) ! وألا تأخذنا الغيرة من غيرنا ! وألا نفعل ما يرقينا بين الناس ويذهب عنا مسئولية التقصير !

يندهش الأفرنج من سرعة انتشار الدين الإسلامي .. ولكن على يد من هذا يكون ؟ .. على يد التجار وآحاد الناس الذين يتجولون في الأقطار ! لا على يد ساداتنا وكبرائنا العلماء الأعلام ! لو كان للعلماء عمل ما في إرشاد هؤلاء التجار أو الأفراد إلى الدعوة وطريقها ونشرها ، لعاد عليهم شيء من المدح والاعتراف بأداء الواجب بإزاء هذا الانتشار وإن لم يباشروه بأنفسهم .. ولكن كيف ولا عمل لهم في ذلك أصلاً ! وكيف يجوز لهم أن يفتخروا بمثل هذا الانتشار ! .. إنه لينبغي أن يكون سرورهم به مقروناً بالخجل .

إذا كان هذا هو حال الإسلام من الانتشار والتقدم مع أن المسكفين بهذه الأعمال كسالى لاهون ، فكيف يكون الحال لو قاموا بها حق القيام ؟ أليس ذلك مما يضاعف المسئولية عليهم ! أنا لا أريد من علمائنا أن يحاروا دعاة النصرانية في طيشهم ورعونتهم .. وإنما أريد أن يكونوا على بينة من الأمر ، وأن يقوموا بالعمل اللائق المقبول عند العقلاء .

إن من الخماقة والجهل الاعتذار عن هذا الإهمال بأن الدعوة الآن لا تفيد . فهذا عذر لا يقبل بحال . فقد دلتنا أعمال الإنسان واقتداره الفائق على أنه ليس هناك شيء بعيد على الفكر الجيد

المصحوب بالثبات ، وأن الإنسان متى جد واجتهد واستعمل قواه العاقلة واستخدمها كما ينبغي ، واستخرج ثمراتها وكنوزها ، نال فوق ما يتمناه .

وعلى فرض أن هذه الدعوة لا تفيد مع فريق من الناس ، فلا جرم أنها تفيد مع غيرهم . والحوادث الكثيرة أصدق دليل على هذا . وعلى فرض أنها لا تفيد أصلاً فذلك لا يمنع من وجوبها ، إذ لا عذر إلا بعد فعل المقدور . وإنما علينا البلاغ والدعوة إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن . ونحن لا نهدي من أحببنا ولكن الله يهدي من يشاء .

وقد يكون من أكبر التفريط والخطأ الفاحش التفاخر بثبات عقائد المسلمين بإزاء ما يأتيه دعاة النصرانية من الأعمال . فإن هذا إن صح أن يقوله أحد فليكن غير العلماء الذين يجب عليهم أن لا يتكلموا على مثل ذلك ، وأن يبذلوا قصارى الجهد في الدفاع وحماية العقائد وتوطيد دعائمها بما يأتون به من جليل الأعمال .

فلهذا أرى وجوب إيجاد علم جديد باسم (علم الدعوة الإسلامية) تكون غايته إثبات صحة الدين الإسلامي بإيراد الأدلة ودفع الشبه على حسب ما يوافق الناس اليوم ويناسب مشاربهم ودرجات معارفهم . وأن يتوسع في هذا العلم بقدر ما يمكن ، ويبذل فيه منتهى الجهد والعناية والاختراع والكشف ، وأن يكون من أهم ما يبني عليه ذلك العلم الاطلاع على كتب الديانات

الأخرى وبحثها بحثاً دقيقاً ، ومعرفة دقائقها وحقائقها بالتفصيل
الكافي ، والاطلاع على ما كتبه علماءنا الأولون وغيرهم في هذا
الموضوع ، ككتاب إظهار الحق وما في كتاب الملل والنحل لابن
حزم . والله خير موفق ومعين .

علم تهذيب الأخلاق

حاجة العلماء والطلاب إلى هذا العلم لا تخفى ، فهو يدعو لتعديل
أخلاقهم وتقويمها ورفع هممهم عن الدناءة واتصافهم بالفضائل
ومعرفتهم كمال الإنسان من حيث هو إنسان ، كما أنه يعدهم لأن
يكونوا هداة مرشدين ، داعين الأمة إلى فضائل الأخلاق
ومحاسن الشيم .

إذا كانت العلوم تشرف بشرف غاياتها وآثارها ، فإن هذا العلم
من أفضل العلوم وأعلاها قدراً وأحقها بالرعاية والالتفات
والعناية . خصوصاً من العلماء وطلاب العلم . لأنه يتعلق بترقية
النوع الإنساني وبلوغه أوج الكمال فيما يتعلق بشؤون المعاش
والمعاد . علم يدعو إلى الابتعاد عن الشرور والمفاسد والافتقار
من الخيرات والمصالح . علم يدعو للتقدم ويرسم للإنسان طريق
الخير والسعادة . إن الأمة التي لا تروج بضاعة علم الأخلاق في
أسواقها ، جديرة أن تكون أخط الأمم وأخسها ، وأن تكون
رهينة الذل والنقص ، حليفة الاحتقار والصغار .

لو كان علماءنا من أهل الكمال في الأخلاق لطا ابنائهم بالاشتغال
بهذا العلم والتوسع والتفنن فيه وإظهاره بالصور المناسبة لعقول

الناس ومعارفهم وأحوالهم وعاداتهم .. فكيف وحالنا في ذلك
معلوم مشهور !!

اعتنى علماءنا الأولون وغيرهم من الحكماء السابقين بهذا العلم
النفيس ، وتفننوا فيه وأبرزوه في صور مختلفة ، تناسب أحوال
الأطفال .. والرجال .. وأهل الجود .. والمتنورين .. فكانوا
مرة يحرونه على السنة البهائم .. وأخرى على السنة الطيور ..
ومرة يصيغونه في حكاية خرافية .. ومرة في الأشعار .. وأخرى
في جمل نثرية عربية أو عامية .. وتارة .. في مباحث فلسفية ، أو فصول
دينية . وقد تابعهم الغربيون في ذلك ، فكان من أهم ما اعتنوا به
في ذلك أمر الروايات والتمثيل .. لأن ميل النفوس إليها أكثر
وتأثيرها أشد .. أفبعد هذا يجوز أن نترك هذا العلم النفيس وبشتغل
مؤلفونا وعلمائنا بأن زيدا أخطأ في زيادة كلمة ، وعمر أخطأ في
نقص أخرى .. إلى غير ذلك من المشاغبات التي لا تجدى نفعا . ١٩
لو اشتغل علماءنا بعلم الأخلاق ، لوجدوا في أنفسهم من الراحة
الروحانية ما يحقق لهم معنى السعادة وإن كانوا في فقر أو
احتقار من الناس أو نحو ذلك من النقائص الحسية التي أثقلت كاهلنا .
لو اشتغل علماءنا بالأخلاق لسكنى بعضهم شربعض ، وأسكفوا
شر الناس وكفى الناس شرهم ، ورأوا ما يقر أعينهم من أنواع
التبجيل والاحترام المحبوب للإنسان بالطبع .
ولا يقدر كل عالم أن يدرس علم الأخلاق ولا أن يوجد الأثر
المطلوب منه ، لأن ذلك صناعة أخرى غير تدريس سائر العلوم ، تحتاج
لأن يكون الإنسان كاملا في خلقه وفعله .. مؤثرا في عبارته .. جيدا

في فراسته . . قويا في بصيرته . . ذكيا في فكره . . مقتدرا . .
متصرفا . . إلى آخر ماسياتي في لوازم الإرشاد .

ولكني مع هذا أرى وجوب اشتغال علمائنا به تعلما وتعلما .
وما لا يدرك كله لا يترك كله . وكل صغير ينمو مع العناية . ثم هو
وإن لم يحتاج إلى درس خاص به بل يمكن إعطاؤه في كل الأحوال ،
إلا أني أرى أن يعمم إعطاؤه ثم تفرد له دروس خاصة ، يكون
موضوعها دراسة نحو كتاب (تهذيب الأخلاق) لابن مسكويه .
والله خير موفق ومعين

علم التصوف

لا أريد من التصوف تلك الألغاز والمعميات والظلال من
كلام بعض الصوفية في حقائق الموجودات والإلهيات والمقامات
وسائر ما يتعلق بالمكاشفات كما جاء عن ابن العربي وغيره ، فذلك
إن كان وهميا خياليا فظاهر ، وإن كان حقيقيا فلا أرى أن ينشر
ويصرح به ويودع كتبنا ، فضلا عن أن يدرس ويتلقى في المدارس ،
لأنه فوق طور العقل الانساني بالمرة . فلا يليق أن يلقي إلا لمن يعرفه
ويتأهل له . ونشره بين الناس مضر غاية الضرر . لأنه فضلا عن
غموضه فإن عباراته قد تدل بحسب ظاهرها على شيء غير المراد ،
ولا يجوز أن يراد ، وذلك لأن من أصعب الأشياء التعبير عن
الوجدانيات .

ولا أريد خصوص ما يتعلق بالاصطلاحات والرسوم التي
وجدت في التصوف ، ومنها تنوعت الطرق واختلفت العادات
والأحوال عند من ينتسبون إلى التصوف .

ولمّا أريد على الجملة جميع ما يتعلق بحاسبة النفس ومجاهدتها
في منازعتها الشهوانية ، والبحث عن أحوالها وتصفيتها حتى يحصل
لها الوجدان الروحاني العالی والذوق النوراني الشريف وهذا كما
تجد في كتب الغزالي والقشيري وأمثالهما من الكلام على المنجيات
والمهلكات وغير ذلك .

وتالله إن الإنسان ليعجب ويندهش حينما يرى رجال الدين
اليوم ينقسمون إلى قسمين ، رجال علم ورجال طريق ، أو (فقهاء
وصوفية) ثم يرى أن أكثر الصوفية أو المتصوفين من الغباوة
والجهل والدناءة بالقرار المسكين ، ومع ذلك فبيدهم مفاتيح قلوب
الامة وأنهم أصحاب السلطان الأعلى والكلمة التي لا ترد عند الجمهور
سواء في الأحوال العامة أم في المسائل الخصوصية ، وقد بنوا هياكل
وسجوناً وصنعوا أغلالاً وقيوداً وعملوا شباكات ومصائد من
الآوهام والتأثيرات والخرافات بالنسبة للعامة (وهم جمهور الناس) ،
وأدخلوا في الدين ما ليس منه ، وأخرجوا منه بعضه ، بسبب جهلهم
الكثير . كذلك يعجب الإنسان حينما يرى أن أكثر القائمين بالعالم
قد وقفوا عند حد التصور أو التصديق بالأحكام الشرعية العملية
دون ما يتعلق بالأخلاق الدينية وتصفية النفس وأحوال القلوب
وتعميرها بالأنوار القدسية والأصرار الروحانية ، ولم يزوجوا
بأنفسهم في ميدان العمل أيضاً ، كأنهم اعتقدوا أنهم بما تصوروا
من كتب الفقه والتوحيد ، قد أمكنهم أن يتصوروا الكمال الإسلامي ،
ويتحققوا بالغاية التي يدعوا إليها الإسلام ، وأنه ليس على ما علموا
من مزيد ، وأن الكمال في العلم يغني عن الاشتغال بالعمل .

والحقيقة الواجبة أنه لا يجوز التفريق أبدا بين قسمي العلم الإسلامي (أى ما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة وما يتعلق بالأحوال الباطنة) ، ولا التفريق بينهما وبين العمل . ولا يصح أبدا أن يكون هناك من رجال الدين من تكون غايتهم أن يعملوا من غير أن يعملوا ، ولا من يكون السكال عندهم في أن يعملوا بجهالة من غير أن يعملوا ، ولا يجوز أبدا في الإسلام أن يكون هناك شيء اسمه (فقهاء) وآخر اسمه (صوفية) ، ومادام كلاهما منفصلا عن الآخر ، ولهذا رئاسة ولذاك أخرى ، فالدين في خطر والحال في وبال . بل الواجب أن يكون الفقهاء هم الصوفية والصوفية هم الفقهاء وأن يكون العلماء هم رجال العمل وأئمة الإرشاد أو بعبارة متعارفة (مشايخ الطرق) ، وأن يكونوا هم أصحاب السلطان الأعلى والكلمة المسموعة والنفوذ التام عند العامة ، لكي يمكنهم أن يهدوهم إلى طريق الحق ومناهج الصدق ، وليخرجوهم من تلك الظلمات التي يوقعهم فيها أكثر مشايخ الطرق الصوفية بما لهم من التأثير الاعتقادي . ولا يجوز أبدا أن تترك الأمة في جهل شديد وانحراف ، تتقاذفها أمواج الشهوات وأخلاق الأمم المتقلبة ، ويتحكم فيها هؤلاء الجبهة باسم الدين والتصوف . كما أنه لا يجوز للعلماء الاعتقاد بأنه لا شيء هناك فوق ما يعملونه من الفقه والتوحيد أو فوق ما يصل إليه العقل الإنساني من السكال الإسلامي ويحددوا من أجل ذلك التصوف وما عليه الصوفية كلية . بل الحق أن هناك نوعا من السكال الإسلامى هو أعلى سائر أنواع السكال ومنتهى مراتبه . لا يصل إليه الإنسان من طريق

العقل بل من طريق الذوق وتصفية النفس والانتقال من أحوال الطبيعة بمجاهدة النفس والإشتغال بأنواع الرياضة والعبادة ، وأن المؤمن لا يكمل حقا ويقال أنه وصل إلى الغاية التي يدعو إليها الدين إلا إذا حصل عنده هذا الذوق وعمر قلبه بالأنوار الإلهية والأسرار القدسية واقترب من الملائكة الأعلى وكان من أهل البصائر العالية والعلوم الذوقية الخافية ، فذلك هو لب الدين وأكثر مقصده ولا بد للمؤمن منه ، والعالم أحوج الناس إليه ، فمكثا كان رسول الله وكان خير أصحابه وأهل الطبقة العليا من المسلمين . ولا شك أن هذا هو غاية علم التصوف .

نعم أنا لا أنكر أن حصول هذه الغاية كما ينبغي صعب . وأن النفس في وجداناتها يعارضها الوهم كما يعارض العقل في إدراكه . وأنها بصفات العجيبة ربما تتمثل لها الحقائق في صور شتى . ومن أجل هذا كان حصول غاية التصوف عند بعض المشتغلين به على عكس المطلوب ، ووقع كثير منهم في أشياء كانوا بها من المتغالين المجاوزين حدود الاعتدال .

ولكن ذلك كله لا ينقص من أهمية الغاية الأصلية التي يدعو إليها التصوف .. ولا يكون مانعا من وجوب الاشتغال والتحقيق به على وجه مقبول معتدل . كما أن جنوح العقل في كثير من مدركاته ووجود فرق كثيرة من أهل النظر قد ضلوا سواء السبيل في نحو علم التوحيد ، يجب أن لا يكون مانعا من وجوب الاشتغال به . أنا لا أريد أن يكون العلماء كهؤلاء المسمون (متصوفة) في مخيلتنا ، ممن تركوا الدنيا بأسرها وسائر المصالح العامة واقتصروا على التصوف وعكفوا عليه ، مع إهمال كثير مما يجب على المسلم

القيام به من شؤون هذه الحياة ، ومع الجهل بكثير من العلوم العقلية والنقلية التي يجب تعلمها . ولا أريد أيضا أن يكونوا على الأحوال والصفات التي عليها (مشايخ الطرق) الآن، وهي الأحوال الموجبة للإزدراء والتحقير . ولا أريد أن يتجاوز العلماء في التصوف الحد المعقول ويخرجوا إلى طور «الشطح»، ولا يكونوا كابن العربي وأمثاله ، بل أريد أن يشتغلوا به على الوجه الذي يحصل لهم تلك الملسكات الروحانية العالية والأنوار السامية ، ويحصل لهم ذلك الذوق الصحيح ، فيكونوا من أمثال أبي حامد الغزالي، حيث شرب من الحوضين وتناول بالكاسين .

وأريد أن لا يكون احتقار كلمة (صوفية، وتصوف، وطريق وعهد، وفقراء)، ونحو ذلك، سدا مانعا يحجب العلماء عن تلك الغاية السامية النفيسة، فإن الدرة إذا كانت في عذرة وجب أخذها منها وتنظيفها والانتفاع بها .

ولا أتحاشى أن أقول إن من لم يشتغل بالتصوف على هذا المعنى ليحصل على هذا القدر، فإنه لم يذق طعم الدين ولم يصل إلى شيء من حقائقه الروحانية التي هي المقصود الأصلي وبها السكال الإنساني، وأن من اقتصر على هذه الأحوال والعلوم المألوفة عندنا اليوم فهو واقف عند القشر ولم يصل إلى اللب أصلا .

على أن هذا النوع من السكال الوجداني كان معروفا عند الفلاسفة قبل الإسلام ، وكانوا يجدّون في تحصيله ويجاهدون غاية المجاهدة، ويحصلون به على الفضيلة الذاتية، ويصلون من العلوم الحقيقية والأمرار الغامضة إلى ما يستحيل الوصول إليه من

طريق العقل . ولذا خفيت أكثر عباراتهم على أهل النظر المجرد .
من هذا فاني أرى وجوب الاشتغال بعلم التصوف على النحو
الذي تقدم بيانه وشم السعي ايضا في التحقق بمضمونه ، فان مجرد علمه .
كما هو الحال في علم الفقه ، لا يفيد بدون العمل . وأفضل من
يتلقى عنهم هذا العلم تلقيا يؤثر في النفس ويحمل على العمل ، هم من
يكونون متصفين به ، (وإن لم يعرفوا من الفقه وغيره إلا بقدر
ما تمس اليه الحاجة) . فأن تلقيه على أي حال كان ، شيء مفيد .
ولهذا الموضوع بقية كبرى ربما أتينا بها في صورة أخرى ،
والله هو الهادي إلى الصراط المستقيم ،

علم القراءات

علم القراءات يتعلق بعباد الدين وأساسه ، وهو القرآن . ولا جرم
أنه بذلك ينبغي أن يكون من أشرف العلوم الدينية التي يتفاضل
بها العلماء ، إذ حفظ القرآن والمحافظة عليه بطرقه السبع المتواترة
من الأمور المهمة التي يجب أن يعتنى بها .

ولكن ذلك العلم منبوذ اليوم عند العلماء ، حتى إنه لا أفضلية
لمن يعلمه على من لا يعلمه ، وموكل أمره إلى (العقهاء) ، وهؤلاء
لا رابط لهم ولا نظام ولا ضمان لو جردهم ، وقد ينقرضون بسبب
عدم إقبال الناس على تعلم هذا العلم . وهذا فضلا عن أن ذلك العلم
لا يعلم الآن إلا بأجر (ولو كان المعلم من العلماء) . وذلك نقص
وتضييق لا يجوز أن .

فمن هذا أرى أن هذا العلم وإن لم تتحتم معرفته على كل عالم ،
فلا بد من اعتباره ميمزاً من أهم المميزات التي يقع بها التفاضل ،
وأن من يعلمه من العلماء ، فعليه أن يدرسه في درس عام كباقي
الدروس ، وإلا لما كان له به أدنى امتياز .

ولهذه المناسبة فإني أذكر أن اعتناء العلماء بحفظ كتاب الله
قليل جداً وكثير منهم نسيه . وقد لا يخطر بباله أن يتلوه ليحفظه ،
وهذا من أعظم النقائص ، إذ الواجب على العلماء أن يكونوا أشد
الناس حفظاً للقرآن واستحضاراً لآياته ، كي يستشهدوا بها عند
الدواعي ، ويذكروا منها في كل موضع ما يناسبه ، ويطبّقوها
على جميع الشؤون .

ولقد صنعت إدارة الأزهر خيراً جزئياً حيث اشترطت حفظ
نصف القرآن على من يريد أن يلحق بطلاب العلم ، وأو اشترطت
حفظه كله لكان أولى .

على أن مما يوجب الأسف أن بعض اللجان الموكول إلى عهدتها
اختبار الطالبين في القرآن كثيرة الإهمال ، مع أن هذا يترتب
عليه ضرر كثير . نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والنجاح

التاريخ

لا يحفل قدر التاريخ إلا جامد لا يعرف من أين يستفيد وينمي
عقله ويوسع مجال نظره ولا كيف يصل إلى كنه الحقائق ولا يخطئ .
في إصابة المرمى ، ولا يغتر بظواهر الأمور ، ولا كيف يجد
السييل إلى معرفة المستقبل المجهول ويملا نفسه عظة واعتباراً

ويعمر قلبه بالوجدان الشريف.

أى نعم لا يجمل قدره إلا من يجمل ذلك ، لأن تلك هى بعض فوائده وثمراته . هو العالم الذى يعطيك من التجارب كما يكون لمن عاش منذ بدء الدنيا إلى اليوم الذى أنت فيه . يمر بك على الأمم حتى كأنك معهم . ويأخذ بيدك إلى الممالك حاضرها وباديها حتى كأنك فيها . ويشهد الحوادث والمناظر الغابرة التى حصلت فى أكثر من ستة آلاف سنة مثلا . ويطلعك على ما لو كنت فى زمنه ما استطعت الوصول إليه ، من دقائق السياسة وما كان يجرى فى قصور الملوك . يعطيك علم التاريخ هذا فى زمن إذا قيس بالفسادة منه يعتبر زمنا قليلا جدا . وقد لا يحتاج منك إلى معم إن كنت ذا فكر ناقب واستنتاج صحيح . ولا يطلب منك إلا الالتفات إليه لكي يمنحك هذه العطايا الجليلة والكنوز الثمينة الغالية .

للتاريخ فائدة هائلة قد لا يعرفها إلا من قرأ التاريخ أو رأى أعمال وأفكار من قرأوا التاريخ ، فإنه يرقى الفكر إلى درجة عظمى ، ويؤثر فى الأخلاق تأثيرا لا يمكن أن يصل إليه الإنسان من دونه ، ويرقى العقل أكثر مما يتصور . وعلم يحصر بين يديك العصور الحالية والأمم البائدة والممالك السحيقة ، بأعمالها وعاداتها وأخلاقها ومدنيتها وحسناتها وسياستها ، ويمثل الحوادث بين يديك كلها لتأخذ منها خلاصة المستحسنات وتبتعد عما عداها ، لجدير بأن تكون له أعظم فائدة .

حسبك فى هذا أيضا كتاب الله الذى أتى على شئ كثير من

تواريخ الأمم وحث على التأمل في أحوال البائد منها لغرض
الاعتبار والموعظة .

ولكن من المحزن أن العلماء يجهلون تاريخ كل شيء حتى تاريخ
أنفسهم . وقد لا يكون للتاريخ عندهم حظ إلا أن أصله تورخ
أو تأريخ . . .

قلت يجهلون تاريخ أنفسهم وهو حق ، لأنهم يجهلون تاريخ
وطننا وعصرنا ودولتنا الحاكمة علينا ، ولا يعلمون من هذا ما يعلم
غيرنا عنا . يجهلون تاريخ ملتنا وكيف ظهرت ، يجهلون تاريخ
مذاهبنا وكيف نشأت ، يجهلون تاريخ الأمة الإسلامية والأطوار
التي تقلبت فيها وكيف تشتت وتمزقت كل ممزق وما هي أسباب
ذلك . كما لا يعلمون في أي البقاع تقع الممالك الإسلامية ، ومن
يحكمها وما هو حالها وهذا فضلا عن غير ذلك من أنواع التأريخ .
وأي نقص بعد هذا النقص ! وأي عيب بعد هذا العيب !
لو كان هذا العلم من المستعصيات لكان في ذلك بعض العذر .
ولكنه في الحقيقة علم سهل . علم أوقات الفراغ ، علم يصح أن
يؤخذ مأخذ الراحة من عنا التفكر في العلوم الأخرى . . . إذا
فليس من مانع يمنع عنه إلا مجرد الكسل وعدم التلبه وعدم
الإحساس بالنقص المخزي وفقدان ملكة حب الكمال من
وجهه الحقيقي .

من التاريخ تاريخ أطوار النابغين في العلوم والمعارف والمخترعين
والمكتشفين والمؤثرين في ترقية الأمم والفاحين والملوك المجدين
للدول الخ الخ . وقراءة مثل هذا يبعث في النفس نشاطا شديدا

ويحمل على الجد والعناية والترقي ويجدد في الإنسان حب الكمال والوصول إلى أعلى مناصب الرفعة من أوجهها الحقيقية الممكنة . ويعلم الإنسان الثبات ومصارعة الأيام . وذلك أهم ما يتوقف عليه التقدم .

ومن التاريخ أيضاً تاريخ الملل والمذاهب والآراء وهو من أهم ما ينبغي أن يعنى العلماء به ، بل قد يكون من خصائصهم . وهنا أستلقت الأنظار إلى أنه لولا التاريخ ما أمكن فضيلة أستاذنا الشيخ محمد عبده أن يأتي بكتابه الجليلين ، الرد على هانوتو ، ووالاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، ، على النمط الحسن المفهم الذى جرى عليه فيهما ، ولا ان يذب عن الإسلام ويدافع عنه بما يقبله ويشهد بمكانته كل إنسان ، فلهذا واغيره أرى من الواجب على العلماء وطلاب العلم دراسة التاريخ والاعتناء به والاستفادة منه . وأن يكون عندهم بالمنزلة التى ينبغى أن تكون لعلم مثله . والله هو الهادى والمعين

الجغرافيا

الجغرافيا هو العلم الذى يتشوف اليه كل إنسان بطبيعته . وهو الذى يتساءل كل الناس (ومنهم العلماء) عن مسألة بسؤالهم أين الهند وأين الصين وأين أوروبا وأين اليابان . هو العلم الذى يوجب له حق الإخاء والاتحاد والتعاون بين المسلمين المنتشرين فى بقاع الأرض ، إذ من اللازم أن يعرف المسلم

فضلا عن العالم ما هي الأماكن التي يتوطنها المسلمون، وكم عددهم
وما هي كيفية معاشهم، وما هي الحكومات الحاكمة عليهم،
إلى غير ذلك. وكل هذا لا يمكن أن يعرف إلا من الجغرافيا،
الجغرافيا هو العلم اللازم لكل من يغار على دينه ويهمه
انتشاره في بقاع الأرض، ليعرف ما يمكن نشره فيها وما لا يمكن.
كما يعرف القسس أن أواسط أفريقيا، مثلاً. وإن صعبت مسالكها،
كما هو مبين في الجغرافيا، ألا أن من السهل نشر المسيحية فيها، لأن
أهلها متوحشون على غير دين، أو على دين وثني.

وأكثر هذه البلاد الأفريقية تابع لحكومات مسيحية،
فعندما يصلها هؤلاء القسس، يتجولون فيها وهم كأهلها في العلم بها
وبطبايعها، مما تعلوه من الجغرافيا وقد لا يحتاجون إلى دليل،
ولا يمكن أن يغربهم أحد. فمن أين يكون لنا هذا ونحن لولا
واجب الصلاة ما عرفنا أين الحجاز!.. وأنى لنا مثل هذا ونحن
لا نعرف بلاد المسلمين فضلاً عن غيرهم!!

أترى أنه لولا الجغرافيا كان يمكن للعرب أن يفتحوا الممالك
وينتشروا في تلك الأقطار الواسعة!!

أترى أنه لولا الجغرافيا كان يمكن للأوربيين أن يتغلبوا
على الشرق ويحتلوا بلاده. ويحتكروا خيرها ويضعفوا تلك القوى
الإسلامية الهائلة بل يعدموها!.. حتى أنهم يقاسون أشد المتاعب
ويرتكبون الأهوال ويخاطرون بأنفسهم في السباحة لمجرد وصف
البلاد وبيان مواقعها وطرقها وعادات أهلها ودياناتهم الخ الخ!!
الجغرافيا دليل السباحة في الأرض. والسباحة رأس النجاح

وداعية الكمال وأسر الفضائل . وكم مرة حث القرآن عليها بنحو
 « قل سيروا ، أو لم يسيروا ، الخ الخ . ولكن نحن ما أجهلنا
 بحاضرنا وباديتنا وما أشد تقصيرنا في أداء الواجب . لم لا نتعلم
 الجغرافيا فنعلم مواقع البلاد وما هي عليه . لم لا نتعلم الجغرافيا
 ونسير في الأرض ونسافر في طلب المعالي . لم لا نتبع سبيل
 أجدادنا الذين كانوا يسافرون الشهور لمسئلة واحدة من العلم .
 أليس من العيب أن لا نعرف موقع عاصمة دولتنا العلمية تركيا !!
 لم لا نعرف البلدان ونكثر من السفر إلى الهند ليشد بعضنا إزر
 بعض ؟ .. وإلى الصين لنقوى إخواننا هناك ؟ .. وإلى العجم لنزيل
 سوء التفاهم الديني بين الأمتين ، ونزيل هذا التباعد والعداء
 الحاصل لأسباب واهية ؟ . لم لا نذهب إلى مرا كش دعاة إلى الإصلاح
 والنظام والتقدم والمحافظة على الاستقلال بتعميم العلم والتربية ،
 مبينين أن الدين لا يخالف كثيراً من محدثات الإفرنج ؟ .. لم لا نذهب
 إلى بلاد العرب حيث الأمم البدوية ، لترقى من عقولهم ونقوم من
 أخلاقهم ؟ .. بل لم لا نسافر إلى أوروبا لنوقف الناس هناك على
 حقائق الدين الإسلامي بالأسلوب الحسن ونجاهد في الله ذلك الجهاد
 العلمي الذي لا تسيل فيه الدماء ، ونزيل تلك الأكاذيب التي يشيعها
 بعض رؤساء النصرانية عن الإسلام وأهله ؟
 وكل هذه الواجبات لا تتم للإنسان وتسهل عليه إلا بعلم
 (الجغرافيا) . ذلك العلم البسيط الضروري الذي انتشر وصار
 يعلمه سائر الناس ، ولا يحمله إلا نحن ورعاة الغنم !!
 هب أننا لانحب أن نعلبه لأمثال هذه الثمرات التي قدمتها ،

أليس الجهل به الآن يعد عيباً عظيماً ويحط من قدر الإنسان مهما كان كعبه عالياً في العلم الديني أو الورع ١٩
ولا بأس أن أذكر هنا حادثة سمعتها عليها تؤثر في أكابر علمائنا،
وهي أن فضيلة الشيخ عبد الكريم سليمان توجه مع أحد أفاضل
جبل لبنان لزيارة فضيلة المرحوم الشيخ الإنباني . فلما استقروا قام
حضرة الشيخ عبد الكريم بواجب التعريف وأن هذا الزائر من
جبل لبنان ، فسأله المرحوم أو أحد الأكابر في مجلسه أين جبل
لبنان ؟ فاشمأزت نفس الزائر وقال بعد انصرافه : لقد أضعت
خطواتي .

ففضيلة المرحوم عليه الدين لا ينكر وفضله أشهر من أن يذكر .
وعلم الجغرافيا لم يكن ليأخذ منه وقتاً ضائعاً . وكذا غيره من
أكابر العلماء . ولكن انظر كيف أدى التهاون به إلى الخط
من قدره .

أفبعد هذا يليق أن نجعل هذا العلم فنخلاً أو لا بالواجب الديني ،
وثانياً بالواجب الأدبي ، وثالثاً بالواجب المادي الذي من أهم
أسبابه السياحة التي لا تتم إلا بالجغرافيا !!

يقول جمهور العلماء والطلاب إن الجغرافيا من العلوم (الاجنبية) ..
ومن قبل ولا يزال بعضهم يسمى نحو علوم المنطق والبيان
(العلوم البرانية) .. وينظرون إلى الجغرافيا كما ينظر إلى الأشياء
الداعية إلى التفرنج ، أو التي تعد عندهم من مقدمات الانسلاخ
عن الدين .. ولهذا فقد قابلوا تعليم الطلاب علم الجغرافيا بالسخط
التام وعدوا ذلك من المصائب التي تدل على أننا في آخر الأزمان

التي تتوارد فيها المنذرات بضعف الدين وانحطاطه . ولكن انظرنا بعين التبصر لم نجد في الجغرافيا اجنبياً إلا كلمة (جغرافيا) ، وأن كل ذلك من فعل الأوهام والجمود الذي أحاط بنا .. فان عدم تداول الشيء بيننا أو بين آبائنا مثلاً ، لا يكون دليلاً على بطلانه ومناذته للدين . ووجود أقوام يأخذون مثل هذا العلم الخاصة التقليد الأعمى ، لا يمنع كونه حسناً في ذاته ، وينبغي أن يؤخذ لما فيه من المنافع ، لا لمجرد التقليد والتفرنج وخلع القديم من حيث هو قديم وأخذ الجديد من حيث هو جديد .

فلهذا أرى أنه لا بد للعلماء الذين لا يعلمون هذا العلم أن يتعلموه ويعلموه . وخصوصاً وإنه يكفي له أوقات قليلة من أوقات الفراغ ، فيصح أن يؤخذ مأخذ التسلية والاستراحة من الاشتغال بتحقيق مسائل البلاغة والمنطق والكلام .

اللغات الأجنبية

بما أراه واجباً على العلماء تعلم اللغات الأجنبية ، فإنهم نواب عن سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتبليغ . وكيف يمكن تبليغ تلك الأمم الكثيرة التي لا تعرف العربية وإيقافها على حقائق الدين الإسلامي إذا لم يكن حملة الدين عارفين بلغاتها وأساليب تلك اللغات وآدابها ليتمكنهم أن يصوروا لهم المعاني المطلوبة بصور مؤثرة .

يكاد يكون اختلاف اللغات اختلافاً نوعياً ذاتياً ، لأنه يوجد من الوحشة وعدم الائتلاف أكثر مما يكون بين نوع وآخر .

وبسببه لا يمكن لأحد الطرفين أن يشارك الآخر في ما يحس به
وفيما يخالطه من الوجدانات والآراء والأفكار والآمال بل قد
يوقع في سوء تفاهم وتعاند من غير أن يكون هناك ما يوجب ذلك.
وقد يفهم أحد الطرفين في الآخر الحسنة والدناءة وسوء
القصد و... الخ من غير أن يكون هناك تحقق لشيء من
ذلك. ولا مثال لهذا أكثر مما بين الأمم الإسلامية وبين الأفرنج
ولو كنا نعلم اللغات الأخرى لزال أكثر ذلك ولأمكن لعلمائنا
أن يقنعوا سواهم بمزايا الدين وفضائله.

هؤلاء القسس والمبشرون بالدين المسيحي يجاهدون أشد
الجهاد ويقاسون أشد المتاعب في تعلم اللغة العربية، لكي ينشروا
بواسطتها الدعوة إلى المسيحية بين المسلمين.. ثم هم يجازفون بأرواحهم
في سلوك الصحارى والقفار واقتحام أشد الأخطار، ويغادرون
بسطة العيش ولذة الرحمة والترف في بلادهم، طمعاً في تنصير واحد
من المسلمين أو غيرهم. أفلا يكون لنا من ذلك عظة؟ ألا يكفيننا
هذا تلبساً على أداء الواجب؟

يخرف دعاة النصرانية كلام الله (القرآن) عن مواضعه،
ويترجمونه تراجم فاسدة، ويفترون على رسول الله الكذب، ويصفون
من الأحوال المفتراة على رسول الله وعلى أصحابه ما يمثل الإسلام
والنبي وأصحابه أشنع تمثيل وأقبحه.. كي يوغروا صدور تلك
الأمم علينا ويملاؤوها بغضاً وكرهية واحتقاراً للإسلام والمسلمين..
ونحن لا هون غافلون كسالى عن القيام بالواجب.. ثم يقوم رجل
من الإفرنج يذب عن الإسلام ويبين فساد ما افتروه وكذب

ما ادعوه.. ونحن أيضاً نؤمن ولا نسمع ولا ندرى شيئاً من هذا الموضوع! .. بل ويأتى بعض المسلمين أهل الغيرة فيترجم هذا المقال باللغة العربية.. ثم لا يصل خبره إلى أسماعنا! وهل يعلم أكثر العلماء أن في الوجود كتاب اسمه (الإسلام . خواطر وسوانح) ، مطبوع باللغة العربية في هذا الموضوع! كل هذا لتجنب العلماء لغات العالم مع الغفلة عما ينشأ عن ذلك من الأضرار الجمة والقصور المعيب .

لعل أكثر علمائنا لا يعلمون أن بعض الأجانب كان يعلم الناس أن النبي كان شرباً للخمر ، يمضى ليله مع المومسات ، ثم يصبح مدعياً أنه كان مع جبريل عليه السلام ، وأنه إنما موه على عقول الناس بأنه أتى بحمامة وصار يضع لها حبات القمح في أذنه حتى اعتادت التقاطه منها ثم أخرجها أمام الناس فكانت تأتي لتبحث عن غذائها في أذنه وهو يوهم أنها جبريل أتى ليلقى في أذنه كلام الله. وأن دين الإسلام دين وثنية. إلى غير ذلك من الإفك والبهتان العظيم . وكانت نتيجة ذلك أن تمثل المسلمون في أعين الأجانب بهيئة المتوحشين الناقصين الأشرار . فأولوا رغبوا بالمرة عن دين الإسلام وعدوه من النقائص . وثانياً ساموا المسلمين بأنواع الخسف والاحتقار وكروا عليهم بخيلهم ورجلهم وامتلكوا ديارهم ومالهم .. أفلو كان هناك من علمائنا من أتاهم الله من الحكمة وقوة العقل والتنور وسعة الاطلاع ومعرفة لغات الأمم والخبرة بأساليب السياسة والإرشاد والتحايل ، ما يليق منه بالعلماء... أما كان في قدرته أن يخفف من حرارة هذه النار المستعرة في الصدور ويخفض من هذه الأحقاد المتمكنة في

القلوب، ويدفع عن المسلمين شر هذا الاحتقار، بحسن إرشاده، وفائق حكمته، وإقناعه، وبيانه لحقائق الإسلام ومحاسنه الجملة المنطبقة على المصالح الاجتماعية والطبيعية والإنسانية، وشرح أسرارته ومقاصده السننية؟.. بل أما كان يرغب الكثيرون من الأجانب في اعتناق الاسلام؟.. فإن تلك الأمم المتعددة والجموع الكثيرة لا تخلو ممن إذا عرف الحق أخذوا إليه ولم تؤثر عليه مظاهر العادة وأفاعيل الأوهام؟!

وإني لا أزال أقول أن العالم الديني إذا استكمل عدته وادى وظيفة فعل مالا تفعله الأساطيل ولا تؤثر معه مدافع مكسيم، وقلب كيان العالم وبدل نظام الوجود كما يشاء الله، وآلته في ذلك إنما هو العقل المفكر واللسان المبين. أنا لا أنكر أن هناك من الناس من يتعلم اللغات الأجنبية لمجرد التفرنج والمحاكاة وحب التظاهر والتحقق بصفات وعادات الأفرنج مثلاً.. لا لعلة سوى ذلك.. ولكن هذا لا يمنع من وجوب تعلم هذه اللغات وأمثالها للعلل والأغراض التي تقدم بيانها.. فذلك من أهم المهمات التي ينبغي أن يتنافس فيها أهل العلم. والله يهدينا جميعاً إلى الصراط المستقيم.

الحساب

ماذا أقول في هذا العلم وهو من الضروريات الأولية والوازم الأدبية والواجبات الدينية لتعلم الفرائض وعلم لا يستغنى عنه المتوحشون فضلاً عن غيرهم. علم ينبغي أن يتلقاه الإنسان مع

أول ما يتعلم . علم يقوى العقل ويورث النظر الصحيح . علم لم يتركه ساداتنا الأولون فكيف يجوز لنا مع هذا أن نتركه ونضرب صفحاً عن منافعه التي لا يستغنى عنها أبداً ، وكيف نرضى على أنفسنا هذا النقص الفاحش والخلل الواضح ولا نتعلم شيئاً ضرورياً يعلمه ويعلمه من أصغر منا وأحقر في نظرنا ؟

أليس من العار الكبير أن يوجد كثير من العلماء لو سئلوا عن نتيجة ضرب بعض الأعداد البسيطة لأجابوا سكوتاً . أليس من العار أن يوجد بين ظهرانينا وفي مدارسنا الدينية التي نحن أساتذتها ومعلموها قوم آخرون من أساتذة المدارس الأميرية يعلمون هذا العلم بمراتب كبيرة ثم لا تأخذنا الغيرة أن نتعلمه ثم نعلمه تداركاً للنقص الظاهر ! أفيتكبر بعض أكابرنا أن يتعلم من هؤلاء أياماً ويرضى أن يكون أنقص منهم دائماً ! . أينبغي أن يكون مظهر الإنسان وعلوه في نفسه أو عند الناس سبباً في تمنعه أن يتعلم ما يحقق هذا العلو ! لئن كانت الفضيلة عندنا بكبر العقل وسرعة الإدراك وملسكة الفهم ، فإن علم الحساب أفضل ما يعين على ذلك . فلماذا أرى أنه لا بد لمن لم يتعلم هذا العلم من العلماء والطلاب أن يتعلمه ولا يستنكف أن يتعلمه من هو أصغر منه ، فجزاء التقصير الخضوع للصغير ، على أنه أولى من دوام الجهل . والله الموفق والمعين ،

الهندسة

لا يظن القارىء من وضعي لهذا الاسم ضمن ما أرى أن يعلمه الطلاب والعلماء إنني أريد أن أجعلهم مهندسين وأن أجعل المدارس

الدينية تغني عن أو تضارع مدرسة المهندسخانة . كلا وليكني
أريد أن تعلم مبادئ هذا العلم واجب لتقوية العقل وتقوية
وتوسيع دائرته . فلقد كان الحكماء السابقون لا يقبلون من التلامذة
إلا النابغين في هذا العلم لنفس هذه الحكمة . وأيضا فإن طبيعة
الجهل بشيء مما يعلمه بعض الناس يؤدي إلى النقص في أعينهم ،
والعالم الديني من حيث هو عالم ، ينبغي أن يأنهل ليكون محترماً
في أعين سائر الطبقات ، وخصوصاً أهل المدارس المدنية ، وذلك
لا يكون إلا إذا كان لدى العلماء إلمام بشيء من سائر ما يتعلون به
فيها . كيف لا يكون من الأمور اللازمة تعلم مبادئ الهندسة وإنما
في كل يوم وقفة حيناً ترد في المكتب التي نقرأها في نحو المنطق
أمثلة هندسية فلا نكاد نفهم المراد . فلذلك أرى من الكمال
الواجب أن يتعلم العلماء والطلاب شيئاً من الهندسة .. بل شيئاً من
كل علم على قدر ما تسمح به الظروف . نعم لا أقول أن الهندسة
كالجساب ولا كالجغرافيا ولا كالتاريخ ، وليكني أقول إنها كمال ، وإن
منها قدر واجب المعرفة . والله الموفق لما فيه الخير والصواب .

الإنشاء

إذا كان المرء بأصغريه قلبه ولسانه فلا شك أن القلم أحد
اللسانين بل هو أفضلهما وأحقهما بالعناية والاعتبار ، لأن عمله
عام دائم . فعمل اللسان الأصلي من الأعراض السيالة ، ولا ينتفع
به إلا من يخالط صاحبه ويسمعه . أما عمل القلم فهو من الصفات
الثابتة ، ينتفع به من يخالط صاحبه ومن لا يخالطه ولو كان بينهما

بعد المشرقين ، بل وينتفع به من في عصره ومن يأتي بعده على عمر
الليالي والأيام . ولئن قامت الحاجة إلى الكتابة في كل عصر فهي
في هذا العصر أشد ، كما أنه وإن احتاج إليها جميع الناس فإن العالم
الديني أشدهم احتياجاً ، لأنها من أهم أسلحته التي يقضى بها أغراضه
ويقيم بها من دعائم الإصلاح ما شاء الله .

فضل الإنشاء معلوم من أول الدولة الإسلامية ، وسابقاً كان
لأصحاب الأقلام النصيب الأوفر من التقدم والرفعة بل كان هو
الميدان الذي يتسابق فيه الفضلاء من أهل العلم والأدب .

لا ينكر فضل الإنشاء وقيمه العالية أحد . . حتى الجهال
والبسطاء والأميون الذين يحبون دائماً أن يكتبوا لأهلهم
وأصدقائهم بعبارة إنشائية بليغة . وقد يدفعون في سبيل ذلك
أجوراً عظيمة . وفائدته في التأثير أشهر من أن تذكر . فقد تفعل
الجملة الواحدة من جمل الإنشاء ما تعجز عنه السيوف والحرب
والمدافع ، وقد أورث الإنشاء غنى وجاهاً وجلب سلاماً وأقام
حروباً ونجا من الموت . ولقد كانت له اليد الطولى في توبة العصاة
وإنابة الفاسقين . ومن العجب أن يجمله مع ذلك عساؤنا جهلاً
فاحشاً وصل بهم إلى حد أن تضرب بهم الأمثال في ذلك . وأن
تتخذ بعض مكاتباتهم سخرية واستهزاء لدى بعض الناس .

وحقاً إن أكثرهم لا يحسن كتابة الخطابات العيادية نصف
ما يحسنها تلامذة المدارس الابتدائية ، وهذا من العار الفاضح
والخزي العظيم

يا عجباً كيف لا يعرف الإنشاء قوم جعلت العلوم العربية

عندهم موضع التنافس والتسابق أكثر من العلوم الدينية المقصودة بالذات.. عليها وقفوا حياتهم وفيها أمضوا أعمارهم .. ثم يفوقهم في ثمرتها غيرهم من جمهور الناس !! وكيف يجهل الانشاء من يكاد لا يكون لهم وسيلة في القيام بالواجب عليهم أفضل من الانشاء !! تالله إن هذا قلب للأوضاع، نعوذ بالله العلي العظيم منه .

• وأعجب من ذلك أني سمعت كثيرا منهم يذم قراءه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده وتأليفه، بأنهما أشبه شيء بكلام المحامين وأصحاب الجرائد، كأنهم ظنوا أن الخروج عن الأسلوب المعروف بينهم يعد من الغلطات الكبرى والنقص المشين .. على أن أسلوب الجرائد الآن من أحسن الأساليب وأشدّها تأثيرا ومناسبة للغة الفصحى ... ولو أن علماءنا يعرفون أن يكتبوا كما يكتب أصحاب الجرائد لعدوا من الصف الأول في البراعة والبلاغة .

وهب جدلا أن هذا الأسلوب غير حسن في ذاته، أليس هو الأسلوب المشهور والمؤثر الآن ؟ فلماذا لا نتعلمه ولماذا لا نأق بأحسن منه إن أمكننا ؟ على أني لا تفاضل عندى في الكلام إلا بقدر ما فيه من التأثير . حتى أني أفضل العامية على العربية متى كانت مؤثرة أكثر منها . وعلى كل حال فإن تعلم الإنشاء واجب من الواجبات المهمة سواء كان نثرا أو نظما . ولا أحب الإكثار من النظم ، ولكن يجب أن يكون مقدورا للعالم وطالب العلم . والله الموفق لما فيه الخير والسداد .

العروض

علم العروض من أبسط العلوم على الحقيقة ، كما أنه من أشدها لزوماً للعالم ، لا لأجل أن يقول الشعر فقط بل ولأمر آخر أهم ، وهو تمكن من قراءة الشعر سليماً من الكسر . والشعر لا يخلو منه كتاب من كتب الدراسة تمثيلاً أو استشهاداً .

ولكن من الغريب أن أكثر العلماء لا يعرفه وطالما سمعنا منهم كسراً وتخليطاً في الآيات الشعرية .

ولبئس النقص أن يكون الشخص من كبراء العلماء ولا يدرى هل هي مثلاً ، لهم ، بالضم أو بالسكون . وكما مرة رد في هذا الموضوع الصغير على الكبير ، وهذا أعظم دواعي التحقير .

فمن هذا أرى وجوب تعلم هذا العلم على من لا يعلمه . ولا يجب التوسع فيه ومعرفة الدوائر وأمثالها ، بل أن هذا قد لا يحسن . ولهذا الموضوع بقية تجدها في مقدمة رسالتنا (المسلك الجديد) لعلمي العروض والقافية

علم متن اللغة

هذا العلم من أجل العلوم وأعظمها قدراً بل هو للعلوم العربية بأسرها بمنزلة الأساس أو العماد . وحاجة العلماء والطلاب إليه شديدة ، ليكون لهم مادة وافية ، بها يتكلمون ومنها يكتبون ، إحياء

اللغة العربية ونشر الألفاظها وتجديداً لمعاهدها، وليكنهم أن يفهموا كتاب الله وحديث رسوله وكلام أصحابه وما ورد عن العرب في الجاهلية والإسلام من كلامهم المنظوم والمنشور المحتاج إليه في العلوم .

وبإزاء اشتغالنا بعلوم اللغة من النحو والصرف والمعاني والبيان، كان المعقول أن نعطي أصل علوم اللغة شيئاً من الالتفات والعناية .

ولكن من الغريب أننا تركنا هذا العلم ووصلنا في تركه إلى حد لا نعلم معه الغريب من ألفاظ القرآن ، فضلاً عن الحديث ، فضلاً عن كلام المولدين أو عن كلام العرب الخالص .

ترى أحداً قد يكرر الآية في صلاته وهو جاهل ببعض مفرداتها، وإن سئل في معنى بعض الأحاديث احتاج أن يراجع .

أما كلام العرب وغيرهم من الشعراء المولدين (حتى الموجودين منهم في عصرنا هذا)، فلا يمكنه أن يقرأه إلا وبين يديه أسفار اللغة، يراجع فيها أكثر كلمات كل بيت . حتى أن قراءة عشرة أبيات من الشعر العربي أو غيره وفهم الفاظها ، قد يأخذ منه أكثر من ساعة في المراجعة .

لقد بلغنا في هذا التقصير إلى حد صرنا فيه نسمى ما لا نعلمه من الألفاظ (بالكلمات اللغوية) ، ولو وجد مع هذا عندنا حب المراجعة لكان فيه تسلية وتدارك للنقص ، بل لزال هذا النقص على التدريج ، ولكن من المحزن أن ذلك مفقود أيضاً . فنرى أحداً إذا سمع كلاماً لا يفهمه قال (هذا كلام لغوي) ثم أعرض عنه

ونأى بجانبه ولم تهمة معرفته ولا مراجعته .
 ماذا يكون حالنا من الخجل إذا جمعنا بأحد الأدباء جامعة
 ودار الكلام على شيء من هذا وظهر أننا جاهلون به بالمرّة ، في
 حين أنهم من أعظم المطلعين على اللغة ؟ ألا يستهزؤن بنا ويسخرون
 ويعتقدون أن العلماء الأزهريين ليسوا بشيء يذكر ؟
 نرى التلميذ الصغير في المدارس الأميرية وغيرها يحفظ من
 كلمات اللغة الأجنبية ما يزيد عن الألفين ، وتكاسل نحن في لغتنا
 هذا التكاسل الشنيع ... ألا تكون منزلتها منا منزلة اللغات الأجنبية
 في المدارس ... أو تفرضها لغة أخرى غير لغتنا ونعيرها شيئاً
 من العناية !!

أنا لا أريد أن نحيط بأطراف اللغة حتى لا نحتاج إلى المراجعة ،
 فإن ذلك قد يكون متعذراً . وإنما أريد أنه يجب أن نزاول هذا
 العلم حتى نعد من المطلعين فيه ، وحتى لا نحتاج إلى المراجعة في كل
 شيء ، وأن كان بسيطاً سهلاً .
 فعلى علمائنا وطلابنا العناية والالتفات تداركاً لهذا النقص .
 والله خير موفّق ومعين .

علوم حقائق الموجودات

الطبيعة والكيمياء وغيرها

يتدرج تحت هذا العنوان علوم شتى لا تكاد تحصى عدا ، من
 نحو الكيمياء والطبيعة والهيئة والطب و . . . إلى آخر
 ما قد لا يخطر اسمه لي (ولا لعلماؤنا) على بال ، وكلها من العلوم

المفيدة اللازمة في الدين، والمعاني الأدبية، والأمور المادية، وقد دعا الله إلى النظر في موضوعاتها غير مرة بل أكثر القرآن جاء حاثاً على النظر في الموجودات .

ولا شك أنه وأن كفي فيها النظر السطحي، ولكن التحقق من هذه الأشياء على الطرق العلمية مما يورث كمال اليقين. فأن تأمل الناظر في هذه العلوم والعلم ببعض تفاصيلها يؤدي إلى الاعتقاد الكامل الذي يعد النفس إلى الاقتراب من موجد العوالم كلها . و فرق كبير بين الأثر الذي يحصل في نفسك إذا سمعت أن فلانا شجاع كريم على سبيل الإجمال ، وبين الأثر الذي يحصل عندك إذا شاهدت جزئيات وقائعه في الحروب ونظرت ما يصدر عنه من الإحسان . نعم نعم . فرق بين الإجمال والتفصيل . . فرق بين الشهود والتقليد . الوجدان الذي يحصل من الاستكمال العلمي والنظر في الموجودات ومعرفة أنواعها ونظامها وترتيبها الخ ، يرفع الإنسان إلى حد يكاد يجعله سلطان العوالم كلها ، (ولا شك فالعلم نوع من الاستيلاء على المعلوم) ، ويريه كأنه يشرف عليها من كوة عالية فوقها ، ويخيل له معنى السعادة والغنى التامين والكمال المطلق ، ويقربه من شهود مبدأ الوجود . . . وشيء كهذا كيف يهمله العلماء . . . وكيف لا تعلم منه مبادئ على الأقل ؟ !

لئن كان امتياز الإنسان عن أنواع الحيوان وفضله عليها إنما هو بقوة النطق والفكر والعلم ، فلا شك أن النظر في الموجودات مما يقويها وينميها ويحقق معنى التفضيل بها . وإن نسبة المستكمل في هذا النظر إلى سواء كنسبة الإنسان إلى الكلب الذي يشاركه

في مطلق الإدراك، بل وأخص منه، وهو إدراك المنفعة والمضرة، فكيف مع هذا نجعل هذه العلوم؟ ونحن العلماء الذين لا صناعة لهم غير العلم والاستكمال فيه؟ ولنا من الوقت ما يمكن أن يحقق هذا الكمال فيه !

ولئن كان امتياز الإنسان بأتقان الفعل وحسن الآثار وتحصيل المصالح والابتعاد عن المضار، فلا جرم أن ذلك لا يكون إلا بالاستكمال في العلوم الكونية والنظر في خصائصها وأسرارها، فكيف لا ننظر فيها على قدر الطاقة؟

دع عنك هذا. أليس الجهل بها في هذا الزمان الذي انتشرت فيه المعارف وتقدمت فيه العلوم يعد من النقائص الموجبة للتحقير؟ والالمام بشيء منها يعد من أسباب التفاضل ويجعل الإنسان كبيراً محترماً في أعين الناس؟! وليس العلماء وطلاب العلم أولى الناس بتربية المهابة والتحقيق بأسباب الاحترام، ليكون هناك تأثير لنصائحهم وإرشادهم الديني؟

تالله إن معرفة شيء من هذه العلوم، لمن أعظم ما يكسب العلماء والطلاب النفوذ والتأثير الواجب، ويرفعهم في أعين الناس ويجعل أهل الطبقات العليا خاضعين لهم مطيعين لإرشادهم.

منافع هذه العلوم منافع جمّة لا يستغنى عنها الإنسان في هذا الزمان، وكل ما يتمتع به الناس (ومنهم العلماء والطلاب) هو من آثارها. وهي توجد في لباس العالم ومسكنه وأثاثه وكتابه الخ. وترك هذه العلوم هو الذي أوجب للأمة الإسلامية هذا الذل والصغار والتفرق، وهو الذي رفع الأوربيين عنا وجعلهم سادة وجعلنا

عبيداً وخداماً.. قالوا يجب على العلماء أن يجعلوا في مقدمة ما يرشدون الأمة إليه ويحثونها على التمسك به الاشتغال بالعلوم الكونية. ولا يتم لهم هذا على الوجه المفيد إلا إذا كانوا عالمين بها ولو على وجه الاجمال.

وبالجملة فإن فوائد هذه العلوم لا تكاد تحصى، ووجوب الاشتغال بها لا يختلف فيه العقلاء، فالواحب علينا أن نعرف مبادئها وشيئاً من مسائل كل علم، إذ الاستكمال فيها غير مقدور إلا لمن يريد أن يقصر اشتغاله على علم منها أو علمين.. وذلك ينبغي أن تقوم به فرق من الأمة غير العلماء الدينيين.

المعلومات المتنوعة

يحتاج كل إنسان يريد أن يعد من رجال هذا المجتمع الإنساني اليوم ومن أهل الطبقات المهمة فيه إلى معرفة كثير من المعلومات المختلفة التي لا تدخل تحت حصر، مما يتعلق باصطلاحات الناس ورسومهم وعوائدهم، ومما يتعلق بالمسكتشفات والمخترعات وطرق المواصلات ونظام الحكومات واصطلاحات البريد ونظام البيوت وحاجياتها وأنواع الملابس الخ الخ. ولا شك أن العلماء وطلاب العلم الأزهريين أحوج الناس إلى معرفة ذلك، للانتفاع به في أنفسهم، والاستعانة به في تأدية واجب الإرشاد، وليكونوا محترمين كاملين في أعين سائر الطبقات. ولكنهم على ما علم مما تقدم يجهلون أكثر الأشياء الضرورية التي من هذا القبيل. وهذا عيب كبير ونقص ظاهر،

ومن الواجب الالتفات إلى مثل هذه الأشياء التي يسهل تحصيلها
وتكبر نتيجتها ويضرّ إمامها. والله الموفق إلى ما فيه الخير والنجاح.

اقترح مفيد

الساعة وأنا أفكر فيما عساني أن أكون تركته من العلوم
اللازمة وفي المقادير اللازمة منها وفي معرفة الكتب التي تفيد
ذلك بسهولة. عنّي أن اقترح على رؤسائنا السعي في إيجاد
كتاب مختصر جامع لسائر أنواع العلوم قديماً وحديثاً، شرقياً
وغربياً، عربياً ورومياً وإفريقيماً، بحيث تذكر فيه مبادئ كل
علم ومنافعه ومزاياه، والكتب المؤلفة فيه، ومشاهير أئمة،
وكلماته الاصطلاحية وتفسيرها الخ الخ.. ثم تذكر جملة لاثقة
من مسائله بعبارة سهلة، بحيث تفيد الإلمام البسيط بهذا العلم، ويمكن
أن يفهمها المتوسطون، من غير احتياج إلى معلم،

والسعي كذلك في إيجاد كتاب آخر يجمع سائر المعلومات المتنوعة
اللازمة في الوقت الحاضر، بحيث يغني الطالب عن البحث والتفتيش.
ثم عنّي أن اقترح ثانياً على سادتنا الأفاضل ممن يعرفون
شيئاً من العلوم اللازمة المجهولة الآن في المدارس الدينية، أن يتبرعوا
ويجودوا على العلماء وطلاب العلم بالأزهر، بإعطاء درس منها في
المدارس الدينية، قياماً بالواجب الديني والأخوي والوطني والآدبي،
وحباً في تقدم رجال دينه وأهل ملته، وزكاة لمعارفه التي وهبها الله له..
فيدرّس الطبيب في أصول الطب ومسائله وقوانين الصحة وبيان

المفردات التي تحويها ، الأجزخانات ، اليوم باسمائها ومنافعها ، وكذلك المركبات المحضرة وغيرها الخ الخ .

اقترح آخر

ليس يخفى أن هناك مسائل كثيرة خرافية لا تكاد تخلو منها كتب كثيرة ، وذلك كما ورد في كتاب بدائع الزهور وغيره عن منبع النيل وأنه من قبة يتفجر منها أنهار أربعة .. وأن رجلا وصل هناك وركب الفلك .. وكما يظن بعض الناس من أن الأرض محمولة على الثور .. وكما يعتقد أن الخياطة يوم الجمعة تورث كذا .. إلى غير ذلك مما لا يحصى .

وهناك أشياء كثيرة يظن الناس أنها من الدين وليست منه ، وأشياء يظن الناس أنها ليست منه وهي عريقة فيه .

وأن هناك مسائل كانت تقرر على وجهه وقد بين الاكتشاف وبرهنت العلوم العصرية على ضدها .

وأن هناك أحاديث موضوعة كثيرة مذكورة ،

وأن هناك عقائد كثيرة فاسدة .

وأن علماءنا اليوم يختلفون في بعض المسائل .

ولا يخفى أن ترك هذه الأشياء كما هي فساد كبير ، يؤدي إلى تغيير معالم الدين وإلى عدم ثقة الناس بالعلماء وإلى فهم الأجانب ن الدين الإسلامي يضاد الحقائق . فلماذا اقترح أيضاً عقد مجتمع كبير ينظر في أمثال هذه المواضيع ويقرر الحق فيها وينشره بين الناس بعبارة عربية بسيطة ، ليطلع عليها الخاص والعام ، ويكون

هناك فائدة حقيقية من وجود العلماء ، ويتحقق أنهم حماة العقائد
وحراس الدين .

كتب الفنون - المؤلفات القديمة

لا يعلم إلا الله مقدار الكتب التي ألفها قديماً في الفنون المختلفة
والمواضيع الكثيرة فحول العلماء وكبار الحكماء ، البالغة حد النهاية
في الكمال ونهاية التحقيق ، والإسفار عن مكنونات الحقائق .
كما لا يعلم إلا الله مقدار تعبه في الوصول إليها وتحضيرها بعبارات
جيدة . أى نعم لا يعلم إلا الله مقدار تلك الكتب التي تركوها لنا
ميراثاً ثمينا لا تقدر قيمته وقد لا يجود الدهر بمثله . ميراث حصلوه
لنا بإتاعاب العقل والجسم وبذل النفس والمال . ميراث كانت
تحسدنا عليه أكثر الأمم . ولكن مما يوجب الأسف أننا كنا ورثة
سفهاء مبذرين غير بالغين الرشد . فلم نلبث أن ضيعناه ولم ندر
أننا ضيعناه معه أنفسنا . وأعدمناه فعدمت معه سعادتنا المنتظرة
وذهب بذهابه مستقبلا السعيد .

يا حسرتاه على ما فرطنا ! يا حسرتاه على الكنز الثمين ! يا حسرتاه
على الأثر النفيس ! يا حسرتاه على أعمال الرجال وثمرات أتعابهم
التي ذهبت سدى ! يا حسرة ويا ألف ألف حسرة ! أكل السوس
تلك الكتب العالية الغالية الثمينة وأعدمتها يد الجهل والاهمال !
كتب الشقاء وسوء الحظ على طلاب العلوم الإسلامية في
العصر الأخير ، حيث لم يصل إلى أيديهم ما تركه لهم أجدادهم ، بسبب

وقوعه في يد من لم يعرف قيمته . كم من كتاب نفيس أكله
السوس . كم من كتاب مزق ! كم من كتاب حرق ! وعلى هذا
النمط ضاعت تلك الكتب وذهبت ولم يبق منها إلا بقية باقية
متفرقة في الزوايا كادت تذهب أيضاً لإهمالها ، لولا أن بعث الله
من ينشر بعضها بما لم يكن الناس يعرفون إسمه من قبل . فما هذا
القصور والتقصير بل ما هذا السفه والتبذير ! !

أليس من العجيب أن تهمل الكتب النفيسة حتى تضيع وتعدم ،
ولا يتمسك إلا بالكتب التي تعد من حثالة الكتب لما فيها من
القصور والخطأ وقلة الإفادة وعدم التحقيق ؟! مالنا لا نرى اليوم
متداولاً من كتب أسلافنا إلا النادر النافه الذي لا يعد شيئاً
بجانب ما أهمل !

تالله لولا أن الله أتاح للأمة قوماً قليلين ممن يحبون إظهار
الكتب النافعة ، وآخرين ممن يحبون طبع الكتب للتجارة ، لما
تمتعنا بشيء من الكتب النفيسة القديمة التي ظهرت في العهد الحديث !
فعلم الأصول مثلاً لم يكن مطبوعاً فيه ومشهوراً سوى جمع
الجوامع بحاشية البناني ، وحاشية ابن قاسم ، وهما من التشويش
والخلط والقصور بالمنزلة التي يعلمها الناس . وكان الطلاب والعلماء
يبحثون عن حاشية العطار (وهي ليست بذاك الشيء بالنسبة إلى
فقه العلم) فلا يجدونها ، وربما عثر بعضهم عليها أو على شيء منها
فغبطه الآخرون ، فلما طبعت عدوا ذلك من حسن حظهم وعنوان
سعادة جديدة ونشأة أخرى عالية في علم الأصول . ولم تطل
الأيام حتى أظهر الله في هذا العلم ما هو أعلى وأبدع من حاشية

العطار، وهو مختصر ابن الحاجب، والتحرير للكمال ابن الهمام،
والمنهاج للبيضاوى، فكان ذلك عنوان النشأة الجديدة والسعادة
التامة لطلاب علم الأصول... وقد يكون هناك (وهو الواقع) ما هو
أعلى وأرق، ولكننا لا نعرفه، كما أن هناك في كل علم كتب
نفيسة جداً لا نعلمها... بل هناك من الكتب ما ألف في علوم لم تزل
تلك العلوم مجهولة عندنا بالمرّة أما مسمى فقط وأما إسماء ومسمى.
فما هذا الحال المميت ! وما هذا الجود الشديد... أنقتصر على
كتب لا ترينا من حقائق العلوم إلا أموراً بسيطة ؟! وكتبها
النفيسة بجوارنا لا نمد لها الأيدي حتى يأكلها السوس !

أيجوز أن يتلقف الأفرنج كتبنا ليترجموها أو يطبعوها
(بالعربية) ونحن عاكفون على حواشى السجاعى والبنانى مثلاً !
أيجوز أن يطبع كتاب سيبويه فى أوربا باللغة العربية، وينشر،
ونحن لا نعلمه ولا نعلم طبعه، حتى يأتينا رجل من الخارج يجب
الكسب فيشره وينشر غيره من الكتب النفيسة الضرورية !
وكم من كتاب طبع فى غير هذه البلاد ونحن فى أشد الحاجة إلى
مثله ولا نعلم إسمه ولا رسمه ولا ندرى أنه طبع ؟! مع سهولة
المواصلات بيننا وبين سائر أطراف الدنيا !

ظهر بيننا قريباً بعض علماء ممن بحثوا عن بعض الكتب
القديمة النفيسة وطالعوها، فكنا نعد الواحد منهم رب العلم ونظن
أن هذا محض الفيض الذى خصهم الله به. وكنا نبتهت حين نسمع
منهم معلومات وتحقيقات ومباحث لم نكن نعرفها من قبل. ولكن
هذا على الحقيقة أمر سهل جداً. فلو طالعنا من الكتب مثل

ما طالعوا ، لكننا أحسن منهم أو مثلهم ، ولزال هذا التعجب
وذلك الاستغراب .

دور الكتب « الكتيبانات »

بلغ هذا القصور معنا أننا لا نعرف أبواب « الكتيبانات »
ولا نقصدها ، بل ولا يخطر ببالنا أن نقصدها يوماً من الأيام ،
للاستفادة بما فيها من غرائب الكتب ونفائس العلم ولو كانت
بجوارنا بل معنا ونمر عليها كل ساعة (ككتيباتي الأزهر والجامع
الأحمدي) ، اللتين لا حظ للعلماء والطلاب منهما إلا إستعارة
الكتب المشهورة لغرض التعلم والتعليم . . أليس من العجيب
أن نرى الأجانب يصرفون أغلب أوقاتهم في الكتيبانات بحثاً
وتنقيباً ، ثم نرى آثار ذلك في مؤلفاتهم ومعارفهم وجميع أحوالهم ،
ولا يكون لنا شيء من هذا الحال ، مع أننا أولى به منهم على
ما نعتقد ؟!

أليس من الغريب أن يسافروا من ماسكة إلى أخرى ويسبحون
في الأرض ، ومن أجل ما يقصدون إليه ، الوقوف على ما في
الكتيبانات من نفائس الكتب ، في حين أننا لا نرضى أن
نكلف أنفسنا خطوات إلى الكتيبانة الخديوية مثلاً !

يقولون إن بالكتيبانات الأجنبية كثير من غرائب الكتب
العربية ، أفأقول كان ينبغي أن نسافر لاستطلاعها علنا نجد فيها
ما ليس عندنا ؟!

تكوين الكتيبانات وفتح أبوابها للقاصدين نعمة كبرى

وباب سعادة هائلة لمن يدخل منه ، وبمقدار إحساس هذا المعنى والإقبال عليه تكون الحياة في الأمم والأحزاب والفرق، ولكن من المحزن الغريب أن ليس لنا من هذا نصيب !!

كان ينبغي أن يسأم منا موظفوا المكتبخانات لكثرة ترددنا وكثرة ما نطلبه من الكتب.. وكان ينبغي أن لا تخلو المكتبخانات منا .. وكان ينبغي أن ننتظر الفرص بكل تشوق ونتمهزها لزيارة المكتبخانات .. وما هي إلا الجنات لو كانوا يعلمون .

فلهذا ، ولما تقدم ، أرى أولاً : أنه لا بد أن توجد الداعية في نفوس العلماء والطلبة للبحث والتفتيش عن نفائس الكتب والسؤال عنها وجعل ذلك من موضع العناية .

ثانياً : أنه لا بد من انتهاز الفرص لزيارة المكتبخانات والاطلاع على ما فيها من الكتب الغالية المفيدة .

ثالثاً : أنه لا بد من إعداد مكان واسع للبطالة في كتبنا الأزهر والجامع الأحمدى .

رابعا : تأليف لجنة تبحث عن الكتب النفيسة المطبوعة هنا أو في الخارج وبيان فوائدها ومزاياها : أثمانها والأماكن التي تطلب منها في مصر أو الخارج .

خامسا : الاتفاق مع أصحاب الكتب المرتفعة الثمن على تخفيضها بالمسبة للعلماء وطلاب العلم ، حتى لا يحرم منها الفقير .

سادساً : تأليف لجنة تبحث عما عساه يكون موجوداً من الكتب التي تكون أليق وأنفع في التدريس من الكتب الحاضرة لكي يقرر مجلس الإدارة الأعلى تدريسها . والله ولي التوفيق .

المؤلفات الحديثة

كان من نتائج الجود عندنا والتمسك بالعادات والأحوال الموروثة أن صرنا لانحسب إلا الكتب القديمة ولا نميل إلى الكتب الجديدة التي ألفت في هذا العصر . بل ونعتقد أن ليس في الإمكان أبدع مما كان وأن من ضروب المحال أن يأتي اللاحق بشيء يساوي به السابق فضلا عن أن يفوقه . وهذا كما ترى من أشد دواعي الانحطاط والتأخر ، ومن الأمور المثبطة للهمم والقاضية على ثمرات أفكار الفضلاء أهل العقول الراجحة الذين لا يخلو منهم زمان .

لو نظر المتأمل إلى تاريخ علومنا والتأليف فيها — كيف كانا؟ — لرأى أن تلك العلوم نشأت صغيرة ناقصة ، وأن الكتب التي ألفت فيها أولا لم تكن وافية بالغرض ، ثم لم يزل يكتب ويؤلف علماء كل عصر تحقيقا وتحريرا وتكميلا واستدراكا وتسهيلا ، حتى وصلت العلوم إلى درجة حسنة لا تفتقر .. وأن أسلافنا كانوا إذا رأوا كتبنا ظهرت أنفع من المتداول ، تركوا هذا المتداول وتمسكوا بالنافع . فلماذا امتدت هذه الحركات — حركات التقدم والترقي — ثم لما وصلتنا وقفت ؟! .. ألبودنا وانحططنا وتأخرنا كان هذا السكون !

أم لأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان .. على ما يقولون !!
تالله إن من القصور في النظر اعتقاد أنه ليس في الإمكان ترقية علومنا وإيصالها إلى درجة أعلى مما وصلتها إليها يد السلف .. وأن ليس في الإمكان أن توجد كتب أخرى .. وآراء جديدة .. بل

وعلوم ثانية . لم تكن معهودة لمن قبلنا . . وتفيد أعظم إفادة في
ترقى المعارف وتقدم الإنسان !!

لو كنا نستعمل الجيد من كتب أسلافنا ، لكان لحجتنا في عدم
قبول غيره شيء من القبول . . ولكن كيف ونحن ما تمسكنا إلا
بالردي . قليل الجدوى !!

أنا لا أدري كيف يسوغ لأقوام تركوا نقائس الكتب القديمة
وراء ظهورهم ورفضوا مبدأ المحافظة على القديم وتمسكوا بالحديث
من نحو حواشي السجاعي وإبن النجاء والبناني ، وهي على ما نعلم
من الرداءة ، ثم يعكسوا هذه القضية الآن ويتمسكوا بهذا الحديث
الذي صار (قديماً) ويتركوا ما يحدث بعده بما لا نسبة بينه وبينه
في المنفعة والإفادة . . وذلك في حين أننا نرى بأعيننا فائدة الاعتناء
بالشيء الحديث ، وتمتع بآثاره الباهرة ، من مخترعات ومكتشفات
وآراء وأفكار الأوربيين ، الذين بلغوا أعلى مبلغ ، بسبب عدم
إهمال ما ينشر بينهم من الكتب والآراء والأفكار الحديثة .

أنا لا أنكر إن من الشيء الحديث ما يجب إهماله ، وما هو مضر
ضرراً ينعماً . . ولكني أريد أن لا نسوق الباب على وتيرة واحدة ،
وأن لا نسرع في الحكم قبل النظر والبحث ، وأن لا تكون المعاصرة
سبباً في الحرمان ، ففيض الله عام ، لا يختص بزمان ولا مكان ، ولا طائفة
دون أخرى من أفراد الإنسان . . والحكمة تؤخذ من الكبير
والصغير . . والأمير والحقير . . وكم ترك الأوائل للأواخر . . ورب
مبلغ أوعى من سامع . . وذلك فضل الله يعطيه من يشاء .

ولقد كان احتقار كل جديد سبباً في إهانة النبيين والمرسلين

وحرمان الكثيرين من الاستضاءة بأنوار الأديان المتعاقبة .
وكان ينبغي أن يكون لنا من هذا عبرة . ولقد وفينا هذا الموضوع
شيئاً من حقه في كتابنا (التفاضل بالفضيلة) فراجعه أن شئت .
وعلى الجملة فإني أرى ، أولاً : أنه لا بد من الاعتناء بالمؤلفات
الحديثة والاستفادة منها ، وثانياً : أنه لا بد من تشجيع كل مؤلف
يمتاز تأليفه بـمميز مفيد ، بالمكافأة المادية والأدبية من الإدارة
العلمية العالية ، وثالثاً : تأليف كتب جديدة للتدريس أو المطالعة ،
في العلوم المتداولة أو غيرها — متى تبين أن هناك حاجة إلى ذلك .
والله هو الموفق والمعين .

الباب الرابع

في طرق التعليم ونظامه

طرق التعليم الديني تنقسم قسمة أولية إلى ثلاثة أقسام : طرق التعليم العالي في نحو الأزهر والجامع الاحمدى ، وطرق تعليم الجمهور ، وطرق التعليم الابتدائي في المسكاتب (المدارس الأولية) . وقد ينقسم كل واحد من هذه الأقسام إلى أقسام شتى — فان طرق تعليم الاعميين مثلاً لا تكون أبداً كطرق تعليم تلامذة المدارس . ونريد الآن أن نتكلم على طرق التعليم العالي . أما القسمان الآخران من طرق التعليم ، فسيأتيان في فصول تعليم الجمهور والتعليم الابتدائي

بيان تمهيدى

ماهى علومنا اليوم ؟

علومنا اليوم ، وإن كثرت في أول النظر ، فهى على التحقيق ليست إلا علمين ، علم اللغة وعلم الدين . فأما علم اللغة ، فما لا شك فيه أننا أقرب الناس إلى اللغة العربية ، بل نحن أهلها — فكيف تستغرق معرفتها منا أكثر الأوقات . بل كيف نمضى فيها السنين الطوال .. ثم بعد كل ذلك لا نعرفها !!!

هذا الحال الأخير هو بلا مرية حال طلاب العلم الأزهريين بل والعلماء اليوم — يشتغلون بعلوم اللغة العربية أكثر اعمارهم ..

ثم إذا قرأوا الحنوا .. وإن تكلموا أخطأوا .. وإن كتبوا لم يعرفوا
كيف يكتبون - في حين أن طلاب المدارس الأخرى يتعلمون
اللغات الأجنبية، وهي المجهولة عندهم من قبل جهلاً تاماً ، فيتمكنونها
بآدابها وسائر متعلقاتها .. في سنين قليلة لا تعد شيئاً في جانب مدة
اشتغالنا العقيم !!

أما علم الدين ، فهما تفرع ، فإنه يرجع إلى معرفة العقيدة وبيان
المنهى والمطلوب والمباح . وهذا أيضاً ، إذا نظر إلى الحقيقة
وأصل وضع الدين ، أمر سهل ، لا يحتاج إلى هذه الصعوبات وأمثال
تلك المجاهدات والمشقات ... بل من الممكن أن يبلغ الإنسان نهايته
في تلك المدة المقررة الآن .

إذاً ، فكيف هم اليوم يمضون فيه هذه المدد الطويلة ، ثم لا
يتحصلون منه على درجة الكمال ؟! .. لو كنا في زمن تفرق العلم
وتشتته في صدور الرجال المنتشرين في مختلف الممالك ، كما كان الحال
في العصر الأول ، لكان لنا بعض العذر .. ولكن كيف وقد
تعب فيه الأولون حتى جمعوه كله في أسفار سهلة ، وجاهدوا كثيراً
في تحريره وتنقيحه ، وتفطنوا في أساليب تسهيله وتقريبه حتى صار
الآن سهل التناول قريب المأخذ ؟!

كذلك لو كنا نجتهد في إعمال الفكرة وسهر الليالي
في إدراك مناهل الأحكام واستنباطها ، ومعرفة مقاصد الشريعة وتحرير
القياس . لكان لنا في طول الزمان وعدم بلوغ الغاية بعض
العذر .. ولكن كيف ونحن مقلدون فقط ، وممنوعون من الاجتهاد ،
ومحجور علينا أن نعمل عملاً ما أو نتصرف أي تصرف ، وليس
مصرحاً لنا إلا معرفة ما قاله المجتهد القديم .. فنقله ونلقاه بالقبول !!
بل لو فرض أن كانت الغاية عندها الآن استحضار جميع الأحكام

الشرعية ومعرفة ما قاله هؤلاء المجتهدون القدامى — حتى كلما
سئل العالم أجاب وكلما استفتى أفتى — لكان لنا شيء من المعضلة
بالنسبة لطول المدة .. ولكن كيف والغاية عندنا الآن لا تخرج
عن الإلمام ببعض المسائل ..! ومعرفة اصطلاح التأليف ..!
لكي يمكن الإنسان أن يراجع ما يطلبه ..! فما هذا الحال الذي
لا يرضاه عاقل لنفسه ؟!

نضيق أكثر أعمارنا في معرفة لغتنا !! ثم لا نتقنها !! وفي معرفة
ديننا !! ولا نبلغ الغاية فيه !! .. ثم مع هذا الاقتصار على هذا القدر
المحدود من العلم ، مع طول الزمان وتتابع السنين التي تصرف فيه ،
نرى أننا أرقى الناس وأعلمهم !! .. وأن ما نحن عليه هو الحق
وغيره بدعة !! .. وكل بدعة ضلالة !! .. تالله إن هذا هو الجهل
المركب .. لو كانوا يعلمون !!

أنا لا أدري على عاتق من ألقى مسؤولية هذا النقص ؟ وإلى من
أنسب سبب هذا التأخير ؟ .. إلى الأولين .. الذين شعبوا العلوم
وأكثروا التفريع واسترسلوا مع الخيال وذهبوا معه شوطاً
بعيدا وأكثروا من التفصيلات والتدقيقات التي لا يكاد الإنسان
يحيط بأطرافها ؟! — وذلك منهم اتباعا لشهوة النفس العلمية وميلها
وسرورها بتجلى المعلومات على اختلافها وإدراك الدقائق ، وإن لم
تكن ذات فائدة — حتى صعبت العلوم على طالبها ، وصار طائب
المقصود من بين مباحثهم اللفظية والخيالية كطالب ذرات التبر
من أكوام التراب !!

أم إلى المتأخرين من العلماء ؟! .. الذين لم يرقوا العلم ولم يسيروا

به خطوة واحدة — وقد سار به من جاء قبلهم خطوات — ولم يقربوه
من أذهان العالم ولم يحسنوا تعليمه !

أم إلى المشتغلين بتحصيل العلم ؟ .. حيث لم يجهدوا أنفسهم في
طرقه الموروثة ، حتى لو صعبت عليهم ، لكي يتحصلوا منها على
خلاصة نافعة في زمن يسير ! .

وعلى الجملة فإن هنا نقصا ظاهرا متعددا . وهو وإن تعددت
أسبابه ، فإن من أهمها فساد طرق التعليم ، وعدم الالتفات إلى
إصلاحه . وهذا ما نريد أن نبحت عنه ههنا . والله هو الهادي إلى
سبيل الرشاد .

إهمال العلماء في أمر التعليم

نما يوجب الأسف أن أمر التعليم اليوم أصبح عند العلماء
من الأمور العادية التي لا توجد في النفس داعية لتكميلها ، بل لا بألغ
أن قلت أنه أصبح عند الكثير من الرسوم والتقاليد التي يجب أن
تؤدى كيفما كان . وهم لذلك لا يبالون . . . فهم الطلاب أو لم
يفهموا . . . تعلموا أو لم يتعلموا . . . وجدت نتيجة لتعليمهم أو لم
توجد . . . وإنما يهمهم أن يقال مثلا : قرأ فلان كتاب كذا وختمه .
فشلهم في هذا ، مثل العامل الذي يشتغل باليومية . . فهو لا يهتم إلتقان
العمل . بل كل ما يهمه أن يقال : اشتغل .

وبديهي أنه إن لم توجد في نفس الاستاذ الداعية القلبية للتعليم
ونجاح الطلاب فإن النجاح يكون بعيدا .

ولا أرى طريقة لإيجاد هذه الداعية أحسن من تخصيص الطلاب بالعلماء .. وتمييز تلامذة هذا عن تلامذة ذاك .. وإناطة الامتيازات الأدبية والمادية بنتائج التعليم .. ليكون هناك تنافس بين العلماء في ترقية شؤون الطلاب وعلومهم وآدابهم .. مع ملاحظة أن لا يكون عدد الطلاب المخصصة كثيرا ، فإن ذلك من معوقات التعليم .

إهمال المشيخة في التعليم

المشيخة أو رئاسة المدارس الدينية لا عمل لها الآن ولا نظر في أمر التعليم ، إلا من جهة أنها تدعو العلماء إلى إلقاء الدروس . والطلاب إلى تلقيها .. على صفحات الجرائد عند ابتداء مدة الدراسة ... وربما عملت ما يسمونه (بالحصر) . أما أن الطلاب بعد حضورهم يتلقون الدروس أو لا يتلقونها ؟ .. وإذا تلقوها ، فهل يفهمونها ؟ .. أو أن العالم يقرأ كتاب كذا أو كتاب كذا ؟ .. أو أن طرق التعليم حسنة أو غير حسنة ؟ .. إلى غير ذلك .. فلا عمل للمشيخة فيه أصلا . . . بل هو ومثله موكول إلى حرية العلماء والطلاب . وضرر هذا الحال وكونه تقصيرا شديدا أمر ظاهر . إذ أمر التعليم هو المقصود الأصلي وما عداه فمن التوابع . ولا يجوز أبدا أن تغض المشيخة النظر عن الأمر الجوهرى المقصود .. إلى هذا الحد .. مشغلة بفروعه .. من أمر الجرايات والمرتبات ومكاتبات المصالح ونحو ذلك .

فإلى هذا أستلقت أنظار المشيخة ، راجيا أن تعير أمر التعليم

التفاته يكون بها نجاح الطلاب مضموناً . والله هو الموفق والمعين .

الطريقة العمومية للتعليم

إن الطريقة المتبعة اليوم في التعليم ، طريقه ناقصه ، مضيعة للزمن مفوتة للغرض . لأن أكثر المعول عليه الآن إنما هو إيجاد ملذمة إدراك الدقائق في اللفظ أو المعنى .

أما أدراك دقائق اللفظ فهو الأكثر استعمالاً : مثل لم عبر بكذا — كلامه يشمل صورة كذا — الصواب حذف كلمة كذا — الصواب التفريع — الصواب إبدال الواو بالفاء — العكس — هذا مكرر مع ما قبله .. إلى غير ذلك . وكذلك أدراك دقائق المعنى الواحد على صور مختلفة . وحله وتركيبه بأشكال متنوعة ، والفرق بين المفهومات المتقاربة . وإدراك الإشكالات الواردة ، ونحو ذلك من ضروب أدراك المعنى ، هو الآخر كثير الاستعمال .

وبدهى أن كلا الأمرين من السكاليات في التعلم . فالمعول عليه أصالة إنما هو الفقه في مسائل العلوم ، وحصول فائدتها وثمرتها والغاية المقصودة منها . وبعد ذلك فلا بأس من النظر إلى تحقيق الصور العلية المشتبهة ، وما يتبع ذلك .. ثم بعد هذا كله فلا بأس من النظر إلى أن المؤلف أصاب أو أخطأ في اللفظ .

أما ترك فقه العلم ونبذه وعدم الالتفات إلى حصول الثمرة المطلوبة منه ، ثم إكثار البحث في نقد الكلام ، وجعل النهاية هي تحقيق بعض المفهومات والمعاني ، فهو السفه الذي ليس بعده سفه ما للبستديء في العلم وأن فلانا أصاب في اللفظ أو أخطأ فيه ؟ وما له ولهذا التطويل الممل في تقرير أن الصواب إبدال الواو

بأو ، مثلاً ! .. مع أنه لم يذق بعد طعم العلم ؛ ولم يعرف بعد المقصود منه !

لعمري أن تلك الطريقة ، طريقة الاعتناء والتدقيق في الالفاظ ، هي طريقة التأخر .. وهي عقبة الارتقاء .. وهي السد الحاجز بين طلاب العلوم وبين الوصول إلى حقائقها .

وإن كانت هذه الطريقة لذيدة عند بعضهم ، نظر الظاهر ما فيها من اكتشاف مجهول ومعرفة حقيقة .. فإن ذلك من أمان النفس ومشتياتها .. ومن يتخدد بتلك اللذة كمن يتخدد بلذة الأكل المفرط الذي يجلب أنواع الأمراض

ها هي طرق كبار الأعاجم ، وهم سادات العلوم بالاتفاق ، قد لانجد فيها شيئاً من أمثال هذه السفاسف . وإنما الاعتناء فيها بالتوسع في أصل الموضوع ، وأشباع القول في المعاني وما ينشأ عنها . وذلك كله على وجه يناسب الطباع السليمة ، وينمي العقول ، ويوسع دائرة الفكر ، ويورث بعد النظر . وبطريقة تدعو إلى إدراك الحقائق العالية دون صعوبة أو مشقة .

وهذا مع الأسف بخلاف حالنا اليوم . فانه شيء منحط . من شأنه أن يحط الفكر ويقعده ، بل ويفسده ، ويجعله غير قابل أو قادر على فهم المعاني السامية أو ابتكارها . وكيف لا ، ونحن اليوم يعتبر منتهى السكالم لدينا إدراك بعض أشياء من فلسفة الأعاجم الخيالية في بعض المعاني ، ثم نكاد لا نصدق أن من الممكن الوصول إلى ما يقرب مما وصلوا اليه ! مع أنه في الواقع من السهل أن نكون أرقى منهم ! .. فإن لطرائقهم عيو با ١١١ .. ربما يئناها في فرصة أخرى .

لهذا فاني أرى أنه لا بد من جعل المعول عليه أولا وقبل كل شيء ، بيان فقه العلوم . . مع تمكينه في النفوس حتى تتأثر عنه . كما أرى أن يكون أساس التفاضل بين العلماء انما هو التوسع في المعاني ، وأشباع القول فيها على وجه يناسب أحوال الطلاب ومداركهم . أما المباحث اللفظية ، فما لم تتعلق بجوهر المعنى المقصود ، فلا ينبغي أن يكون النظر فيها إلا عرضيا .

كثرة الاحتمال والتأويل

ومن أجب ما تستلفت اليه الانظار ما يقع فيه علماءنا اليوم من كثرة التأويل ، وقولهم : يحتمل الكلام كذا . . ويحتمل كذا . . فان ضرر ذلك على العقول شديد . . وبين تلك الاحتمالات والتأويلات تضيق الحقائق .

ولو نظر في كل شيء الاحتمالات العقلية ، لتعطلت المصالح وفسدت الشرائع وبطلت العلوم وارتفعت الحقائق ولم يفهم أحد مراد الآخر . بل المعول عليه هو ما يعطيه سياق الكلام والقرائن ، وما هو معتبر في عرف المتخاطب .

وأمر التعبير أصلا أمر سهل والمقصود منه إنما هو الدلالة على المعاني . ولا تتم هذه الدلالة إلا إذا لوحظ العرف وما يفهمه الناس من المقال ، بقطع النظر عن الاحتمال العقلي .

ومن هنا تجد أساليب الكلام ومناهج التأليف مختلفة باختلاف العصور والأزمان . وقد يكون الكلام حسنا في عصر غير حسن في آخر . وها هو زمننا الحاضر قد نهج الكاتبون فيه أسلوبا غير الذي كان معلوما في القرن الذي قبله — وصار الأول

أخط من الثاني — ولكنه وإن كان أخط منه الآن، فإنه لم يكن أخط منه إبان رواجه وتعارفه، بل ربما كان الأمر بالعكس .
ولأجل ذلك فإن الواجب أن يفهم قول كل مؤلف على وفق ما كان في عرفه . وبالجملة فإن أمر التعبير لا يستحق هذا التشديد كله . ويجب أن يكون التعويل على ما يعطيه السياق وفحوى الكلام .
ألا ترى أن الشخص المطالع إذا هو استرسل مع المعنى وسياق الكلام . فإنه غالباً ما يفهم جيداً مراد المتكلم أو الكاتب ، في حين أنه لو عول على العبارة وحدها ، فأنها غالباً قد لا تفيد ، بل ربما أفادت ضده .. كما يحصل في كثير من الأحوال ،
ولا يظن الناس أن الخطأ في بعض العبارات أو قصورها النوعي هو لقصور أصحابها . كلا .. ولكن الكاتب إذا كتب في موضوع واسع ، كان المعول عليه عنده هو المعنى ولم يبال باللفظ ، وهذا هو حال في هذا الكتاب . فالكتاب لو اهتموا بتحرير العبارة لأمكنهم أداء ذلك بسهولة ، ولكنهم حينئذ قد لا يأتون بعشر ما أتوا به من المعاني ، وقد تضيع ثمرات أفكارهم الكثيرة النفيسة من أجل الاهتمام بتحرير العبارة .
إن المؤلف الذي يكتب في اليوم أكثر من عشر ورقات في دقائق العلوم ، مع وجود الشواغل الأخرى .. لجدير أن لا يلتفت إلى اللفظ . ولهذا ترى المؤلفين كثيراً ما يكتبون ويظنون أن العبارة مفهومة لما يريدون تماماً .. مع أن هذا يكون بالنسبة لهم فقط .. لا بالنسبة إلى غيرهم .
والخلاصة أن كثرة التدقيق في اللفظ مفوتة للغرض . كما أن كثرة الإحتمال في المعنى مفسدة للفكر ومضیعة للمعاني الحقيقية .
على أني وإن قلت ذلك : فاني أرى أنه من المستحسن في بعض

الأحوال التدقيق في اللفظ لغرض بيان مرامي الفكر في العبارات ..
ولكن ذلك لا يكون دائما .. ولا بالقصد الأول .. بل في بعض
الأحوال .. تعلما وتمرينا على طرق الفهم .. أما ما كان منها
متعلقا بجوهر المعنى فلا بد من التدقيق فيه ... وكذلك بيان
الاحتمالات .. لو كان في أحوال قليلة ، وخصوصا لو كان مقرونا
بإبطال غير المراد .. لكان البحث فيه حسنا أيضا .. توسيعا
كذلك لدائرة الفكر .

ويحسن عندي أن يبتدىء المعلمون بالكلام على المعنى
بوفرة حقه من كل وجه . ثم يقرأوا بعد ذلك جمل السكتب الى
يدرسونها .. مبينين ما فيها من الاحتمالات والخطأ ... ولكن على
وجه لا يضيع معه الزمان .

فوا أسفاه على ذلك الزمان الطويل الذي يضيعونه في المباحث
اللفظية ... ثم يخرجون بعد ذلك بلا جدوى !!

الفلسفة الخيالية

وكما انتقد طريقه الإعتناء بالألفاظ أكثر من اللازم، وأيضا طريقة
كثرة الاحتمال والتأويل ، فأني أرى مثلهما ضررا لطريقة التوسع
في المعاني الخيالية ، التي لا توجد لها فائدة حقيقية . ذلك لأن خيال
النفس غير محدود، وهي دائما تسرع حينما تتجلى لها المعاني في صور
واسعة وعلى أشكال مختلفة ، وتحب معرفة المجهول من حيث هي
معرفة ، بقطع النظر عن أن تكون ذات فائدة في الخارج . وهذا
الحال كان الغالب على أكثر العلماء في أكثر الأزمان (خصوصا

بعض الأعاجم). وعلمائونا اليوم يعدونه السكالم الذي قد لا يحصل عليه إلا الواحد بعد الواحد ولكني أرى ذلك شهوة من شهوات النفس التي تؤدي إلى الفساد.. لأنه فضلا عن أن ذلك لا يستتبع فائدة، فإن إطلاق عنان الفكر والتخيل، كثيرا ما يؤدي إلى إدراك الأشياء على غير حقائقها.. وإلى التردد في البديهييات.. بل إنكارها. وأكثر ما هو منقول عن كبار علماء الكلام، بما قد لا يصدق الإنسان بوجود عاقل يذهب إليه، هو مبنى على هذا.

كذلك قد يؤدي الأسراف في التخيل إلى الخلف حيث لا خلف في الحقيقة. وكلم لهذا الباب من شواهد فرقت الأمة وجعلتها أحزابا بسبب توهم الخلاف.. وعلى الحقيقة لا خلاف.. وإنما هو الخيال يدرك المعنى الواحد على صورتين.. ويتوهم إن أحدهما ليست الأخرى.. وهي هي على الحقيقة.

ويؤدي التخيل إلى فوات أكثر الواجبات، وضياح الزمن في تحقيق معنى واحد وتصويره على أنماط مختلفة بلا فائدة، وهذا فضلا عن أن هذا المعنى وذلك التصوير قد لا يبقى أيضا في الذهن، بسبب التمثيل وكثرة المسائل.

نعم هناك طريقة تقضي بأن يتخصص الإنسان في علم أو فن، ولكن ذلك إنما يكون بعد الحصول على جملة وافية من كل العلوم. على أن ذلك التخصص، إنما يقصد به بذل الفكر في معرفة حقائق العلم، وتذليلها وتقريرها بسائر الطرق الممكنة، لكي يمكن إعطاؤها للطلاب على الوجه الحقيقي، بكيفية سهلة، وفي زمن وجيز — لا لأجل أن يفيض الاستاذ مع الطلاب العاديين فيها، ويعظمهم عن غيرها من باقي الواجبات.

فمن هذا أرى أنه لا يجوز دوام هذا التوسع الخيالي المضر —
أو أن يكون ذلك بقدر معلوم وبطرق معينة — حرصاً على الزمن
وعلى الفائدة من سائر وجوهها ... وخوفاً من الوقوع فيما لا تحمد
عقبة . والله ولي التيسير .

طرق اصلاح التعليم

إن الأركان التي يرتبط بها حسن التعليم والتعلم لا تكاد نتجاوز
ما يأتي : انتقاء الكتب — حسن التدريس — تقديم الأولى
فالأولى — الاعتناء بالحفظ — عدم إهمال التدوين — المحافظة
على الوقت .

وبيان هذا كما ترى :

انتقاء الكتب

انتقاء الكتب من أهم الأمور التي يتوقف عليها حسن التعليم،
إذ غير خاف أن المؤلفين مختلفوا المشارب مختلفوا الأساليب،
وإن الكتب تختلف : بالسهولة والصعوبة في التركيب، وكثرة الخطأ
وعدمه، والتطويل وعدمه، وترك مسائل بعض العلم وعدمه، وإغفال
بعض الشروط والقيود والمستثنيات وعدم ذلك . الخ الخ .

وقد التزمت في المدارس الدينية كتب خاصة في كل علم .. لا يقوم
برهان على أنها أفضل من غيرها .. بل قد يقوم على أن بعضها مضر ..
وأن هناك ما هو أولى منه وأفيد وأنسب لحال الطلاب .

ففي النحو، مثلاً، يبتدئون بشرح الكفراوى . وهو لا يناسب
حال المبتدئ . لأنه يعزب كلمات الماتن ثم يشرحها .
والمبتدئ .. إذا لم يكن بعد يعرف شيئاً من قواعد النحو
أصلاً ! فكيف يدرى الأعراب !؟ وكيف يجوز أن تكون

أول كلمة تلقى إليه — بعد أوجه البسملة — (و الكلام ، مبتدأ مرفوع بالابتداء ... و هو ، ضمير فصل على الأصح) ... مع أنه لا يعرف المبتدأ من الخبر إلا في وسط الكتاب ... نعم هذا الشرح يجوز .. ولكن بعد قراءة المتن مجرداً .. أو بشرح الشيخ خالد . وحاشية أبي النجاة ضررها على الطلاب شديد . إذ لا يكاد يفهم منها شيئاً إلا القليل . وكذا حواشي الأزهري والقطر والشذور وابن عقيل والأشعري ، قراءتها جميعها معوقة ومضرة . فهم يكتشون في دراستها ثمان سنين ومع ذلك لا يخلصون منها آخر الأمر بنتيجة . وأكثر الطلاب في نهاية الأشعري يحجل المعاني البسيطة لمعظم محتويات متن الألفية .

وقد قدمنا أن من السهل الاستعاضة عن ذلك النظام ، بثلاث سنين أو أربع ، يدرس فيها متن الاجرومية ، فشرح الشيخ خالد ، فالقطر ، فالشذور ، فابن عقيل .. وقد يمكن أن يضم إلى ذلك شرح الأشعري أو الأوضح . ويكون ذلك على نحو الترتيب الآتي : متن الاجرومية ، فشرح الكفراوى أو شرح الشيخ خالد ، مع ملاحظة الاكثار من الأمثلة وإعرابها .. في سنة ، ثم القطر والشذور في الثانية .. ثم شرح ابن عقيل مرتين في الثالثة .. ثم شرح الأشعري أو الأوضح في الرابعة .. وهذا على سبيل التمثيل .. وإلا فقد يكون هناك طرُق وكتب أخرى أفيد وأنفع .

وقد يمكن تأليف كتب جديدة تكون أسهل وأقرب (كالتى تدرس في المدارس الأميرية المدنية) . وقد يمكن أن يدرس من الكتاب بعضه المفيد الحسن ، ويدرس باقى العلم من كتاب آخر ، متى كان فى بعض كل منهما مالا يوجد فى الآخر .

وفي البلاغة قدمنا أن متن الخطيب مختصر إختصاراً مخلاً .
 ثم شروحه وحواشيه لم تنهج المنهج الحسن في إيضاح المعاني
 على الوجه المطلوب . هذا فضلاً عن أن الحاشية المستعملة اليوم هي
 جمل منشورة من مؤلفات كثيرة قد لا يمكن فهمها إلا بمراجعة
 أصولها .. وكلها من الأبحاث الغامضة والاعتراضات الكثيرة التي
 لا تليق بالمبتدئ في البلاغة — فانها كالنحو ، من الصناعات التي ليست
 غايتها معرفتها ، بل غايتها أمر آخر يترب عليها ، ولو كان حاصلادونها
 لما كان لها فائدة .. كما أنه لا فائدة في معرفتها إذا لم يحصل ذلك الأمر .
 وقد مرنا أيضاً أن من الممكن الاستغناء عن هذا الكتاب بكتب
 أخرى لا يأخذ مجموعها أكثر من المدة المقررة له ، وهي متن
 المفتاح ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

وفي المنطق يدرسون السلم بحاشية الباجوري ثم شرحه بحاشية
 الصبان . وفي الأول نوع من الموافقة ، لولا أن نصفه كلام على
 الخطبة ، فيضيع الزمن في غير المقصود . ولا جرم أن هناك من
 كتب المنطق ما هو أولى وأفيد من الملوى بحاشيته ، ككتب
 الشمسية ، وسلم العلوم ، والبصائر النصيرية . أما شرح بيرم على
 إيساغوجي ، فهو من أفيد الكتب للمبتدئين .

وبالجملة فإن أكثر الكتب المستعملة الآن غير جيدة ويحسن
 إستبدالها بغيرها . وقد ذكرنا شيئاً من ذلك عند الكلام على العلوم .
 وذكرنا أيضاً أنموذجاً مما ينبغي أن تبدل به . لأن الجود على كتب
 مهيئة ، هذا حالها ، مؤدى للخيبة والتأخير . وهناك من الكتب
 ما يحصل للعلماء والطلاب من العلم أكثر مما يتصورون في أقل من

المدة المعروفة الآن . وأهم ما ينبغي أن يعنى الطالب والعالم به ، معرفة أسماء الكتب النافعة ، فتدريكون معرفة أسماء بعض الكتب سبباً للمساعدة الأبدية . وكثيرون تحصلوا على شهرة فائقة ومزايا عالية في العلم بسبب الحصول على بعض الكتب الغريبة العالية . لكل هذا فاني استلفت الانظار إلى الكتب المستعملة الآن ونقصها الشديد . ولا أريد أن أعين كتباً وطرقاً أخرى . إذ متى توجهت الفكرة فقد يوجد ما لا يخطر لمثل الآن على بال . وأرى أن تعين لجنة من كبار العلماء للنظر في هذا الموضوع .

دراسة الحواشي على العموم

وظيفة الحواشي تكاد تكون محصورة فيما يأتي : بيان خطأ في المعنى . بيان خطأ في اللفظ . بيان شروط وقيود لا بد منها . توضيح المواضيع الغامضة . ذكر مسائل من العلم لم تذكر في الشارح .

تفريع ، الخ الخ .

ولاشك أن وظيفتها حينئذ وظيفة مهمة ضرورية ، نشأت من قصور الشروح عن تأدية كل المطلوب على الوجه الحسن . فالتمسك بالشروح وحدها إذا يوقع في الجمل ويفقد ملكة الفهم التي تحصل من مطالعة أبحاث الحواشي .

ولكن مع هذا فاني أرى أن الحواشي الموجودة قد توسعت أكثر مما يلزم ، وأكثر من المباحث القليلة الجدوى ، وطوات الكلام بلا فائدة .. حتى وصل الأمر إلى أنهم يذكرون تقرير المسألة ، ثم يقولون — بهذا يظهر فساد ما قاله بعضهم هنا .. وأن أجاب عنه

شيخنا بما حاصله كذا.. ولأنه يرد عليه كذا وكذا.. ولا يقال
كذا وكذا.. ولأننا نقول كذا وكذا.. — وربما يستغرق هذا
أكثر من خمس ورقات في الموضوع الواحد بلا جدوى ولا فائدة
إلا التشتيت والضياع.. بسبب حب إظهار العلم وتمطيط الكلام.
ولا يخفى أن العلم وإن كان كله حسناً، ولسائر فروعه
وصنوفه لذة وفائدة ما، ألا أن الواجب عدم الاغترار بذلك،
فإن هذا قد يؤدي إلى فساد في الفكر بسبب كثرة التشويش، وإلى
التأخر في العلوم الأخرى بسبب ضياع الزمن. فكون البحث في ذاته
له فائدة ما، لا يقضى بالاشتغال به، فإن وجود أنواع كثيرة جميلة
من أنواع وأصناف الملابس مثلاً، لا يقضى بشرائها جميعها
وإنفاق جميع النقود فيها، وإلا أخل ذلك بالحاجيات الأخرى.
من هذا يتضح أن الحواشي قد وقعت فيما جاءت لأجله وهو
الحاجة إلى الإصلاح، بل قد يكون إحتياجها لحواش أخرى أشد
من إحتياج الشروح إليها، فكثيراً ما توجد فيها أغلاط شديدة
وآراء باطلة وقصور على بعض الشيء — ومن هنا جاءت التقارير
المبتورة المدججة، أو الممطوطة المشوشة.. وقد يكون حالها في ذلك
لا يقل عن حال الحواشي. وأعمال كهذه توقع الطالب في إرتباك
شديد يؤخره ويضره، وأكثر الضرر يأتي من حيث تتوهم المنفعة.
وقد اعتبروا الحواشي مفيدة للمبتدئين، وعندى أن ضررها عليهم
أشد إذ لا يعلم إلا الله مقدار ما تعوق حاشيته أبي النجاء المبتدئين في النحو
مثلاً، فإنها لهم كالعاهة التي تلحق النبات في صغره فتوقف نموه.
ولقد أعاروا الحواشي من العناية في التدريس أكثر من اللازم

حتى صارت كأنها هي المقصودة ، فنتج عن ذلك ضياع الوقت فيما لا يعنى .. فمثلا ، لاشك أن قراءة شرح ابن عقيل مرتين أفيد من قراءته مرة بالخواشى .

وأهم ما يتشبهون به في مزيد التمسك بالخواشى أنها خير واسطة لتربية ملكة الفهم — وهذه أمر ضرورى . لكن لو تأمل المنصفون لعلوا أن تربية هذه الملكة لا تحتاج في الحقيقة إلى هذا العناية كله ، وأن ميدان التربية ليس في أمثال هذه المباحث التى تحويها الخواشى ، وخصوصا النحوية ، ولأدركوا أن الاطلاع على الكتب العالية والمباحث الثمينة يرببها أكثر .

فلهذا أرى :

أولا — أنه لا بد من إصلاح الخواشى بانتخاب حاشية تؤخذ من مجموع خواشى الكتب تكفى وتحيط بالغرض .

ثانيا — أن هذه الحاشية يطالعها الطلاب والمعلمون ، ولا تقرأ في الدروس ، بل يلخص الأستاذ ما فيها أثناء قراءة الشروح .. وإن كان ولا بد .. فليكن مع التساهل في قراءتها ... خوفا من الضياع . هذا وإننى ألاحظ أن هناك مسائل لم توف حقا من العناية ، ولا يمكن معرفتها على وجه حقيقى من الكتب المتعارفة ، وهى فيها لم تزل موضع اللبس والإشكال ... فأرى أنه لا بد من تأليف مجتمع ينظر في هذه المسائل ويقررها على الوجه التام بعد المراجعة ... حتى تزول عقبة كبرى طالما أورثت تأخيرا كثيرا .

وقد كان ينبغى أن يكون مثل ذلك من أهم ما يعنى أرباب

الحواشي !! ولكن هكذا كان !!
وفي الختام أستحسن المثل المشهور (من تتبع الحواشي . ما حواشي).

حسن التدريس

هذا هو الأساس الكبير لنجاح أمر التعليم وتقديم الطلاب ،
وخصوصا المبتدئين . فكثيرا ما يذهب الطلبة ، حتى الاذكياء منهم ،
ضحية عدم إحسان التدريس . ولا جرم أن هناك أصولا ولوازم
كثيرة لا بد منها في حسن التدريس .. من أهمها ما نريد أن نذكره
في هذه الكلمات الوجيزة .

الأول : تمام الإلمام بالعلم الذي يكون التدريس فيه ، حتى يمكن
إعطائه للطلاب على الوجه الحقيقي العالی بطريقة سهلة مختصرة .
ولكن لا ينكر علينا أحد أن التعويل الآن ليس إلا على أن يفهم
الشيخ الكلمات التي أمامه وإن كان جاهلا بأصول العلم نفسه ، غير
واع له وغير متمكن فيه .

وكثيرا ما يكون الأستاذ في العلم المطلوب كالتلميذ نفسه .
لا يزيد عنه إلا بقوة الفهم وذلك خطأ يورث الخبط والخطوط والتطويل
وعدم تمام الفائدة .. فكثيرا ما ترتبط مسائل العلم ببعضها كما في
علم الأصول مثلا .. فستحضر مسائل هذا العلم يمكنه أن يفهم
مقدمة كتاب جمع الجوامع مثلا على الوجه الصواب بسهولة ،
بخلاف غير المستحضر فانه يسير بمجرد قوة العقل .

ويؤدي عدم الملم بالعلم الذي يدرسه إلى ما يأتي :
أولا : لا يتمكن في الفهم ...

ثانيا : يحتاج إلى عناء شديد لعدم وجود المواد والمعلومات
التي تساعد .

وثالثا : يكون أقرب إلى الخطأ .

فالأستاذ لا بد أن يكون متمكنا من قبل في العلم الذي يعلمه ...
محيطا بأسرار ومقاصده ... عارفا باصطلاحاته ورموزه .. ولا يجوز
أبدا أن يتكل على أنه يمكنه أن يفهم المقصود من الكتاب الذي يدرسه ..
فيكون كأعمى يقود عميانا .. ولا يشترط أن يكون اطلع على
خصوص الكتاب الذي يدرسه .. وان كان ذلك أولى .

هذا ، وإنني أستحسن أن ينفرد العالم بفن أو فنين بعد تأدية
الامتحان في سائر العلوم ، لأن ذلك يأتي بفوائد جمة في تقدم
العلوم ، ويكون خير ضمان لنجاح الطالبين ، ويمكنهم من حقائق
العلوم في أزمان قليلة .

والامر الثاني اللازم لحسن التعليم : الاعتناء باستحضار
خصوص الموضوع الذي سيلقى ، ودرسه درسا دقيقا ، والتمكن
في فهمه ، ومعرفة مطوياته ، ومراجعة ما يلزم لذلك من الكتب ،
حتى يكون المدرس محيطا تمام الإحاطة بسائر أطرافه ومتعلقاته .
ولكن بما يوجب الأسف إن أكثر العلماء يتهاون في ذلك ، إما
اتكالا على ذهنه ، وإما اكتفاء بالاطلاع البسيط على بعض
الخواشي والتقارير .. فكل ما يهمله أنه يمكنه متى جلس في الدرس أن
يأتي بشيء من المناقشة اللفظية أو غيرها ، حتى يتخيل للطلاب أنه
أتى بشيء جديد وإنه وفي الموضوع حقه ! .. وبهذا يسوغ لنفسه حق
القراءة والتدريس ! .. مع أن الموضوع الحقيقي والابحاث
اللازمة لم تمس .. بل لا تزال مجهولة له كما هي .. وبالطبع بمجهولة

للطلاب — فكل غرضه أن يظهر أنه أتى بشئ ما ! وأنه قرأ وبُحث ! .
 بقطع النظر عن فهم الطلاب وعدمه ! وعن إيقافهم عن النقطة
 الجوهرية في الدرس !

أن ذلك بلا ريب نقص شديد ظاهر . وأنه لو اوضح تماما أن
 عمليات التعلم والتعليم والقراءة والتدريس تكون معه صورية محضة ..
 وتكون النتيجة التأخر والانحطاط ومزيد الجهل .. نعوذ بالله من
 سوء هذا الحال .

والامر الثالث اللازم لحسن التعليم هو الأمانة في العلم ، وعدم
 الإقدام على قول ما ليس للمعلم به علم ، لئلا يقع الأستاذ ، زيادة
 على جهله ، في أشد أنواع الخيانة والكذب ، ويوقع غيره في الجهل .
 كذلك الاستحياء من إظهار الخطأ أو الجهل ، والتجروء على ترويح الباطل
 خوفا من الخجل أن قال ، لا أدري ، ، فأمر يجب أن يعدل عنه . فإن
 قررنا مسألة ثم تبين لنا خطأها ، فالواجب أن لا نستنكف من الرجوع
 إلى الحق . وإن سئلنا في شئ . لا نعرفه ، فلا نبالي أن نقول ، لا ندري ، .
 وإن لم نفهم شيئا من مواضيع الدرس ، فلا نستحي من تأجيله
 بدل الخوض فيه بجهالة — تلك هي الأمراض التي تفشت في جسم
 التعليم فأنهكته ، وهي الموانع والسدود التي قامت بين الطلاب وبين
 معرفة الحقائق .. ولا نقص أشد من هذا النقص ، ولا عيب أكثر من
 هذا العيب .. ولا خيانة أشد من هذه الخيانة . وقانا الله السوء .

والامر الرابع : استعمال الإنصاف مع الطلاب فيما يعن لهم من
 الآراء ويظهر لهم من المباحث ، فليس ببعيد أن يكون ما ظهر لهم هو
 الصواب دون ما ظهر للعلماء .. بل ودون ما هو مكتوب في الكتاب
 الذي يدرسونه . فإن في ذلك الإنصاف — فضلا عن الرجوع إلى الحق

وترك الانتصار إلى الباطل - تشجيع للطلاب وبث لمبدأ الحرية والاستقلال الفكري فيهم، وحملهم على مثابرة البحث والتنقيب، وعلى مداومة الجد والاجتهاد .. أما تلك الفكرة التي تغلب اليوم علينا من رد كل بحث واراد من أحد الطلبة، أو الإجابة عنه مطلقا .. بحق أو بغير حق، فهي فكرة باطلة معطلة، تبعد عن الحق، وتورث الجمود في أفكار الطلبة، وتنزع منهم مبدأ الاستقلال .

ومع مزيد الأسف أرى أنه لا بد لي من الإلماع إلى ذلك الأمر الذي يقع فيه أكثر أكابر العلماء - حتى من يدعى منهم متعبي الكمال والوقوف على أساليب التعليم وآداب التربية - وهو إهانة السائلين من الطلاب وزجرهم لمجرد أنهم يسألون الاستاذ أسئلة علمية - وكثير منهم يحكم على من يسأله بالخروج من الدرس بالمرة فإن تعاصى حبا في العلم والاستنارة استعملت معه القوة . فما هذا الحال السيء والأمر الشنيع !! أذلك هو التعليم الصحيح !! وهل هو الإقناع والإرشاد اللازمين !! وهل هي الآداب التي تعطى من علماء الإسلام لمن يجلس إليهم !!

والأمر الخامس اللازم لحسن التعليم ، أن لا يجعل المعلم تدريسه قاصرا على أن يستحضر في نفسه معاني ومباحث يرتبها ثم يأتي ليلقيها بكيفية هي بالخطبة أشبه منها بالتدريس ، فإن ذلك وإن حسن ظاهره وارتاحت إليه نفوس الطلاب لكونه يوقفهم على المعاني بسهولة ، لكنه يورث الجمود ، ولا يمكن أن تقوى معه ملكة الفهم أو تتسع دائرة الفكر أو يبعد مرمى النظر ، ولا أن توجد معه عندهم ملكة التبصر ، ولا أن يفرزوا الحق من الباطل بل يلبس الأمر عليهم . وتلك الطريقة الخطائية

أقرب طريق لترويح الباطل وقد لا يدركه معها إلا صاحب الذهن
الوقاد . واللازم أن تكون طريقة التدريس طريقة تفهم وتدبر
وتروى وبحث ، حتى كأن المعلم يفهم المباحث مع الطلاب من
جديد للبحث والفهم . ويجب أن يحصل ذلك مع التأنى ، ومع
الآخذ والرد ، فإن ذلك يبيح لذهن الطالب أن يفهم ، وبذلك قد
يؤدى بالطالب إلى أن يسبق إلى ما فى المقام من بحث أو اعتراض
قبل أن يصرح الاستاذ به ، بل قد ينساق بنفسه دون معاونة من
المعلم إلى المعنى . المراد ولكن مع ذلك فلا يجوز كثرة الآخذ والرد
إلى حد يوجد الإملال والتشويش ، ولا التوسع فى التأنى والتروى
إلى حد يميمت روح النشاط ويولد الخمول والسكسل .

والأمر السادس : أن يوفى المعلم كل مسألة حقها من البحث
والبيان ، فلا يغادر فى المسألة شرطاً إلا ذكره ، ولا تخصيصاً إلا
بينه ، ولا خلافاً إلا نبه اليه .

والأمر السابع : أن يكون المعلم أجمع الناس بفكره للمعاني المترامية ،
حتى يمكنه أن يصورها بصور سهلة على الطالبين . ويجب أن يستعمل كل
فكره فى تقريب البعيد وتذليل الصعب واختصار المطول ، وأن
تكون له قدرة على التحليل والتركيب والتصرف فى المفهومات العقلية ،
حتى يمكنه أن يصور المعانى المنتشرة الصعبة بصور مرتبة سهلة ، ويجب
أن يجتنب التشويش والإطالة ، وأن يسلك أقرب الطرق وأسهلها
وأبسطها إلخ .

والأمر الثامن : أن يرتب المباحث ويحسن التقسيم والترديد
والوضع ، فلا يذكر مبحثاً قبل ما هو أولى منه بالتقديم ، وليجعل
الترتيب والنظام بين عينيه فى كل شيء ، وخصوصاً فى المعانى ،

ويحسن أن يشير أولاً إلى النقط والمباحث ويسردها اجمالاً ،
مرتبة ترتيباً متناسباً .

والأمر التاسع : أن لا يستعمل في الإلقاء من أساليب الكلام
إلا الأساليب العالية ، التي تنبه الطالب ، وتحاكي الوجدان ،
وتمثل المعاني أتم تمثيل ، وتؤثر في نفوس الطلبة .

والأمر العاشر : أن لا يجعل الأستاذ عمدته البحث عن غير
النقط المفيدة .. فلا يسترسل في المباحث اللفظية مثلاً قبل توفية
المعنى حقه من الإيضاح والبيان .

والأمر الحادي عشر : أن يسلك في تدريسه لسائر أنواع العلوم
مسلك تطبيقها على الواقع ، والنظر في حقائقها بقطع النظر عن
المنقول ، وأن يكثر من التدريب على استعمالها ويحرص على
حصول غايتها ، فلا يعتنى بها في ذاتها بقطع النظر عن فوائدها
والمقصود منها .

والأمر الثاني عشر : والآخر أن لا يعلل إلا بالعلل الحقيقية ،
ولا يترك شيئاً من غير أن يبين علته وسببه ، ولا أمراً عقلياً منقولاً
إلا إذا فهم سره وبرهانه ، وليحذر أن يسوق الحكمة متناق
العلة ، أو أن يذكر فيها شيئاً غير معقول .. الخ ...

تقديم الأولى فالأولى

هذا أمر لا يخفى وجوبه وضرورة الاعتناء به وأن اهماله
يؤدي إلى مفسدات كثيرة . ولكن من الغريب أن ذلك مهمل الآن
لدينا بالمرّة . فمن المعلوم أن أهم ما يحتاج إليه المبتدئ هو أمر
التربية والأدب ، ولكن هذا للأسف متف في المدارس الدينية ،

إذ لا التفات اليه بالنسبة إلى المبتدئين وغيرهم . وعندى أن من أهم ما يجب الابتداء به ، تنمية الشعور الدينى وتقويته عند الطلبة ، وإيجاد الملكات الإسلامية الروحانية عندهم ، وحثهم على التمسك بالدين بالوجوه المقنعة والارشادات المؤثرة .

كذلك مما يجب الابتداء به بيان مزايا الدين الإسلامى وأسراره وما يتعلق بأبحاثه العامة : من نحو أن الدين لا يضاد محاسن المدنية : وأن الغرض منه ليس إلا مصالح الانسان : وأن ما فيه مما قد يتعذر فهم حكمته ، إنما هو لمصالح حقيقية ولكنها غامضة يعجز العقل عن معرفتها لأن العقل لا يدرك كل شئ . إلى غير ذلك مما يبعث فى قلوب المبتدئين محبة الدين ويدفعهم إلى العمل به دائماً ويوجد فيهم الداعية القوية إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه .. مهما تحملت النفس فى ذلك من ضروب المشاق .

ولكن من المحزن أن ذلك غير منظور له الآن بوجه من الوجوه — لا بالنسبة إلى المبتدئين ولا سواهم — حتى كانت نتيجة هذا الحال ما اشتهر من تهاوننا فى أوامر الدين ، وأننا من أهل الجراءة على الله . ولعمري ما فائدة مفاجأة الطالب منذ بدايته بتعليمه دقائق فروع الزكاة .. والصلاة . وأحوال الامام والمأموم .. ونحو ذلك — إذا لم توجد عنده داعية للعمل بشئ . من هذا !! وما معنى جعل ذلك هو كل تعليم الدين !! مع أن معرفة أن حكم الصلاة كذا وحكم الزكاة كذا . يمكن أن يتفوق فيه أيضا غير المسلم .

لا جرم أن الواجب إيجاد الداعية أولا عند الطلبة للعمل بقانون الدين وإشرا به قلوبهم .. فأنهم بعد ذلك يقبلون بأنفسهم على تعلم أحكام الفقه ولا يبالون بأن يقاسوا أشد المشقات فى تحصيله .

ومن أهم الأمور التي يجب الابتداء بها أيضاً تعليم عقائد الدين على وجه ملائم معقول بسيط سهل . فقد يمضي الطالب الآن السنين العديدة من غير تعلم شيء من التوحيد — لأنه ليس من العلوم المقرر لها أوقات معينة رسمية بل دراستها بحسب اختيار العلماء — وهذا نقص كبير . كذلك الحال في علم التفسير ، فمع أنه أحد العلوم المهمة الضرورية ، إلا أنه الآن يعد من الكماليات .. وترى أكثر الطلاب بل أكثر العلماء لا يهتمون به .. وقد لا يعرفون معنى ما يتلونه في الصلاة !!

الاعتناء بالحفظ

اشتهر بين الطلاب من الأمثال قولهم (من حفظ المتن حاز الفنون) ، وقولهم .

(ليس يعلم ما حوى القمطر ... العلم حقاً ما حواه الصدر) .
ولكن من الغريب أن ما تشير إليه هذه الأمثال الحكيمية الحققة غير معمول به أصلاً . فقد أصبح أمر الحفظ الآن منبوذاً وكثر التعويل على مجرد تربية ملكة الفهم .

وغير خاف أن ملكة الفهم وأن كانت ضرورية فهي لا تكفي وحدها ، وأن الطالب والعالم ، مالم يحفظ ، لا يمكن أن تحصل له خصوصية معنى العلم . فالحفظ من أهم ما ينبغي أن يهتم الطلاب والعلماء ، فانه فضلاً عن أنه يقصر مدة الطلب ، فانه أيضاً أكبر معين لانساع دائرة العقل وتربية ملكة الفهم — التي يتمدحون بها — على وجهها الصحيح وفي أسرع وقت ، لأن خير الأبحاث ما بني على أصول العلم الصحيحة .

والحفظ يورث الشرف والسؤدد والفخار لصاحبه ، ويرفع

من قدره في المجالس . ولبئس الحال السيء أن يوجد الانسان في محفل
حافل ويسأل في أمر بسيط فيقول : « لا أدري ، حتى أراجع » .
وكثير أمافاق الأصاغر الأكار بسبب الحفظ !! وكثيرا ما تعجب العلماء
في بعض المسائل وتحيروا فيها بسبب عدم الحفظ !! وكم مرة أخطأوا
في الدروس وفي كثير من الآراء والمذاهب بسبب عدم الحفظ !!
وبالجملة فإن الحفظ هو السام الذي يمكنك أن ترقى به سماء
العلم في أقرب وقت . بل هو كل العلم ، وهو الذي يحقق مفهوم
« عالم » على الحقيقة . وقد بلغ من اعتناء الأولين به أنهم كانوا
يحفظون الكتاب الكبير الذي يقرب من ثلاثين كراساً .. وكانوا
يحفظون الأحاديث بأسانيدھا . . . ويحفظون أشعار العرب .
وأمر الغزالي في ذلك معلوم ، فقد كان في أيام طلبه للعلم يكتب العلم
ولا يحفظه . فلما رجع إلى أهله سرق قطاع الطريق في متاعه وفيه
مذكراته العلمية ، التي هي نتيجة ما تحصل عليه . فما زال يستعطفهم
طالباً بهذه المذكرات ، دون المتاع ، قائلاً أنها لا تنفعكم حتى أرجعوها
له .. فلما انتهى من سفره اشتغل بحفظها . فلما أتمها قال ما معناه :
« الآن لا يمكن أن يسرق مني علمي ولا أن يغصب » .

لقد أوردنا إهمال الحفظ ضرراً شديداً وتأخراً كثيراً . إذ ما
معنى تكرار مزاولة الكتب وفهم المسائل منها ؟! ثم تركها ؟! ..
وإضاعة العمر بين فهم وترك ؟! حتى صار مثلنا في هذا كالذي يشغل
جميع أوقاته بالصيد ، فإذا ما وقع في شبكته شيء أطلقه !! وهكذا
طالب العلم اليوم !! مع أنه متى اشتغل بالحفظ مضافاً إلى الفهم
هان عليه الأمر جداً ، وتحصل في ربع زمنه على أضعاف ما يحصل
عليه الآن فيه كله .

فمن هذا أرى أنه لا بد من جعل الحفظ إجباريا ، كما أرى
وجوب جعله موضع اعتبار في الامتحان . وذلك بأن يحتم
على الطالب أن يحفظ في كل علم متنا متوسطا على الأقل .
ولا بد من انتخاب المتون التي تحفظ . ولا يشترط أن تكون
متون كتب تدرس . فان شدة اختصار بعض المتون أو وجد
فيها غموضا حتى صارت لا تفيد كثيرا وأصبحت لا يمكن أخذ المعنى
منها إلا بصعوبة شديدة تحتاج إلى زمن كثير . فهذه يجب أن تجتنب .
أذا ن زيادة أسبوع في الحفظ أو ورقات في الماتن أهون من هذا التعسف
والتصعيب . ولقد كان تأليف الأقدمين مرسلا ، لا ينقسم إلى شرح
ومتن ، ثم جاء المتأخرون فاخترعوا هذا الأسلوب لتسهيل الحفظ
والتعلم ، وهو اختراع لا يفيد ألا إن جرى على قانون معتدل .
وهنا أشير أن يكون الحفظ بعد مطالعة الماتن وحله حلا بسيطا ،
لأن ذلك يسهل الحفظ ويثبت المعاني في الفكر ويجعل للانسان
فيها مجالا ، لكثرة تكرارها على الفكر

التدوين

قد اشتهر قول بعضهم حثا على كتابة العلم ،
العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواقعة
ولكن الطلاب أهملوا ذلك اليوم بالمرة ، فضاعت عليهم فوائد
كثيرة . فكم من تحقيق رائق يبدية الاستاذ في مسألة فيعجب به الطلاب
ولكنهم لا يكتبونه فلا يلبث أن يضيع من أفكارهم وعند ما يحتاجون
اليه لا يجدونه وكأنهم ما عرفوه ولا سمعوه .. وهكذا الآن نتائج
الجد وعمل الفكر تذهب وتضيع بسبب إهمال التدوين .

تالله لولا تدوين المذكرات ما أمكن تدوين العلوم ولا إيجاد هذه المؤلفات التي نراها اليوم. أيقظ الناس أن التأليف كله يكون بالنقل عن الكتب أو الأخذ من المحفوظ ؟ كلا ، إن من أعظم التأليف ما لا يأتي إلا بتدوين الواردات والخواطر والمسموعات والمعلومات المتفرقة ، ولولا كتابتها لما أمكن جمع تلك الكتب ولذهبت منافعتها العالية أدراج الرياح. قد كان من حرص الأواين على الكتابة أنهم لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا قيدوها. وهما هي كتبهم نجدتها ناطقة بذلك. فهناك من الحسكيات والوقائع ما لا يستحق العناية به ، ولكنهم مع ذلك قيدوها وأودعوها كتبهم حرصا على سائر ما تشتم منه رائحة الفائدة .

وهناك من المعاني ما هو معروف ومشهور عن هؤلاء القدماء . وقد يخطر لنا الآن ما هو أحسن منه بكثير ولكنه لا يعرف . وما ذلك إلا لأنهم قيدوا حفظ عنهم ونحن أهملنا فضاعت الفوائد. قد يكون في خطرات بعض العلماء أو الطلاب ما لو اعتنى به وقيدته لأفاد العالم أي إفادة وخلد له ذكر لا ينسى ، وأمكنه أن يجمع من شتاته كتاباً ربما يعجز كبار العلماء عن الإتيان بمثله. وقد يعجز هو أن يأتي به قصداً .

إن الاعتناء بتدوين المذكرات والخواطر لا يفيد المدون فقط ، بل يساعد أيضا على ترقى سائر الناس وعلى تقدم العلوم ووصولها إلى درجة السكالم المطلوبة . لذلك فيني أرى أنه لا بد أن يكون مع الطالب والعالم مذكرة (وقلم رصاص على الأقل) يكتب فيها خواطره الحسنة في أي موضوع كانت ، ويدون فيها ما يسمعه من المسائل — حتى النفيسة ، وإن كانت مبسوبة في الكتب ، فقد لا يتييس له مراجعتها ، بل قد لا تخطر له بعد ذلك على بال وكذلك يدون فيها ما يعن له من الآراء في أي مسألة من مسائل العلم ، وما يظهر له

من نحو أوجه نقد المؤلفات .. بل وما يسمعه من كلام سائر الناس ،
حتى العوام ، .. مما يجد فيه من المزايا والمغانى العالية ما يستحق
به أن يودع الدفاتر .. وهو كثير .

وعلى الجملة فليقرن العالم والطالب حركة قلبه بحركة فكره
وسمعه وبصره وسائر حواسه الظاهرة والباطنة ، وليدون كل شيء
إن استطاع ، فذلك هو داعية التقدم . والرجل الذى يكون هذا
حاله ينتفع به حقاً ، ويمكنه أن يستخرج من مذكراته اليومية
كتباً نفيسة فى مواضيع مختلفة .. بل يمكنه أن يتركها على حالها
وتسكون بذاتها كتاباً كبيراً يحوى المواضيع المختلفة .. كأنه
كشكول أو دائرة معارف كبرى .

ولكن الكسل والتراخي يحرمان الإنسان من ثمرات
أعماله ووجوده !! .. حتى من المنافع الكبرى التى لا تكلفنا إلا قليلاً
من العمل ! وفقنا الله إلى ما فيه الخير والصواب

عدم الاهتمام بالوسيلة

أكثر من المقصد

من أشد الأمور ضرراً على التعليم ما هو حاصل اليوم من إعطاء
الوسائل من العناية أكثر مما للمقاصد . فالعلوم الدينية المقصودة أصلاً
من مثل التوحيد والفقه والحديث والأخلاق الدينية ، ليست ،
للعجب ، موضع الاهتمام أو موضع التنافس ، وإنما ذلك لبعض العلوم
التي تعد من الوسائل ، كالمعاني والبيان . بل لا أبالغ إن قلت أن كثيراً
من العلماء والطلاب ربما تباهاوا واقتخروا بنبذ العلوم المقصودة
والإقبال على سواها ! . نعم قد يوجد الآن شيء من الإقبال على

علم التوحيد والافتخار بمعرفته ، ولكن ليس ذلك من أجل أنه علم ديني ، بل من جهة أنه علم عقلي تمتحن به درجات العقول وتتسابق فيه الأفكار . ومن الغريب أن هذا التهاون كما هو بين الأفراد ، فهو أيضا في مجالس الامتحان ، فلا يعتنى فيه بشيء من العلوم الشرعية إلا بالتوحيد .. للعلة المتقدمة . ولا شك أن هذا هو السبب في التهاون العام ، وإنه نقص يجب تداركه . نعم جودة العقل مطلوبة ، وقد يكون ظهورها في بعض العلوم الآلية أكثر من بعض العلوم الشرعية ، ولكن يجب أن لا يفضى ذلك لأعمال ما هو مقصود أصلا . فمعرفة الوسائل لازمة ، ولكنها لا تكفي بدون المقاصد ، إذ هي ما كانت لازمة إلا لأجلها . كذلك معرفة العلوم الشرعية لازمة ، ولكنها لا تكفي دون التحقق بمضمونها ، إذ هي أيضا ما كانت إلا من أجله . لهذا . فاني أرى وجوب الاعتناء بالعلوم الشرعية جميعها ، باعتبار أنها المقصود الأول ، وكذلك وجوب التنبيه إلى هذه النقط الجوهرية التي يترتب على إهمالها قلب الموضوع وزوال المقصود . وفقنا الله إلى ما فيه كمال الحكمة ومزيد السداد .

المحافظة على الوقت

هذا من أهم ما لا بد من ملاحظته ، فإن الوقت نفيس واغتنام الفرصة واجب . وقد قيل : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك . ولكن الجارى الآن غير ذلك . فإنك :

أولا : لا نجد في نفوس أكثر الطلاب الغيرة على تحصيل الغاية في الزمن المناسب لها ، بل هم للأسف قد لا يتصورون هذه الغاية إطلاقا ، حتى يعملوا لتحصيلها . وقد ينشأ عن هذا أن الواحد منهم قد يمضي

أكثر عمره في تحصيل شيء قليل من العلم أو من ملكة الفهم مع أنه يكفي له أربع سنين على الأكثر. ثم أتناو حاسبنا الطلاب على ساعات عملهم اليومية الحقيقية لما وجدناها تبلغ الأربع ، مع أنهم بظاهر الأمر منقطعون للعلم ليلاً ونهاراً ، عاكفون في المساجد لهذه الغاية .

ثانياً : نجد أن أوقات المساحة أكثر من اللازم ، وهذا فضلا عن أن الأساتذة يسامحون دائماً قبل الميعاد المحدد في القانون كما يبتدون الدراسة في العام الجديد بعد زمن الابتداء ، فكأن الأمر أمر تأدية رسوم ووظائف ، لا أمر جد وعمل لتحصيل الغاية في أقرب وقت ممكن .

ثالثاً : نجد طبيعة دراستهم تقتضي ضياع الزمن ، سواء من جهة الاشتغال بالأمور التافهة ، أو من جهة التخطيط والتطوير والأسهاب في السكتب .

فمن هذا أرى أنه لا بد من إيجاد ترتيب وتحديد لساعات العمل . وتحتم ذلك على الطلاب . ولا بد من حملهم مع العلماء على العمل بالقانون فيما يختص بمواعيد الدراسة والمساحة . وأن يكون ذلك بسائر الطرق الممكنة ، قهرية كانت أو اقناعية .

ولا بد من إيجاد نظام كاف لا يضيع المعلم معه الزمن في كتاب أو كتابين ، ولا يعطى شيئاً أكثر مما يستحق من المدة . وهنا أنصح الطلاب أن لا يقتصروا على تلقي الدروس فقط كما أنصحهم أن لا يجعلوا لهم أوقات مساحة وأوقات دراسة ، بل فليشتغلوا دائماً ، وليتصوروا الغاية ، ثم فليتنافسوا في الوصول إليها بأخر سرعة ، في أقل ما يمكن من الزمن ، لكي لا تطول مدة طلبهم للعلم ، وليغتنموا السعادة قبل ذهاب زمن الشباب ، فان اشتغلهم بطلب العلم أثناء مساحة واحدة من المساحتين الصيفية والاعتيادية يكاد أن يوفر عليهم سنه من سني الدراسة . والله الموفق والمعين .

الباب الخامس

في تعليم الجمهور

تعليم تلامذة المدارس الأميرية والأهلية

لا أريد من ذلك تعليمهم شروط الصلاة وأركانها ومفطرات
الصيام وغير ذلك من فروع الفقه ، ولا أريد كذلك تلقينهم
براهين التوحيد ، إذ أن ذلك كله لا يفيد وحده . وإنما أريد تنمية
الشعور الديني العام عندهؤلاء التلاميذ ، وتربية الملكات والوجدانات
الإسلامية والأخلاق الدينية ، وإيجاد الداعية للعمل بقانون الدين ،
وايقافهم على حقائقه وأسراره وغرس مبادئه الحقة في قلوبهم ، وحثهم
على العمل به واحترامه وحبه ، إذ هذا متى وجد حملهم من أنفسهم
على البحث عن معرفة أحكام الصلاة وغيرها من مسائل الفقه .
إذا تصور منبغ خطر على الدين فهو من جهة تلامذة المدارس ،
إذ هم يجاهلون حقائق دينهم ثم بعد ذلك يمشأون على طرائق التمدن الغربي .
كذلك إن تصور قوم يمكنهم أن ينتفعوا بجزايا الدين ، ففي مقدمتهم هؤلاء
التلامذة إذ هم تربت فيهم ملكة الدين وألقيت إليهم تاليمة الصحيحة .
تلامذة المدارس هم الذين سيكونون الطبقة العليا من الأمة ،
في المستقبل ، أو هي والتي تليها ، وهم هم الذين ستكون بأيديهم أزمة
الأمور ، إذ سيكونون حكام الأمة وقضاتها ومديريها ونظارها
وغير ذلك . وهم هم الذين سيكونون أهل التأثير وأهل التقدم ،

ومن سيقلدهم غيرهم في مشاربهم ومذاهبهم وأمياهم . فجهلهم
بالدين خطر على الدين .. وأى خطر !!

الخطر الذى يأتى من هذا الجانب شديد جداً . وهو يؤثر أكثر
من الاحتلال الأجنبى . لأن الطبقة الراقية متى كانت غير متمسكة
بالدين قويت بذلك كل المؤثرات المؤخرة .

ولكن من المحزن أننا كدنا أن نقع ، بل وقعنا ، فى هذا
الخطر ، وذلك بسبب إهمال تعليم تلامذة المدارس حقائق الدين
الإسلامى واقناعهم بوجوب التمسك بأحكامه ، فإن أكثر أهل
الطبقة الراقية كاد يعد أمور الدين من الأمور الثانوية الشخصية
التي تنزل منزلة إتخاذ لون (الممباغ) أبيض أو أحمر . والفكرة
التي كادت تسود الآن على كثيرين منهم ، أن الدين غير مطابق
للعقل !! وأنه تكاليف شاقة مجهولة المنفعة !! بل بدأ يدب فى عقول
بعض هذه الطبقة أنه ربما كان من الأوهام القديمة !! والمفقات التي
أوجدها بعض الناس لغرض الإصلاح وردع الناس عن الشر !!
وبالجملة فإن كلمة دين ، ودين ، أصبحت مع الأسف
تعطى عند الأكثرين معنى غير المعنى الأصلى !! وهى به عندهم عنوان
الانحطاط !! بل قد تكون موضوع الازدراء والسخرية !! .

ولذلك الحال النسيء أسباب : أولها إهمال تعليم الدين لهذه الطبقة
عندما كانوا تلامذة ، وثانيها ميل هذه الطبقة الشديد إلى التقاليد
الأوروبية التي لم تكن معروفة لها من قبل بما دعا أيضا إلى ظهور
كلمات (فكر وانحطاط وتقدم ، وبساطة وتمدن) فكانت هذه
من أقوى المؤثرات السيئة على المعنى الدينى .. وقد ثبتت عندهم

هذه الاتجاهات من الآباء والأمهات في دور الطفولة . وثالثها :
خروج من ادعوا بأنهم من رجال الدين ، وهم أهل الطرق الصوفية ،
عن وضع الدين الأصلي وما قصد منه ، إلى أشياء باطلة تضاد الحقائق
الثابتة وتضاد الطبع السليم .. من نحو قول بعضهم أن الاقتراب من
المدنية الحديثة يضاد الدين — حتى فيما هو منها منطبق على أصوله
وقواعده !! .. وقولهم أن مذهب أهل السنة أن الأرض بسيطة
لا كروية !! .. واعتقادهم في الأمور الخرافية الكاذبة !! .. وغير
ذلك من العوائد والخرافات والأوهام ، التي لو صح أنها من الدين
لبكان الدين من الأشياء المحقرة الدنيئة التي يجب إهمالها بل
الانسلاخ عنها !!! وهذا فضلا عن انحطاط هؤلاء المدعين في
أنفسهم ، وارتكابهم ما لا يليق ، واتصافهم بالصفات الدنيئة ،
وتمكنهم في الجهل المطبق .

ولقد سمعت أن أحد أبناء الطبقة العليا كان من المتمسكين
بالدين في صغره ، وكان له معلم ديني كان يحثه دائماً على العمل بأوامر
الاسلام واجتناب نواهيه ، فذكر له يوماً في الحث على الغسل من
الجنابة وجوب المبادرة إليه أنجنب أن ظل جنباً وكان في
سفينة غرقت . فاتفق أن سافر هذا التلميذ إلى أوروبا واحتمل في
السفينة ولم يتمكن من الاغتسال ، فصار في أشد حالات الحزن ،
لأنه صار يتوقع غرق السفينة ، فلما وصلوا آمنين علم أن كلام
المعلم الديني كان كذباً ، وحينئذ خامرته فكرة أنه ربما كانت أمور
الاديان كلها من هذا القبيل .. ثم كانت العاقبة أنه أهمل العمل بعد
ذلك بالدين واعتقد أن أكثره من الخرافات الملفقة .

ولاشك أن الخطر الذي يأتي من مثل هذا المعلم لا يقدر ، فإنه قد يفقد عامة الناس الثقة في الدين الإسلامي فضلاً عن فقدها في أعظم رجاله ونخبة أبنائه من هذه الطبقة الراقية .

كم مرة رأينا قوماً من العمدة كان في غاية الصلاح والتقوى فقتلوا شرب الخمر والزنا وسائر الأنواع المنكرة بحكم مجالستهم للموظفين مثلاً . وكم مرة رأينا كثيراً من هؤلاء الموظفين وأمثالهم يهينون الدين والعلماء وأهل التقوى ويضطهدونهم ولا يألفون إلا من كان على مشربهم ، حتى أصبح مثل العلماء وأهل الدين اليوم كمثل القسس في أوروبا مع دعاة التمدن ، حيث اضطهدوهم بسائر أنواع الاضطهاد حتى صار سلطان الدين قاصراً هناك على الكنائس !! فقد ظنوا أن القسس عقبة في طريق ترقيتهم !! فهكذا نحن اليوم !! يرى أبنائنا وإخواننا من المسلمين المتعلمين في المدارس أننا نحن العلماء عقبة في طريق السعادة والمدنية !! ودعاة إلى التوحش والهمجية !! ويعتقدون أننا البقية الباقية من آثار البساطة والعبادة والجهالة الأولى !! وأننا العضو الأشل والأمر المشوه للجامعة !! والطبقة المنحطة التي قد لا يرجى منها ولا لها فلاح !!!

وسبب هذا كله عدم تلقين هؤلاء الموظفين الدين الإسلامي على قواعده الصحيحة ، مضافاً إلى سرعة تقليدهم للأجانب ... فأى خطر ومصاب أشد من هذا المصاب الأليم الواقع بين ظهرانينا ونحن لا نحس به ولا نتألم منه !! ولا يخطر ببالنا كيف الخلاص منه !! كأننا طبعنا على الهوان والجود والضعف ! .

في أكثر المدارس حصص دينية . ولكنها مهمة وغير معتنى بها وعقيمة . لأنها لا تعلم شيئاً مما أردناه من تعليم التلامذة بما ينهيه أولاً ، بل هي تقتصر على بيان بعض عقائد الدين وأحكامه . وهذا وحده لا يفيد ما لم توجد معه الداعية القوية والروح الإسلامية العالية . فلكل هذا أرى أن يكون تعليم الدين لتلامذة المدارس موضع العناية ، وذلك أما بالسعي وراء أن يقوم به معلموا المدارس أنفسهم على الوجه المطلوب كما ينبغي وأن يكون عندهم من الواجبات الأولى ، وأما بانتقاء فرقة من نهاء العلماء الأزهريين لمباشرة هذا التعليم بالمدارس ومخابرة نظارة المعارف في هذا الشأن ، بحيث يعطى في كل مدرسة أسبوعياً درس أو درسان ويتم حمل الأزهر مصر وفاتها .

نشر العلم بين العامة

نشر العلم وتعليم الأمة من أول واجبات العلماء . فإن العالم سراج ، وإذا لم ينتفع بضوء السراج فلا فائدة من وجوده . وقد قالوا أن العالم لا يكون عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه . وقلنا فيما تقدم أن العالم ليس مسؤولاً عن نفسه فقط ، بل وعن عشيرته وأمته أيضاً . فمن الواجب عليه أن يعلم ويعظ ويبلغ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن من الأسف أننا اليوم لا نقوم بشيء من أمثال ذلك ، ودليل هذا إجمالا حال الأمم الإسلامية في الجهل والجمود والانحطاط والغباوة وعدم معرفة أسرار الدين ومزاياه وغاياته الحقيقية . ولا استدل تفصيلاً بأكثر من بيوت العلماء

أنفسهم . فأتنا لو بحشناها وجدناها منا المكمروبات الجهل وجرائم
الآوهام والخرافات والابتعاد عن معاني الدين الحقيقية . وكثيراً
ما تجرى فيها عادات ورسوم منكرة شرعاً ، ويسود فيها الجهل على
مرأى ومسمع من (الشيخ) بدون أن يخطر بباله أن يزيله ، ولئن
خطر بباله فقد لا يجد من وسائل الإقناع والإرشاد ما يساعده
على ذلك .. لأنه لا يعرف العلم إلا باللسان الفنى الصعب العقيم
الذى لا يناسب عقول أهل بيته .. ولئن ساعدته المقادير ونجح في شيء
من ذلك ، فهو خاصة الصلاة والصيام مثلاً ، دون سائر العادات
والاعتقادات النسائية القبيحة .

أن الفكرة السائدة على عقولنا أن العالم إنما هو الذى
يذهب كل يوم إلى خاصة الأزهر أو الجامع الأحمدى مثلاً ..
ليعطى درساً هناك بلغه العلوم الخاصة ! . وأنه ان كان الدرس فى
غير العلوم الشرعية ، كان ذلك منه عنوان التقدم وغزارة العلم ...
أما نحو الوعظ والإرشاد فهو مهمل بالمرّة ! .

وقد كانت نتيجة ذلك : أولاً — موت أكثر العلم الحى
النافع المقصود ، فالإرشاد والأخلاق الدينية والدعوة الإسلامية
مفقودة بالمرّة .

ثانياً — حصر الباقي من العلم فى جامعين أو ثلاثة أو أربعة
فى القطر كله ، فهو لا يعلم إلا فى مصر وطنطا واسكندرية ودسوق
ودمياط ، وهى البلاد التى بها جوامع خصصت لتعليم الدين .

وبديهى أن الناس جميعاً لا يمكنهم الارتجال إلى هذه الجوامع
ليتعلّموا فيها الدين .. خصوصاً وتعلم القدر اللازم منه يحتاج ،
على طريقة هذه المدارس ، إلى سنين عديدة . . لأن هذه الطريقة
تلزّمهم أن يتعلّموا النحو ويتقنوا اصطلاحات العلوم والكتب
وأساليبها الصعبة . وإذا كان الأمر كذلك ، مقروننا بأن
الذين يأتون هذه المدارس ، سواء أكانوا من الواصلين لدرجة
العالمية أم غير واصلين — لا تفرس فيهم ملكة نشر العلم بين
أقوامهم ، فكيف يمكن إذاً تعليم الأمة ؟ وما هو السبيل إلى ذلك ؟
أى يكون السبيل ترك الناس يهيمون في بيداء جهل الأمور الدينية !!
لكى يستعدوا بذلك لأخذ المبادئ التى ينشرها اليوم دعاة النصرانية !!
وهى مقرونة بشبه قد تؤثر على المتمكنين فى العلم !! أم لىكى يستعدوا
به لخلع ربة الدين ويتناسوا به تعاليمه وحبّه الموروث عن (الآباء
والأمهات) وبأخذوا بأطراف المدنية البهجة الزاحفة جيوشها
من أوربا !! فيكونوا مدنيين بلا دين حقيقى !!

لاشك أن هذا خطر كبير ، لا يزول إلا بنشر العلم وتعليم
الناس أمور دينهم . وذلك فيما أرى يكون بالأمور الآتية :
أولاً : إيجاد الداعية الشديدة للتعليم فى العلماء بصنوف المرغبات
الدينية والمادية والأدبية . ثانياً : تعليمهم طرق التأثير على قلوب
العامة وإفنائها ، واستعمال طرق التعليم المناسبة للناس ولعقولهم .
ثالثاً : إكثار مراكز العلم فى القطر . رابعاً : محاولة أن يوجد فى كل
قرية عالم يقوم بأمثال هذه الواجبات .. فىكون قاضى البلد الشرعى
والمهرل عليه فى جميع الشؤون الدينية . خامساً : تأليف كتب فى

الفقه والتوحيد والتفسير والأخلاق ، وجميع المباحث الدينية اللازمة ، بلهجة وأسلوب يناسب العوام ويسهل عليهم فهمه .. وأرى أن يكون هذا باللغة العربية القريبة من العامية أو بالعامية الصرفة . ولا يقول الناس إنى أريد إماتة العربية . كلا ، ولكن أريد إيجاد روح الدين وملكا ته وعلومه فى قلوب الناس .. فان وجدت أن اللغة العربية عقبة فى الطريق أهملتها مع على وتعليمى أنها هى الأولى . ولهذا المناسبة فانى أرى أيضاً أن يؤلف بالعامية كتاب يؤدى إلى تعلم العربية .

سادساً : أن يكثر العلماء من زيارة الريف والسياحة فيها لهذا الغرض . وألا يتكهوا بحال مشايخ الطرق فى أصل السياحة والانتشار فى البلاد . فان تلك طريقة دينية عالية ، أصلها أن تكون للعلماء . كما أن الأصل أن يكون العالم هو المرشد ، ولكن انعكس الأمر ، فصار المرشدون والعلماء فرقتين ثم انفرد المرشدون ، أو أهل الطريق ، بالسياحة وأخرجوها عن وضعها من نشر الدين الى أن تكون واسطة من وسائط الارتزاق .

وهنا أرائى مضطراً إلى ذكر ذلك الحال المخجل والأمر الشنيع الذى جرى رسمياً بين العلماء منذ سنتين أو ثلاث ، وهو أن العلماء حاولوا أن يكون لهم جميعاً امتياز السفر على قطارات السكة الحديد بنصف أجرة ، وكان هذا من قبل خاصاً بأصحاب كساوى التشريف ، فخابروا الحكومة فى ذلك بواسطة رؤسائهم وطلبوا أن يعاملوا معاملة القسس ، فأجيبوا ، ولكن على

شرط أن يكون السفر (لتعليم الأهلأى أمور دينهم) كما يفعل
القسس ، وان يستحضروا شهادات بذلك من مشيخة الأزهر . فكانوا
كلها سافروا لقضاء أوطارهم الخصوصية سافروا بتلك الشهادات !!
التي صارت قاصرة على مثل هذا السفر !! ولا أظن أنها استعملت
فيما وضعت من أجله على حقيقتها مرة واحدة !! لأن ذلك لا يخطر
على بال أحد من علمائنا اليوم !! وكم مئات من الشهادات صدرت كذباً
بهذا المعنى !! ثم هم ، في سبيل تبرير كذبهم ، أو سبيل فتوى يتأولونها
لتبرير عملهم ، ادعوا أن العالم منهم معرض إلى أن يسأله أحد الناس
في سفره عن حكم أو فتوى !! فما أجمدتك النفوس وما أشدها
بعداً عن الواجب !! كذب وعدم تأدية للواجب مع وجود
المقرعات الشديدة !! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ...
ولكن فضيلة الشيخ الحالى السيد على الببلاوى حين علم بذلك ،
قيل أنة أبطل هذه الشهادات . فجزاه الله خيراً .

البعثات العلمية

إن الخلل والفساد والانحطاط والجمود والجهل والتسك
بالأوهام الخ ، وإن عمت الأمم الإسلامية جميعها ، فلا شك أنها
في بعضها أقل منها في البعض الآخر ، وإن منها ما حاجته إلى الإصلاح
أشد من غيره . فهاهى مراکش مثلاً بلغت مبلغاً كبيراً فى الجهل
والانحطاط ، إلا أنها لازالت مستقلة يرجى لها الخير إذا هى
أصلحت أحوالها وفتحت فتحاً علمياً جديداً يبنى على إزالة الأوهام

والخرافات السائدة عند الأهالي هناك ، وإذاهي بينت لها حقائق الدين وأصوله وما يوافقه من أحوال المدنية الحاضرة وما لا يوافقه ، وإذاهي أرشدت إلى من هو المسلم الكامل وما هي الحالة التي ينبغي أن يكون عليها في العصر الحاضر ، وإذاهي لفتت أفكار رجالها إلى تدارك النقائص المادية والدينية والأدبية ، والنظر في المصالح العامة ، والشعور بالوحدة ، وترك الأحقاد والانقسامات ، والعمل بواجب الاتحاد والاخوة والحرية الدينية والمساواة الخ الخ .

ولا يمكن أن يقوم بهذا الواجب المهم ويؤثر التأثير المطلوب بالنسبة للعامة والخاصة هناك إلا حضرات العلماء ، إذا هم انتشروا بينهم وبثوا فيهم المبادئ الصحيحة ، وإذا هم قاموا بواجب النصيح والتعليم والوعظ والتنهيز والإرشاد إلى سائر الكمالات المادية والأدبية والدينية .

وكذلك حال جزيرة العرب اليوم . تلك الجزيرة صاحبة التاريخ الأعظم ووطن أولئك الرجال العظماء الذين نهضوا بالأمم وفتحوا لهم باب التقدم والترق واستعمال قوة العقل فيما خلقت لأجله ، والتي وصلت من النظام إلى حد كانت تقوم معه الظلمة من أطراف اليمن ، قاصدة مكة ، وليس معها حارس ولا تخاف على شيء . . . لقد أصبحت أحوالها الآن من أسوأ الأحوال التي تحزن القلوب وتستنزف الدموع وتوجب التفات المسلمين عموماً فضلاً عن كبار علمائهم إلى رفق هذا الفتق ومداركة هذا النقص وملافاة هذا العيب .

أى نعم .. إن حال جزيرة العرب اليوم هو النقص الذى لا يضاهاه
نقص والعيب الذى ليس بعده عيب . إذ كيف يجوز أن تكون
تلك الجزيرة التى منها أشرقت شمس العلوم والكمال على سائر
بقاع المسكونة ، ومنها ظهر الاسلام ، وعلى يد رجالها فتحت
الممالك وانتظمت الأقطار وبلغت الغاية فى العلم والمدنية — كيف
يجوز أن تكون من الهمجية والتوحش والانحطاط إلى ما هى
عليه الآن !! كيف يجوز أن تصل سلالة العرب أهل الشرف
الاعلى والكمالات الكبرى وأصحاب الفضل على المسلمين فى سائر
القرى والأمصار بل على العالم أجمع — إلى جاهلية وفساد وانحطاط ..
أكثر مما كانوا عليه قبل الاسلام !! كيف يجوز أن يكون
مهد الإسلام ومهبط الوحي ومظهر العلم مناخا للجهل ومسكناً
للتوحش !! كيف يجوز أن نترك إخواننا فى الدين ، وسكان الأرض
المقدسة على مثل هذا الحال السيئ . من الجهل المطبق وفساد الأخلاق
الخزى ، الذى جلب العار والشتار على الاسلام والمسلمين !! أليس
حق الإخاء وقانون الدين يوجب على العلماء أن يسعوا فى ترقية
تلك الشعوب المنتشرة فى جزيرة العرب ؟ وهى ذات الاستعداد
الفطرى العظيم ؟ ! نالته إن الجهاد والغزو العلمى والمصابرة على
مثل هذا العمل المهم هو أفضل عمل من أعمال الإصلاح الإسلامى
الإجتماعى وهو أفضل الآن حتى من جهاد الكافرين ، فقد أصبح
هذا الآن متعذراً وغير معمول به أبدا .

أيظن الناس أن حفظ النظام وتقديم العمران وضمان السلام
والأمن ، فى الحجاز ، يكون بقوة الجيوش ومزيد التنبيه الإدارى
فقط ؟ كلا ، ان هذه الطريقة اذا أفادت فانما إنما تفيد بجهد جليل
أو حرب شديد تسيل فيها الدماء . ولكن هناك ما يفيد هذه الفائدة

بغير حرب أو دماء ، وهو الفتح العلى والتربية الشعبية ونشر العلوم بين هذه القبائل ، على أسلوب حسن مناسب .

على أن الواجب اليوم أن لا نترك إلى حكامها الحاليين أمر الإصلاح فيها .. مادامت آثارهم فى ترقية شؤون رعاياهم هى ما نراه بأعيننا ويضج العالم أجمع من هوله ... فقد وصلوا فى الإهمال والتراخى إلى حد يوجب اليأس منهم . وعندى أن الواجب أن يقوم العلماء والمسلمون بأنفسهم ، ومن غير انتظار هؤلاء الحكام ، بواجب التربية ونشر العلم فى تلك الجزيرة العربية المقدسة ، فان قيامهم به دون حكامها الحاليين هو أساس الإصلاح .

وما يقال عن جزيرة العرب يقال أيضا عن أكثر الأمم الإسلامية ، خصوصا فى أفريقيا وبعض الممالك العثمانية ، فقد بلغوا من الجهل والانحطاط مبلغا لا يليق للعصور الأولى ، فما بالك بهذا العصر ، عصر العلوم والمعارف .

فن الواجب على العلماء الأزهريين أن ينتشروا بين هذه الأمم ، ليرقوها ويوقفوها على الخطط التى ينبغى أن يسلكها المسلمون فى هذا العصر الحاضر ، وليقوموا فيها بواجب التربية والتعليم ، ويرفعوها من هذه الوهدة التى سقطت فيها ، لى يؤهلوها لأن تمشى مع أمم هذا العصر ، لها مالها وعليها ما عليها ، لى لا تبقى ضمن الأمم القديمة التى أخنى عليها الدهر والتى ضربت عليها الذلة والمسكنة والاستعباد .

انى أرى أن من أهم الواجبات على أولى الأمر وأهل الإدارة الدينية ، أن يبعثوا البعث الدينية العلمية فى سائر الممالك والأقطار الإسلامية ، قيا ما بهذا الواجب الجليل ، وخدمة للأمة والملة ، فإن هذا أحق ما يتنافس فيه المتنافسون ويتسابق اليه المتسابقون .. وما يعقله إلا العالمون . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

الباب السادس

في التعليم الابتدائي

نعني بهذا التعليم تعليم صغار المسلمين وتربيتهم تربية صحيحة عالية تجعلهم من كبار المتقنين العقلاء الأتقياء العاملين لأمرى الدين والدنيا . ولا شك أن هذا من أهم المهمات التي ينبغي أن تكون موضع العناية والاهتمام ، لأنه أقوى ضمانات لتكوين أمة إسلامية حية عاملة ، تقف في مصاف الأمم العظمى وتستعمر هذا السكون على الوجه المطلوب ، وتعبد الله وتقدره وتسبحه وتمجده ، وتراعى أحكامه وحدوده على وفق ما هو مبين في الشريعة .

أن التعليم الابتدائي هو أسهل وسيلة وأبسطها وأقربها لتحقيق هذه الغاية العظمى وغيرها من المطالب العالية والمبادئ الشريفة التي قد يصعب الحصول عليها من غير هذه الوجهة مهما بذل في سبيل ذلك من النفوس والأموال . ذلك لأن الإنسان مفعور على محض القابلية .. فهو في جميع شؤون وأخلاقه وعاداته ودينه ولغته .. على حسب الظرف الذي يوجد فيه .. وعلى وفق المبادئ التي تلقى له أولاً أو يكسبها من طبيعة الاختلاط والمعاشرة على طريقة التقليد الذي يصير فيما بعد ملكات ثابتة .

وعرفت الأمم الغربية هذه الحقيقة ، فوجهوا عنايتهم لتربية أولادهم الصغار تربية كان من نتائجها هذه السيادة والرفعة التي تراهم

فيها اليوم ، وجعلوا القيام بهذا الواجب الجليل من أهم الأعمال التي ينبغي أن لا يقوم بها إلا كبار الرجال . وصار بهذا علم التربية لديهم من أجل العلوم وأسمائها .

وعلم دعاة النصرانية أيضاً هذه الحقيقة ، فلم يروا حيلة لإقناع المسلمين ، مثلاً ، بوجوب اعتناق المسيحية لإفتح المدارس باسم العلم . . . ليقبل عليها أولاد المسلمين . . . وهناك تعطى لهم بعض التعاليم التي تضعف فيهم الشعور الإسلامي الموروث — وتعدم بذلك لأن يكونوا مسيحيين (على ما يتصورون) .

أما نحن فقد أغفلنا بآراء هذا الواجب المهم والوسيلة الناجحة والمقصد الشريف ، ولم نعمل شيئاً لبث مبادئ الكمال الإسلامي بواسطة هذا التعليم الابتدائي في نفوس أبنائنا الصغار ، فكانت نتيجة ذلك نقصنا الشديد . . خصوصاً فيما يتعلق بأمر الدين .

وقد بلغ منا هذا التهاون إلى حد يعد معه علمائونا (وهم المسؤولون) أمر تعليم الأطفال من الأمور الحقةرة التي لا تليق بمقامهم — العالی !! — فاسلبوا مع باقي الأمة أولادهم إلى رجال جملة !! هم فقهاء المكاتب !! لا يصلحون أبداً للتعليم !! ولا يحسنون من أحوال هؤلاء الأطفال شيئاً !! بل ربما ساعدوهم على زيادة النقص والفساد !! .

(١) المكاتب

المكاتب هي دور التعليم الأولى على الحقيقة ، ولكنكم انجأها الحالى ليس فيها من معنى التعليم شيء !! بل ربما كان فيها مساعدة على الجهل !!

(١) حلت أخيراً المدارس الأولية وكذلك رياض الأطفال محل هذه المكاتب .

والفساد. إلا أنها مع ذلك تؤدي للدين خدمة مهمة، وهي إيجاد قوم يحفظون ألفاظ القرآن — وإن لم يعملوا به بل وإن لم يفقهوه — فهي بهذا في الحقيقة من اختصاصات الإدارة الدينية ومن ثم يجب على هذه الإدارة إصلاحها، ولا يجوز لها أبدا إبقاءها على ما كانت عليه من الفساد. ولكن من المحزن أن علماءنا وكبراءنا أهملوها حتى فسدت.. ثم هي أيضا قداغتصبت وأصبحت على وجه يكاد أن يكون مدنيا بحتاً.. فضاعت بذلك تلك الفرصة الثمينة لوضع أساس الدين في عقول الأطفال، وقرب الخطر من لب الدين، وصار الحال من باب تدارك النقص بما هو أشد نقصا منه.

لو تنبه العلماء من سالف الزمان إلى ما هو واجب عليهم بإزاء المكاتب، وعلموا أنها هي المدارس الدينية الأولى فقاموا بإصلاحها، لوجدوا خيرا وسيلة إلى ترقية الأمة وإبلاغها السكمال فيما يختص بأمري الدنيا والآخرة، ولكفوا الأمة والملة شر هذا الحادث الجديد والاعتصاب الهائل وهو استيلاء نظارة المعارف على المكاتب الأهلية بحجة إصلاحها. وإني لأخشى أن يتسبب عن هذا الاعتصاب أخطر حادث في الدين وهو عدم وجود من يحفظ القرآن إلا قليلا بعد خمسين سنة.

ولكن كيف كان يمكن هذا الإصلاح وعلمائنا الآن لم يعرفوا أن المكاتب من اختصاصاتهم! ولا هي من الأشياء التي يجب إصلاحها! بل كيف كان يمكن ذلك، وهم حتى الآن لم يحسوا بهذا الحادث

المدلهم والخطر المنتظر الذي يبناه ! ولم يتأوهوا منه ولم يحتجوا عليه ! .. كأنهم ليسوا حراس الدين وحفظته وحماته !!

جزى الله صاحب جريدة المؤيد خيراً ، حيث أحس بهذا الخل ، فقام محتجاً عليه في الجمعية العمومية ، طالباً إطالة ساعات حفظ القرآن في المسكاتب التابعة لنظارة المعارف . ولو سأل سائل أين كان العلماء ورؤساؤهم إذا ؟ .. خصوصاً ومنهم الأعضاء في الجمعية العمومية ومجالس شورى القوانين .. لا جيب كانوا في هذا الوقت يتنازعون فيما بينهم وينقسمون على أنفسهم ! . كانوا في هرج شديد وخصام مستمر ! .. على شيء يشغل عن المحافظة على القرآن !! .. ولا أدري متى يوفق الله يديننا ويرشدنا إلى معرفة الواجب وعدم إهماله ؟ !

لا ينكر عاقل أن المسكاتب كانت في نقص شديد وكان من الواجب إصلاحها . ولكني لا أقول أن إصلاحها الذي يوافق أصل تكونها ويلائم المصلحة الدينية يكون بمثل ما فعلت نظارة المعارف الآن . فانها كادت تحولها من ذلك المعنى الديني الجميل المفيد إلى غاية عمرانية مدنية صرفة .. وهي تنوير الطلبة تنويراً عاماً ، لكي يكونوا فيما بعد رجالاً أكفاء للعمل في الحياة ولترقية المجتمع المصري .

وتلك لا أنكر أنها غاية شريفة غاية الشرف ، ولكن يجب أن لا نهمل أن تكون هذه الغاية مبنية على الشعور الديني والقانون الإسلامي ومركبة على ذلك ، إذ المسلم ينبغي أن يعلم ويعمل

ويرتقى ويتنور مع علمه بأن ذلك من واجبات الدين — وهذا
المبدأ الذى تجرى عليه نظارة المعارف الآن من شأنه إimate
الشعور الدينى تدريجيا وجعل المبدأ العام مدنيا أكثر منه دينيا ..
وإن كان هناك الآن بعض أمور دينية لم تكن من قبل . هذا فضلا
عن أن الفقهاء مدرسى هذه المكاتب ، نظرا لجهلهم ، لا يقصرون
الأمر على الحد الذى تريده النظارة ، بل هم يتغالون فى إهمال
الأمور الدينية ويقصرون اهتمامهم على الحساب والخط
من هذا فاقى أرى أن تكون تلك المكاتب تابعة للإدارة
الدينية ، وأن تصلحها هذه الإدارة بأكثر مما تريده وزاره
المعارف من التنور العام والإلمام بالعلوم الضرورية .. لأن ذلك
يلائم المصلحة الدينية أيضا .. ولكن على شرط الإعتناء بحفظ
القرآن فى هذه الدور التعليمية الأولى ، وبشرط تقوية الشعور
الدينى وتنميته فيها .. وبيان الغاية من الدين ، وكذلك بيان الخرافات
والأوهام والعقائد الشائعة الباطلة ، وشرح أن الدين يحبذ
مقتضى السعادة فى الدنيا ، وأنه يحث على الاختراع والاكتشاف —
وبيان ما يوافق قانون الدين وما يخالفه من العادات والأحوال
التي عليها الناس الآن .. ونحو ذلك .

وأرى أن يتبع فى طريقة حفظ القرآن تفسير معانيه البسيطة ،
بوجه سهل يفهمه التلامذة .. ليسهل عليهم الحفظ أولا ، ولتترنن فيهم
ملسكة التعقل ثانيا ، واسكى يستفيدوا منه فى الآداب والعقائد
والأخلاق ، فالقرآن على الحقيقة أفضل ما ينمى الفطرة السليمة
ويعدل العقول .

وأرى كذلك أن ينشأ في الأزهر والجامع الأحمدى قسم خاص
لتعليم واجبات تلك الوظيفة وطريق إحسان القيام بها ، لئلا يكون
من بين العلماء ، أو من يقرب منهم على الأقل ، من يقوم بهذا
الواجب الأعلى الذى لا يمكن أن يقوم به كل عالم فى الحقيقة .
أرى أن يحترس فى انتقاء طلاب هذا القسم تمام الاحتراس . .
فإن أخلاقهم تسرى بالعدوى إلى التلاميذ . . فهم بذلك يمكن أن
يكونوا مصدر السعادة . . ولكن يمكن أيضا أن يكونوا مصدر الشقاء .
وأرجو أن لا يستغرب حضرات العلماء مقالى هذا ويسخروا
منه . . حيث أريد أن أجعلهم فقهاء مكاتب . . فإن احتقار أمر
المكاتب اليوم يجب أن لا يؤثر على مقامها الرفيع الحقيقى - وعلى
كل حال فاني أرجو التأمل فى هذا الموضوع الجليل .

هذا وإذا لم يمكن الآن جعل هذه المكاتب تابعة إلى الإدارة
الدينية ، فاني أرى وجوب السعى فى أن يجعل لتلك الإدارة حق
الإشراف على الأمور الدينية فى تلك المكاتب ، وإن يعطى فقهاء
تلك المكاتب من التعاليم الإسلامية ما يكون لازماً لتتقيد معارفهم
فى هذه الأمور ، وأن تعين الإدارة الدينية مفتشين خاصين
يراقبون سير التعليم الدينى فيها . . غير مفتشى نظارة المعارف .

الباب السابع

في الارشاد

الإرشاد من أهم ما يتوقف عليه ترقى الأمة وحسن نشأتها في سائر الشؤون الدينية والأدبية والمادية ، وهو العامل الأكبر للنهوض من هذا السقوط الذي وقعنا فيه ، والانتباه من هذه الغفلة التي انتابتنا . ولا يمكن أن يقوم به على أتم وجوهه غير العلماء . إلا أن هنا أمرين مهمين يجب التنبيه لهما .

الأول : أن أمر الإرشاد ليس بالأمر الهين ، فكثيرا ما سمعنا من جاهر بالحق فلم يسمع منه ، ومن نصح فلم يجلب نصحه إلا العناد والأعناد ثم لم يستفد هو إلا معاداة المنصوح . فلا بد حينئذ من معرفة الطرق اللائقة المقبولة التي تأتي بنتيجة حسنة ! فقد سمعنا من أكثر العلماء الاعتذار عن ترك الإرشاد بأنه لا يفيد . ولكن ما كان عدم فائدته إلا للجهل بطرقه ، إذ لا يكفي لإرشاد تارك الصلاة أن يقال له وصل ، أو وترك الصلاة حرام ، أو نحو ذلك .

الثاني : أن بعض الناس يظن أن موضوع الإرشاد مقصور على نحو الصلاة والصوم وترك الغيبة والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة . ومنهم من يظن أن موضوعه قاصر على التقدم في المدنية والعمران ومجارات الأمم الغربية في الاختراع والاكتشاف

وإحياء الصناعة والتقدم في شؤون هذه الحياة ، مع أن أمر الإرشاد أعم من ذلك بكثير ويجب أن يكون بحسب الدواعي والمقتضيات .. وهو كما يكون في الشؤون الدينية البهيمية ، يكون أيضا في الشؤون الأدبية والمادية ، وسائر ما يرتبط بمصالح الأمة في عاجلها وآجلها . ولا شك أن السكال في الأمر الأول ، وهو ما يتعلق بكيفية الإرشاد وطريقه ، يتبع سعة العقل وكال الأخلاق وحسن التفرس ، ويحتاج إلى لوازم كثيرة سيأتي بيانها . أما السكال في الأمر الثاني ، وهو ما يتعلق بموضوع الإرشاد ، فيتبع معرفة أسرار الدين ومقاصده ، وتطبيق ذلك على الواقع بعد معرفة مواقع الضعف وكامن الداء . . . وذلك شيء شاق لا يمكن التوصل إليه بسهولة . من هنا ترى طلاب الإصلاح والعاملين على الإرشاد في الأمة الإسلامية ، محتلفي المشارب متباعدي المرامي . ومع ذلك فقد يكون السكال فوق ما يطلبون ويتصورون ، وقد يكون كل واحد منهم قد أدركه من وجهه دون آخر . وكثيراً ما أدى اختلافهم هذا إلى ضد ما يقصدون من حيث لا يقصدون . ومن هنا كان التغاضي عن الباطل أحياناً خيراً وسيلة لنصرة الحق . وبالجمل فلهذا المعنى من أسمى المعاني وأعلاها وأدقها وأخفها ، ومن أجل ما يعتنى ببيانها وتحقيقه وتحديدده . ولا أريد الآن الإفاضة في تفصيله ، فذلك أن يكن ، ففي كتاب آخر ، وإنما أريد هنا التنبيه إلى أنه أمر واجب يلزم الاهتمام به والتوجه نحوه . ومتى توجهت إليه الأفكار فلا بد أن يبلغ منتهاه من السكال . وقد يأتي بعض الناس بما لا يخطر لمثلي على بال .

وقبل النهاية اقترح جعل الإرشاد علماً مستقلاً مدوناً ، تبين فيه موضوعاته وطرقه وكيفياته ولوازمه الخ . . . والله هو الهادي إلى ما فيه الخير والرشاد .

طرق الإرشاد ولوازمه

علم بما تقدم وجوب الإرشاد على العلماء ، ونشر العلم بين الناس ، وحشهم على العمل به ، وإخراجهم من ظلمات الجهالة إلى نور العلم ، وتحريرهم من رق الأوهام .

والآن نريد أن نبين شيئاً من طرق الإرشاد ولوازمه فنقول أنه لا يمكن في القيام بواجب الإرشاد على الوجه المفيد ، الاقتصار على معرفة أحكام الفقه بل ولا على هذه العلوم المتداولة الآن جميعها .. ألا ترى أن أكثر ما هو محرم وكذلك أكثر ما هو واجب فعله ، معروف جيداً لدى الناس .. ومع ذلك فهم يخالفونه !! الحقيقة أن العلم بمسائل مثل النحو والفقه والتوحيد شيء ، وسياسة الإرشاد وعلومه شيء آخر ، وهذا لا يكون إلا بكل العقل وحسن الفطنة ، والحلم ، وسرعة الإدراك ، ووجود التأثير ، والجاذبية ، واستعمال كل ما يمكن أن يصل إليه الفسك من الأساليب والحيل الشريفة التي تؤدي إلى الغرض المقصود .

صاحب سياسة الإرشاد هو من يتمكن بسبب استعمال فكره في استنتاج وسائل الإصلاح واختراع أسباب الهداية من أن يجعل له سلطاناً على القلوب وتأثيراً في النفوس . . . حتى تكاد أن

تكون هذه القلوب والنفوس في رقة يوجهها كيف شاء وأين شاء ومتى شاء .

صاحب سياسة الإرشاد هو الذي يكون مثله في الوصول إلى غاية النافعة المفيدة كمثّل مخزعي والوابور والتلغراف والفونوغراف والتليفون ، حيث وصلوا ، باستعمال عقولهم في التحايل والتفنن ، إلى هذه الغايات التي قدمت العالم ونفعته نفعاً لا يقدر ، مع أنها كانت قبيل اختراعها في حيز المستحيل ولا يصدق أحد بإمكانها فضلاً عن حصولها .

صاحب سياسة الإرشاد هو الذي يقدر ، بقوة تأثيره ، على تبديل العقائد (الفاسدة) ، وقلب العادات (القبيحة) ، وجعل المحبوب مكروهاً ، والمكروه محبوباً . وقد لا يحتاج في كل هذا إلى القول الصريح بأن هذا حسن وهذا قبيح ، مما قد يعرقل الوصول لغرضه في بعض الأحيان .. بل تكفيه في ذلك الإشارة والتلويح بكفيه تدلي بطبيعتها إلى هذه النتائج وتسوق العقول إليها .

صاحب سياسة الإرشاد هو الذي يتنازل من سماء علوه إلى مخاطبة سائر طبقات الشعب ، شريفها ووضيعها ، ومشاركتهم فياهم فيه .. بل واستحسانه مؤقتاً وان كان في ذاته قبيحاً . فبينما تجده مع أكبر كبير .. يتحادث ويتسامر معه ، وينتقل من موضوع إلى موضوع ومن أسلوب إلى أسلوب ، إذا به أيضاً مخاطباً لأحقر حقير .. يشاركه في حاله ، ويساعده على عمله ، ويخاطبه بالخطاب المألوف عنده وفي الموضوع المشتبه لديه . وغايته من كل ذلك

واحدة ، هي التوصل لغرس شجرة الهداية إلى السعادة ، وتأجيج نار الشوق إلى الكمال الإسلامى فى قلب مجالسه . وكل أفعال المرشد وأقواله ، إنما يسوقها على وفق مقتضيات الأحوال ودواعى الظروف ، ليتوصل بها إلى مقصده الذى يدعو إليه .

صاحب سياسة الإرشاد هو من لا تؤثر عليه العادات ، ولا من يركبه غرور بفكره أو يبالغ فى الثقة بنفسه .. لا هو من المتهورين .. ولا هو من أصحاب الجود .

صاحب سياسة الإرشاد هو من يتدبر العواقب والمبادئ والغايات ، ويتقن التطبيق وإدخال الجزئيات تحت الكليات ، ويرجع ما ينبغى ترجيحه من جهة المصلحة والمفسدة فى الشيء الواحد ، فقد يكون وراء الشيء الظاهر الفساد مصالح جمعة تسوغه ، أو تكون المفاسد التى تنشأ عن أبطاله أكثر منه .

والشئ بظاهره .. فكثيراً ما يبدو أنه من المصالح والأمر المطالبة ، ولكن يكون وراءه أو فى حمل الناس عليه مفسد لا تحصى . وكثيراً ما يكون ظاهر الأمر إدخال هذا الجزئى تحت القاعدة المبيحة ، ولكن عند التأمل يوجد من حاله أو آثاره أو ما يترتب عليه ما يدخله تحت القاعدة المحرمة ، والعكس ، إذ قواعد الشرع المختلفة تتوارد على الشئ الواحد باعتبارات شتى ، وقد يندر وجود ما لا تعتريه الأحكام الخمسة .

فعمل المرشد البصير أن يدقق النظر فى التطبيق والترجيح قبل أن يشير بفعل أو ترك ، وإلى هذا المعنى كان يرجع اسم الفقه فى صدر الاسلام .

فاذا رأى المرشد مثلاً رجلاً من موظفي الحكومة يزيل لحيته
ثم أراد أن ينهيه عن ذلك لأنه مذموم شرعاً ، فقد ينعكس الأمر
عليه إذا هو بدأ أرشاده بأن قواعد الدين تدم حلق اللحية وإذا
هو أمره بحلقها نفر الرجل منه نفوراً تاماً ووجدت عنده وحشة
كلية من قواعد الدين وأحكامه وتمثلت عنده هذه الأحكام
بهيمة الشيء الثقيل والتكليف الشاق الذي لا يناسب الأذواق ،
وبذلك يضيع الرجل من يد المرشد ، ويضيع معه ما ربما كان
ينتظر منه من الخير . . فمن يدري . . ربما كانت استقامته . .
لو استقام ، . . كأسلام عمر في العود على الدين بالعز والشرف . .
وفي التسبب في استقامة الكثيرين . . وتأيد الدين الخ . . .

فهذا المرشد الجاهل بأصول الإرشاد لو أنه بغاضى في بادىء
الأمر عن حلق لحيته هذا الرجل وقال له ما بهذا من بأس على
شرط أن تعرف ربك الذي أنعم عليك بنعمة الوجود ولو شاء
لأعدمك ، وبنعمة العقل ولو شاء لجعلك مخبولا ، وبهذا الرزق
ولو شاء لجعلك كأفقر المسلمين . ولو طلب المرشد من الرجل
أن يحب الله فان النفس ميالة إلى حب من أحسن إليها
وأن يعمل ما طلبه الله منه وهو لم يطلب منه إلا ما فيه
مصلحة له وإن خفيت عليه ، وأن لا يشرب الخمر ففيه من
المضار كذا وكذا أن الحكيم فلان (والمسيو كذا) قال في ذمه كيت
وكيت وأن الاكتشاف الأخير بين أنه يورث داء كذا وكذا الخ . . .

لو فعل المرشد مع الرجل هكذا لأطاعه الرجل واستأنس له
أنصت إليه، ثم اذا هو استمر معه على هذا المنوال لاقى وقت يقبل
فيه هذا الرجل بكل ارتياح ذلك الفعل الذي لو أمره المرشد بفعله
أولاً لترك الشرع وأهله بالمرّة ولا استمر على أعراضه، بل زاد فيه.
وبالجملة فإن الارشاد له طرق دقيقة ولوازم كثيرة ولا يسكنى
فيه مجرد العلم فكثيراً ما يعرف الانسان الحق ولكنه لا يدري
كيف يحمل الناس عليه . بل كثيراً ما يعرف الحق في أمر ويريد أن
يحمل الناس عليه فيأقّى عمله من المفاسد والمضار ما يفوق ترك
ذلك الحق بمراتب. ومع ذلك فقد لا يتمكن أيضاً من اقناع الناس
بوجوب التمسك بهذا الحق .

ومن أهم اللوازم الضرورية للارشاد حسن البصيرة في عاقبة
الأمر، واتقان التطبيق، والترجيح (على مامر)، والابتداء بالأهم
والأسهل على النفوس، وعدم مفاجأة من ليس على مذهبه بنقط
الخلاف.. فان رأى مثلاً شيعياً أو معتزلاً لا يصلى، فليتجنب إليه
ليقوى معنى الرابطة الأصلية بينهما بقطع النظر عن نفي الخلاف،
وليرشده أولاً إلى وجوب الصلاة. لا إلى أن أبا بكر أفضل من علي..
أو أن الأفعال مخلوقة لله لا للعبد.. فان الكلام في الثاني لا يفيد إلا
التنافر.. دون الأول.. ومع الابتداء بهذا الأول فقد يسهل الكلام
في الثاني ومن لوازم الارشاد عدم المجاهرة بالمقصد دفعة واحدة، بل
قد يحتاج المرشد إلى الأغضاء في بادىء الأمر عن كثير من الأمور
المخالفة، بل حتى إلى إظهار إستحسان شيء منها على وجه مناسب.

ومنها حسن التفرس، وعدم الغلظة وعدم العناد، ومخاطبة كل إنسان
بمثل المعهود لديه، وبالأسلوب الذي يكون مؤثراً عنده. ومنها الحلم
والأناة والتواد والألفة، والألمام بكثير من وقائع التاريخ، وإجادة
التمثيل والتشبيه. ومنها التزني بالزى الحسن، والجرأة وعدم الانفة،
وعدم الاستحياء من الأمر الذي لم يعتده ولكنه يرى أنه سبيل إلى
الخير. ومنها الاحاطة بأسرار الدين ومقاصده في الأحكام، وتقريب
المقول من المعقول، وتجنب الإملال من أى موضوع ما والتشويق
دائماً إلى ما عنده بعدم الاندفاع في إبدائه دفعة واحدة. ومنها معرفة
تطبيق الآيات والأحاديث على وقائع الظروف والأحوال، والصبر
والثبات والتحمل، والبشر التام ومدح المخاطب والثناء عليه،
وملاطفة الصغار ومسايرة الكبار الخ الخ الخ .. والله هو الهادي
إلى سبيل الإرشاد.

مخالطة الناس

إذا كان العالم مسئولاً عن غيره وعليه القيام بواجب الإرشاد
والتعليم للناس فهذا بالطبع لا يتم إلا بمخالطتهم على اختلاف
طبقاتهم، خصوصاً والمخالطة سبب الميل والأنس الموجب لقبول
ما يلقى من الإرشاد النافع.

ويعتبر الاختلاط بالناس من أعظم الأسباب لانتشار العلم
والفضيلة والاستقامة والكمال. فالعالم إذا خالط الناس فقد
تسعه الصدف بمعرفة من يكون خير عضد له فيما هو بصدد من

الارشاد. فكثيراً ما يوجد في الناس أقوام متحدون في المبادئ والمشارب ، راغبون في الكمال والفضيلة ، ولكنهم متفرقون لا يعرف بعضهم بعضاً ، موجودون بين أقوام على غير مبادئهم ، وكل منهم يبحث عن مثله فلا يجده فالتخالطة أعظم وسيلة لحصول كل منهم على ضالته ووصوله إلى بغيته والتقائه بمن يطلبه ولا يجده ، — وقد يكون في التقائهما ما لا يحصى من المنافع والمصالح التي تعود على المجتمع الإنساني بالخير والكمال .

هذا عن الفوائد العامة لمخالطة العالم للناس عامة ، أما عن اختلاطه بالطبقة العالية ففيه إكتساب نفوذ وحسن تأثير لا يستغنى عنه مريد الإصلاح. فالحق اليوم هو الشيء الذي يصدر عن كبير وإن كان في ذاته فاسداً . ولست أذهب مذهب من لا يحبون الاختلاط بالحكام وأهل الطبقة العالية ، ولا من يذمون مصاحبة السلطان . ألا أنى أقرر أنه لا بد أن يكون بقصد إرشادهم ، فإن السعى في هداية أولئك من أجل الأعمال وأفيدها ، إذ الناس على دين كبرائهم وملوكهم ، ولا يعلم إلا الله مقدار ما ينجم عن مخالطتهم بهذا القصد من الفوائد الكبرى ، سواء إهتدوا وأثر فيهم الإرشاد أم لا ، فإن تلك المخالطة في ذاتها تفيد في إرشاد غيرهم . على أنه وإن لزم أن تكون مخالطتهم بهذا المقصد الإرشادي فليس معنى ذلك مفاجأهم بما يكرهون ، بل يجب إيجاد الفرص والمناسبات القولية والفعلية ، واستعمال سائر ضروب السياسة في سبيل إقناعهم .. برفق ولين .

وكما أرى مخالطة الكبراء فاقى احتّم مخالطة الضعفاء والطبقات
السافلة من الناس والتعجب إليهم ، ومشاركتهم في أحوالهم ،
فأنهم جمهور الأمة ، وهم أقرب للاعتقال من غيرهم وخير أعمال
البر ما ترفع به السافل إلى مرتبة العلو ، إذ هذا هو مقتضى العقل
وسنن التكوين .

أما عزلة العالم وعدم مخالطته الناس والاكتفاء بالاستقامة
الشخصية والعكوف على ضروب من العبادات كالصلاة والتسبيح
وزيارة الأولياء ، فصاحبها في الحقيقة لا يسمى عالماً .. بل زاهداً ..
أولى به أن يذهب إلى شعاب الجبال ليعبد الله .. لا أن
يتصدى لمقام العالمية ويعد نفسه من العلماء .. فان لكل حال رجالاً .
إلا ترى أن الأعمى لا ينبغي أن يكون قاضياً ؟ ! وإن كان في
ذاته كاملاً ! وأن الآخرس أو ضعيف الصوت لا ينبغي أن
يكون خطيباً ؟ ! وإن كان من خير الأتقياء !

على أن هذا الحال ، حال العزلة وترك الاختلاط ، وإن لم يناسب
العلماء ولم يحجز أن يكون منهم من يتصف به ، فهو أخف ضرراً وأقل
بؤساً وسوءاً مما يفعله بعض العلماء اليوم من التزلف والتلق والتقرب
من بعض الموظفين ومن أصحاب النفوذ والجاه ، واحترامهم
والتواضع إليهم بكيفية يمجها الذوق السليم .. يفعلون ذلك لا
لقصد التمكن من الإرشاد ، بل حباً في الجاه والشهرة وقضاء بعض
المصالح الدنيوية . ومن العجب أنهم مع ذلك يأنفون ويستكبرون
على سائر الناس من أمثالهم ومن هم دونهم ، ويتشاحنون بأنوفهم ..
كأنهم ظنوا أن لين الجانب والمعاملة بالحسنى مع غير الكبراء
لا تليق بهم ! ... وهم آلهة النوع الانساني ! !

وللبئس القوم المتزلفون المتعالون وبئس حالهم .. فان أمثال هؤلاء لا قيمة لهم في الوجود .. وإن كانوا يعدون عند الناس من كبراء العلماء .. فأنهم في الحقيقة لا يعرفون قيمة العالمية .. بل هي علفت في أعناقهم كما يعلق الدر في جيد من لا يصلح له .

ولعدم معرفة هؤلاء لقيمة العالمية الحقيقية، تراهم ، يتسابقون إلى معرفه الذوات والخضوع لهم، لأحراز الشرف والجاه بحسب زعمهم .. لأنهم يرونهم أعظم منهم بمراحل !! .. وتراهم في نفس الوقت يحقرون أبناء طائفتهم من العلماء !! لظنهم أنهم صاروا أكبر منهم !! .. بسبب الانتماء إلى الأكبر ومعرفة الذوات !!

واقبح ما يكون من كل ذلك شغل أمثال هؤلاء لبعض الوظائف، فهناك كثير من ساداتنا العلماء الموظفين ، حتى الشاغلين منهم البراكز السامية، من إذا دخل عليه بعض العلماء أو أهل العلم نظره إليه بعين الاحتمار والتكبر .. كأنه من عبيده أو عبيد أبيه .. بل كأنه المنعم عليه بنعمة الوجود .. وإن هو أعطاه شيئاً من علامات الاحترام والتحية المعتادة فلا يكون ذلك إلا مع مزيد التكلف وشديد الاستئصال .. فإذا ما جاءه زائر من غير طائفة العلماء قابله كما يقابل الصغير الكبير !! خصوصاً إن كان (من الأغنياء أو لابی الطرايش ..) فانه حينئذ يعطيه من الاحترام والإقبال ما يخرج عن حد الاعتدال !! .. وما قد يشمئز منه الزائرون أنفسهم !! ..

فما أقبح وما أسوأ هذا الحال !!!

أن أكثر العلماء اليوم لا يقبلون مخالطة الطبقات المنحطة، ظناً منهم أن هذا يشينهم أو يحط من قدرهم، وهو ظن فاسد مضر مؤخر،

فإن بمثل هذا التنازل والتواضع والاختلاط ينبغي أن يكون التفاضل بين العلماء ... وليس بالأبهة والكبرياء والتعالى .. وإلا فمن الذي يتواضع ويتنازل أن لم يفعل العلماء ذلك ؟! ومن الذي يرشد تلك الطبقات ويقدمها ويرفعها إذا لم يقبل العلماء مخالطتها ؟! هل كتب عليها الذلة والمسكنة والجهالة والانحطاط إلى الأبد ؟! وهل وجد العالم لأجل أن يتعالى ويتعالى في علوه وكبره وإعجابه بعلمه وظنه أنه فوق الناس وأعلى من أن يخاطبهم ؟! ... أم لأجل أن يتواضع وينفع ويرشد الناس ويأخذ بأيدي الضعفاء ؟! ... صلى الله وسلم على من كانت الجارية تأخذ بيده، فتنتقل حيث شاءت من جهات المدينة ... وما العلماء إلا ورثة الأنبياء .

تالله لو تنازل العلماء وتركوا الفخفخة والكبرياء ، وخالطوا ضعاف الناس ، لأمكنهم أن يصلحوا من الأحوال ويرقوا الشؤون ويكتسبوا المحمدة والثواب الأعلى والرفعة الحقيقية . بهذا يكون الفخر .. هذا هو عمل الرجال .. هذا هو الذي ينبغي أن يكون موضوع التفاضل بين العلماء .. هذا هو داعي الاحترام والرفعة ، والدال على المروءة والكمال . ولا أدري متى يعلم ساداتنا العلماء ، وخصوصاً كبرائهم أن الكمال لا يأتى بهم لا يكون بالتعالى والتكبر وتصدير اليد للتقبيل !!؟ فإن ذلك عمل أهل الطيش من الحكام !!! فكأن العالم من حيث هو عالم في التواضع ، واللين ، وخفض الجناح ، واحترام الضعفاء والفقراء والإقبال عليهم والبشاشة في وجوههم ، والاخذ بأيديهم في الاستكمال والترقي المطلوب لكل إنسان بالفطرة .

وبالجملة فان مخالطة سائر الطبقات واجبة على العلماء . ومخالطة كل طبقة منها شروط وآداب كثيرة لا بد من رعايتها ، وإلا أضرت المخالطة . فمثلا مخالطة الكبراء لا بد أن تكون مع العزة والمحافظة على الحيشية العلنية ، ولكن على شكل مقبول لا يؤدي إلى الاستئثار ، ولا يبعد عن معنى اللطف والرقّة والتواضع والإيناس الخ الخ الخ والله الموفق للصواب .

مجالس الوعظ

كان للوعظ العناية الكبرى والتأثير المهم في القرون الماضية ، لأنه من أهم الأمور التي يتوصل بها إلى نفخ روح الحياة في الأمة ، ولا أرى زمنا أحوج إلى الوعظ من زمننا هذا ، لفساد الأخلاق فيه وضعف الإحساس .

ولكن من الأسف أننا أهملنا هذا الواجب الآن بل واحتقرناه . حتى كأنه ليس مما يليق بالعلماء . فلا نجد الآن أحدا منهم يجلس للوعظ والتذكير في مسجد جامع . . ليعظ الناس ويرشدهم إلى أمر دينهم . . مع أن الناس في أشد الحاجة إلى ذلك . . وأشدّهم احتياجا الطلبة أنفسهم .

حبذا لو جلس أحد كبار علمائنا مجلس وعظ في الجامع الأزهر ليعظ طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم .
على أن العلماء وإن احتقروا الوعظ بسبب تكبرهم العاقل

فلا أبالي أن أقول أنهم لا يحسنونه ، وأن أكثرهم لا يمكنه
أن يؤدي هذه الوظيفة كما ينبغي ، خصوصاً والوعظ ينقسم إلى
أقسام شتى: فوعظ طلاب العلم غير وعظ العوام ، ووعظ هؤلاء
غير وعظ المتنورين من تلامذة المدارس . فمن هذا أرى وجوب
الاعتناء بهذا الموضوع المهم ، وأن يتأهل العلماء للقيام بهذه الوظيفة
السامية . واقترح أن تعوض قراءة سورة الكهف في المساجد الجامعة
بمجلس وعظ من أحد أفاضل العلماء ، لأن هذا الوقت الذي
يجتمع فيه الناس مع صفاء الفكر والانقطاع عن الشواغل
الأخرى والمسكث لا تنتظار الصلاة خير فرصة تفتنم للقيام بالوعظ
والتأثير على الناس وتنبههم ، فالخطبة موضوعة في الأصل لأجل
أن تفيد ما نريد أن تفيده مجالس الوعظ ، ولما كانت الخطبة على
حالتها اليوم غير مؤثرة بل غير مفهومة ، وكذلك الحال مع
قراءة القرآن قبل صلاة الجمعة . فأتمناه هذا الوقت للوعظ بعد
تدارك هذا الخلل .

الخطبة

الخطبة من أجل الأمور وأهم الأسباب لتقويم العقول وتعديل
الأخلاق وانتهاج مناهج التقدم والفلاح وهي على الحقيقة خطاب
إرشاد يكون بصوت عال على مكان مرتفع (المنبر) ليسمع
جميع الناس ، فمن اللازم فيها قوة التأثير من الخطيب وفهم الناس

لمقاله وكونه من أهل النفوذ والمكانة والاستقامة حتى تفيد
وتسكون لها ثمرة وتطابق أصل الوضع .

ولكن مما يوقع في الأسف أن الخطبة خرجت عندنا عن
هذا المعنى المقصود إلى أن صارت من الأمور التعبدية والرسوم
الدينية التي لا يقصد من الإتيان بها إلا توفية المطلوب بحسب
الصورة ، فليس هناك تعويل إلا على الإتيان بها محاكاة لما كان في
صدر الاسلام .. كلام بليغ مسجع غريب المفردات لا يفهمه الخطيب
فضلا عن غيره . بل كأن أكثر الخطباء لا يظن أن الخطبة خطاب
(وان كان فيها أيها الناس) .. لذلك هم يلقونها القاء التلاوة بنغم
وترنم خاص ، كأنها الآية التي تقرأ عقب الفاتحة في الصلاة . وهذا
لعمري خروج عن الوضع وابتعاد عن المقصد الذي وضعت من
أجله الخطبة من وعظ الناس وإرشادهم وتعليمهم بطرق مؤثرة .
فإن ذلك يقضى أن تكون الخطبة بالأسلوب والألفاظ المفهومة .
وهذا الأسلوب المستعمل الآن كان يفهم ويؤثر في العصور السابقة
حين رواج العربية الفصحى بدلا عنها العالية . ولكنه الآن غير
مؤثر ولا مفهوم عند أكثر الناس . فمن العبث شدة التمسك . به ومن
السفه أن يخاطب أقوام بما لا يفهمون .

الخطبة كانت في سالف العصور من الأمور الرفيعة والوظائف
العالية التي لا يقوم بها إلا الخلفاء ونوابهم . وهي الآن يقوم بها
كثير من جهلة الناس وأهل الأخلاق السيئة منهم . وهذا نقص

عظيم . فإن الخطبة من العطاء توجد التأثير المطلوب ، بخلافها
من غيرهم .

الخطبة هي الدرس العام الأسبوعي الذي تتلقى فيه الأمة
جوامع الكلم المعدلة للعقول والمصلحة للنفوس والهادية إلى الصراط
المستقيم ، والمبينة للحسن والقبيح من الأشياء ، والصحيح والفساد
من الأخلاق . وهي التي تستنهض الهمم للعمل بما فيه خير
الدنيا والآخرة .

الخطبة هي الأمر العام الذي إليه المرجع في الشؤون الإسلامية
التي تنفع الأمة وترقيها وتبلغها أوج الكمال .

ولا شك أنها بهذا وذاك لا يلغى أن تقتصر على ضرب
معين ولا على موضوع خاص . بل يجب أن تكون على وفق
ما يقتضيه حال السامعين وما هم في حاجة إليه . وذلك يختلف
 باختلاف الناس والأزمنة والأمكنة والأحوال . فإن أنواع التقصير
مختلفة وضروب المنافع متفاوتة ، وقد يوجد من كل أقوام
ما لا يكون عند آخرين .

ولكن الخطباء اليوم قصروها على مواضيع خاصة نحن في أشد
الحاجة إلى غيرها ، بل قد لا تفيدنا أصلاً . فثلاً يجعلون خطب
المحرم في وعظ الحجاج ، فتراهم يخاطبون الحجاج وقد لا يكون من
البلد حاج أصلاً . بل قد يتوسعون ويذكرون المعاني السخيفة . فقد
سمعت خطيباً يخطب في جامع كبير مشهور وجل خطبته يدور

على أن شين شعبان شين الشكر وعينه عين العناية وباءه باء البر،
إلى غير ذلك من الأمور التي تشتمز منها النفوس .

هذا فضلا عن أن الخطيب قد لا يفهم ما يقول . وقد يقع بين
يديه في كل جمعة من المنكرات ما لا يجوز عنه الأغضاء ويجب أن
يكون من أول ما ينبه عليه في الخطبة .

وذلك بلا شك أعظم برهان على جمود الأمة وتقهقرها وانحطاطها .
وأى برهان يكون على هذا أعظم من التسك بالقشور
ونبذ اللب وترك الأمور والمعاني الحية والخطب المؤثرة المنهضة،
ثم العكوف على صور تحاكيها في بعض الهيئة والوضع، وتخالفها
في الموضوع والفائدة والتأثير .

وأسفاه . أين هم ثم أين هم أولئك الخطباء الذين كانوا
إذا صعدوا المنبر خطبوا عن البديهة ما يجعل الرجال تجرد بأرواحهم
وآموالهم، حتى أن الكلمة الواحدة منهم كانت تفعل ما لا تفعله القناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة ، وينال بها ما لا ينال
بالقهر والضرب والسيوف .

أين هم ثم أين هم أولئك الذين رقوا المدارك وارشدوا إلى
أوجه المصالح، وكانوا كلما صعدوا المنبر صعدوا بأبهم إلى أوج
المعالي وسماء الكمال .

تالله لقد ذهبوا وذهبت آثارهم ، وخلف من بعدهم خلف

وضموا وظائف الملوك في أيدي الصعايليك، وسلبوا زمام الخطبة إلى من هم في أشد الحاجة إلى المعارف البسيطة، وضيعوا تلك الفرصة الثمينة والتشريع العالى الذى شرع لإرشاد الأمة وهديتها للصراف المستقيم، واتخذوا الخطبة مأخذاً لأمور المنعممة لاحتفال ركعتي الجمعة مع أنها من أهم المقصود بالذات . ما هذا الذهول عن أسرار التشريع والخروج عن مقاصد الشريعة ١١.

إنى لا أكاد أن أقف خطيباً يوم الجمعة على المنبر في مسجد جامع أخطب باللغة القريبة من العامية حاثاً مستنهماً مشوقاً مرغبا مخوفاً مبيناً وجوه النقص وكيف يمكن تداركها ، معرضاً عن الكلمات اللغوية والاستعارات الممكنة والتخيلية والسجعات الرباعية والخامسة ليعلم الناس كيف تكون الخطبة ، وليعلموا أنها كالإنسان تموت ، وتحى وتسعد وتشقى ، وأن كان أكثر الناس عن هذا غافلين .

الخطبة يا قوم لا يلزم بل لا ينبغي أن تكون محفوظة من قبل ، ولا أن تكون من باب الاستعارة والتشيل . الخطبة يا قوم لا بد أن تكون مصحوبة بحال عال وغيره شديدة وداعية كبرى من نفس الخطيب ، فان كل كلمة عليها حلة من القلب الذى خرجت منه . الخطبة لا بد أن تكون فى الموضوع المحتاج اليه ، وبالعبارة المفهومة المؤثرة .

الخطبة لا يلزم قصرها على يوم الجمعة ، بل ينبغي أن تكون كلها دعت الحاجة .

فلهذا كله أرى أن من أشد الواجبات وجوباً اعتناء الإدارة الدينية
بأمر الخطبة والخطباء ، وبتعليم العلماء والطلاب وتمارينهم على هذا
الامر المهم العالى ، ولو بتعليم خاص ، وأن يعطى امتياز لمن يمكنه أن
يخطب ارتجالاً بالعربية ، ثم ارتجالاً بغيرها ، وأن تنشأ خطب كثيرة
بلهجة مؤثرة وعبارة مفهومة فى الموضوعات السكثيرة التى تحتاج إليها
الامة ، وأن يكون منها ما يخص المدن ، وما يناسب الريف ، وأن يعنى
بتشريف الخطبة وتعيين الخطباء من أفاضل العلماء شيئاً فشيئاً ،
حتى يستدير الزمان ويرجع الحال كما كان . والله ولى التيسير .

الباب الثامن

في طريق تنفيذ الإصلاح

ليس هناك أصعب على النفوس من الانتقال عن العادات الموروثة ، ولا أشق عليها في مبدئها من الخضوع للدستور والنظام . ولا يشك الناظر في حال علمائنا وطلابنا أنهم راضون لأحكام العادة متشبعون بمعنى الحرية الشخصية ، يبغضون أن يقيدوها بأحوال لم يتعودوها ، وأن كان فيها بحسب الواقع كمال النجاح . ولهذا نجد قوانين المدارس الدينية في أغلب موادها قوانين صورية من سابق الأزمان والعصور ، فقد كان للرحوم الشيخ المهدي ثم الشيخ الانبائي قوانين مسنونة واسكن غير معمول بأكثرها ، وها هو القانون الحالي الذي وضعه مجلس الإدارة لا ينكر أحد أن كثيراً من مواده لا يعمل به ، وإن علماءنا حتى الكبراء منهم لم يبد منهم للآن مراعاة لمواعيد الدراسة والمساحة بالدقة التي حددها القانون ، كما أن عهد تلك القيامة التي أقاموها على الإدارة حين علموا أنها قررت بعض وجوه الإصلاح ليس بعيد .

إذا فنقل العلماء والطلاب وجميع شؤون المدارس الدينية من الحال الراهن إلى ما هو أرق منه ليس بالأمر السهل ، خصوصاً والعلماء من شأنهم الثقة والمدافعة . وإذا كان تكميل مطلق ناقص من الأمور الصعبة ، فكيف بمن يعتقد في نفسه الكمال .

وإني أرى أن من أفضل طرق تنفيذ الإصلاح التي يجب أن تستعمل غالباً مع العلماء هي طريق اللين والاقناع والترغيب ، لا طريق الشدة والترهيب ، لأن الثانية تفضي إلى أكثر مما هو موجود الآن بين العلماء من الجفاء الباطني ولا تكاد تعود بمنفعة ، خصوصاً إذا كانت الأغلبية في غير جانب الموافقة على الإصلاح . نعم لابد من الشدة ، ولكن في نادر الحال ومن غير عنف .

المكافآت

وأرى أيضاً أن من أفضل طرق تنفيذ الإصلاح والوصول إلى الغاية المطلوبة التشجيع بالمكافآت المادية والأدبية لمن يأتي بأمر ما من الأمور النافعة المطلوبة . فإن العالم متى عرف أنه سيكون له من صفات التقدير الرسمية ما يفوق به أمثاله إذا ظهرت نتائج حسن تعليمه ، جد واجتهد وتفنن في طرق جودة التعليم أو سرعتة ، وأوجد من العناية والوسائل المؤدية إلى ذلك ما لا يخطر بالبال . ويحصل نفس الأمر إذا عرف أنه أن فعل ذلك أخذ مكافأة مالية . وما يقال في جانب العلماء يقال أيضاً في جانب الطلاب ، بل هو في جانبهم أشد تأثيراً . فلو علم الطلاب مثلاً أن العلماء سوف يقيمون حفلة رسمية يمتدحون فيها من يحيط من الطلاب بأطراف الحديث واللغة ، فأنهم يتسابقون لتلك الإحاطة . ثم لو علموا أن الذي ينال درجة العالمية قبل أن يبلغ العشرين من عمره سوف يكرم ، لكثير العلماء المرد .

إذا فشرع المكافآت لازم ولا بد منه . ولقد كان مقرراً

في الأثر شيء منه ثم ألقى . وأرى أن الإلغاء خطأ . كما لا أوافق على أن تكون المكافآت كما كانت . إذ يجب أن لا تكون قاصرة على المال ، بل يجب أن تشمل أيضا المظاهر الأدبية .

والمال الذي كان مقررا قليلا جداً . فهناك من الأعمال والأشياء التي ينبغي تحصيلها ما لا يصح جعل مكافأته أقل من أربعين جنيباً ، وذلك لصعوبته واستغراقه للزمن الكثير . فإلم تكن المكافآت كبيرة ، لا توجد في النفوس داعية الإقبال . ولا بد أن تكون المكافأة على الأمور المفيدة الكثيرة المتنوعة . وينبغي أن لا تكون قاصرة على الطلاب ، بل لا بد أن تكون للعلماء أيضاً . كما لا بد أن تكون على نظام يؤمن معه من الغش والخطأ .

المكافأة على الوعظ والإرشاد

وتعليم العامة

هذه من أعظم المهمات ، إذ الإرشاد وتعليم العامة من أعظم المطالب . وهما مهمتان بالمرّة . وقد لا يقوم بهما أحد لمجرد أنهما واجبان في ذاتهما . وتالله لو جعلت مكافأة حسنة لمن يعلم مائة عامي ما يلزم لهم من العقائد وفروع الفقه ما وجد من يجمل أمر دينه من المسلمين . ولو جعلت مكافأة لمن يمكنه أن يزيل الخرافات والعقائد الوهمية من أفكار خمسين شخصاً ما وجد من يعبد الوهم . ولو جعلت مكافأة لمن يمكنه أن يكون سبياً في استقامة عشرة من عصاة المسلمين لقل جداً عدد أولئك العصاة . أن هذا من الأعمال الجليلة المقصودة التي شغلنا عنها بتحقيق معان خيالية لا فائدة لها .

المكافئة على الدعوة إلى الإسلام

ومن أعظم ما يجب تعيين مكافأة عليه الدعوة إلى الإسلام بالطرق المعقولة المقبولة . فقد أصبحنا ومن النادر دخول أحد في ديننا بعد أن كان الناس يدخلون فيه أفواجا ، بل أصبحنا تحت خطر النار الحامية المنبعثة على الإسلام من أفواه دعاة النصرانية . ولعمري ما فائدة وجود مدارس دينية (طنانة رفانه) مزدحمة بالآلوف من المنقطعين لعلم الدين (بلا حرفة سواه) إذا لم يمكن لهؤلاء الناس أن يدافعوا عن الإسلام ، فضلا عن أن يؤيدوه ويجعلوه الغالب على كل غالب . فلئن جمدت نفوس علمائنا عن مثل هذا الواجب ، فإن المال يلينها . ولئن جبنوا ، فإن المال يشجعهم ، ولئن غفلوا ، فإن مظاهر الحفاوة والاحتمال بمن يقوم بهذا الواجب تنههم . والله هو الهادي ومنه التوفيق .

المكافئة على السياحة

للتعليم والإرشاد

ومن أهم الأشياء التي ينبغي أيضاً أن تقرر لها مكافأة وإفية ، السياحة في الأقطار الإسلامية لقصد التعليم والإرشاد وتقوية عرى الجامعة ، وتنوير من لا يزالون على الجهالة والبسطة ، والسعي في ترقية شؤونهم على وجه علمي ديني محض ، لا تعلق له بالسياسة . حتى لا تقف الحكومات الأجنبية الحاكمة على فرق المسلمين في طريقه . وبحيث تصبح معتقدة أن ذلك خدمة لها تعود على رعايتها وعليها بالخير والكمال .

ولا ينكر أحد مزيد حاجة المسلمين إلى السياحة ومزيد إهمالنا فيها .
خصوصاً ونحن لم نألف الغربية ولا نفكر أن نهاجر هجرة الله . فالأمال
والمكافآت من شأنها أن تهون على النفس هذا الأمر الذي تصعبه العادة .
وتالله متى وجدت المكافآت اللائقة لذلك فسيوجد من علمائنا من
من يسير في الأرض ، على ما أظن ، ويبلغ أقاصي المعمورة ، في حين
أنهم الآن لا يرضون أن يسافروا لجهة السودان مثلاً (وهي قريبة
مننا) ، لمواصلة إخوانهم هناك ، مع أن هؤلاء يضعونهم فوق
الرؤوس . ولا يغار علمائنا من القسوس الذين يقصدون السودان
من مكان سحيق مع أنهم أعداؤه في الدين .
وبالجملة فأنى أرى أن إعتبار المكافآت على الأعمال المختلفة
ووجوه الإصلاح المتعددة ، مما أشرت إليه في كتابي هذا ومن
غيره ، خير واسطة للوصول إلى المطالب الواجب وبلوغ السكال .
يسر الله لنا ما فيه الخير والنجاح .

إرشاد للواقفين

وهنا أشير على من يريد أن ينشئ وقفاً يلقي به من الله حسن
الثواب أن يتجرى وجوه الخير النافعة نفعاً حقيقياً والعائدة على
الدين ومجموع الأمة بالفائدة الصحيحة ، وإن يجعل وقفه مقيداً
بالأوصاف التي تفيده الأمة وتعلي كلمة الله وتعزز الدين وتنصره ،
فيمجعل من ربيع أوقافه مثلاً مبلغ كذا لأفضل من يتقن الحديث ،
ومبلغ كذا لمن يهدي خمسين عاصياً ، ومبلغ كذا لمن يؤلف أحسن
كتاب في الإرشاد والعقائد ، إلى غير ذلك من الأمور النافعة

الصحيحة ، فذلك أفضل عند الله من الوقف على المدافن ، بل وعلى
الفقراء ، بل وعلى العلماء وطلاب العلم بلا قيد ، ما دام الأمر
على ما نحن عليه .

كساوى التشريف

العلية

هذه أحسن شيء يمكن التوصل به إلى الأعمال الجليلة والأمر
النافعة إن أخذت مأخذ المكافأة ولو حظ في توزيعها أن لا تكون
إلا لمن يأتي بعمل مفيد أو أمر جديد بقطع النظر عن صغر السن
أو عدم التوظيف أو حداثة العهد بمرتبة العالمية .
ولكنها توزع الآن على غير هذا النسق توزيعاً همجياً تلاحظ
فيه اعتبارات ووجوه شتى ليست من هذا المعنى في شيء .
على أنها مع ذلك كادت تكون من خواص العلماء الموظفين
بحيث لا ينال غير الموظفين منها إلا القليل . وهو إجحاف وظلم .
حقاً إن من الظلم أن قوماً يستأثرون بالوظائف ذات الاسم
الكبير والاحترام العظيم والمرتبات العالية ثم بعد ذلك يستأثرون
أيضاً بكساوى التشريف ، وذلك في حين أن غيرهم ممن هو في العلم
مثلهم أو أرقى (خصوصاً من غير الاحتراف) يقاسى أشد المتاعب
في مزاولة التعليم ما بين أتعاب للفكر في الفهم ، وللجسم في الإلقاء ، ومع
الرضى بالمرتبات التي لا تصل إلى مرتبات خدمة البيوت ، ومع عدم
الشهرة وعدم الاحترام والتبجيل ، ثم بعد كل ذلك يحرم من كساوى
التشريف ويفضل غيره عليه لمجرد أنه موظف (والخير يجر بعضه) .

التعليم أشرف من التوظيف في الوظائف الإدارية المحضنة على الحقيقة ، وهو أتعب جداً منه . فإذا كنا نرى المعلمين في تعب من العمل وضنك من العيش فلماذا لا نشجعهم ونعطيهـم حقوقهم من كساوى التشريف .

فالذى أراه أن يجرى توزيع هذه الكساوى على قاعدة المكافآت ، وإن لا يكون التوظيف في الوظائف الإدارية من المرجحات فيها ، بل تعطى على العمل المفيد من إرشاد أو تعليم أو تأليف أو نحو ذلك .

كساوى المظهرية

ليس هناك أغرب من أن يقع من أنصار الفضيلة والعلم تعزيد (رسمى) للرديلة والجهل . وهذا هو ما ينطبق على حال كساوى المظهرية التى أنشئت لأولاد العلماء وأهل البيوتات ، كما يقولون . أنشئت هذه الكساوى خطأ من قدر العلم ومساعدة على انتشار الجهل ونصرة لأهل البطالة ومن هم على الحقيقة عالة على المجتمع الانسانى . لا وظيفة ولا عمل ولا حيثية لهؤلاء .. وكل ما هنالك أنهم (من سلالة العلماء وأهل الفضل) ! . والفضل لا يورث ، كما أن علم الوالد لا يخفف من جهل المولود .

كل الناس يعلم ما وصل اليه أكثر أهل (البيوتات !) من الانحطاط والتأخير ، وما عليه أكثر أولاد كبار العلماء من الجهل والكسل . اللهم واللعب هو الذى جعلهم لا يحافظون على شرف

آبائهم ، وهو الذى منعهم من الحصول على رتبة العالمية حتى يكونون ورثة فى الحسب والمعنى . أليس من الواجب ازدراء أمثال هؤلاء . الناس من أولاد العلماء وأهل البيوتات الذين لم ينبغوا إلا فى (الموضات) من الملابس والمظاهر ، وفى أنواع الترف والخلال الناقصة وفروع البطالة والسكسل ! أليس من الوجوب تحقيرهم لى يرجعوا عن هذا الغى ولى يقتدى بهم غيرهم ! ولكننا لا نكتفى فى الخروج عن نهج الصواب بالسكف عن تحقيرهم فقط ، بل نحن نحترمهم ونبجلهم ! بل ونفضلهم على بعض أهل الفضائل الحقيقية ، ثم لا نكتفى بذلك أيضاً بل نضم إليه احترامهم وإعلاء شأنهم رسمياً ! ونشئ لهم كساوى تشرىف شبيهة بكساوى كبار العلماء . ! ! . فما هذا القلب للأوضاع ! أليس فى هذا مساعدة لهم على نبذ العلم وأهماله اتكالا على هذا الاحترام والامتياز الأعلى ! ولماذا يتعب الآن ابن العالم نفسه ويقاسى مشاق التعليم ما دام أنه مقرر له امتياز يضارع أكبر امتياز للعلماء ! بل أليس من المصائب أن يعطى هؤلاء امتياز يحرم من مثله أكثر العلماء .. حتى أنه لو كان هناك اثنان من أولاد كبار العلماء . لحصل غير العالم منهما على ذلك الامتياز دون العالم ! . ولم يحرم منه الأخير إلا لأنه عالم ! .. وحينئذ فعليه أن ينتظر حتى يشيب وتسمح الفرص بمنحه ! .. هذا إذا كان موظفاً أو من أهل الدرجة الأولى .. وإلا حرم للأبد على ما يقولون !

يعتذرون عن جعل هذا الامتياز لغير العلماء مع حرمان أكثر العلماء من امتياز يشبهه ، بأنه امتياز منشأ لقوم لا يعلمون

ولكنهم ينتمون إلى العلم ولهذا فهو يتميز عن كساوى التشریف
العلمية بنباض لون قصبه وحرمانه من صفرة قصبها . وهو اعتذار
باطل ، لأن هذا الفرق الدقيق إنما يدركه خواص الناس وفي
وقت التشریفات الرسمية فقط . ولكن الحقيقة الثابتة المستفیضة
أنه امتیاز يشبه امتیازاً أكبر العلماء . وأنه أعطى لغير العلماء وحرّم
من مثله أكثر العلماء . وإلا فلماذا يقررون أن تكون تلك الكسوة
المظهرية على شكل (فرجیة) مع العلم بأن ذلك الآن من علامات
العلماء ؟ ولماذا يسافرون بنصف أجرة (وكلهم من الأغنياء)
دون أكثر العلماء (وهم من الفقراء المحتاجين) ؟

وبناء على هذا فاني أرى إلغاء كساوى المظهرية بالمعنى المعروف
الذى جرى عليه التوزيع ، والاستعاضة عنها بكساوى تسمى
(كساوى المكافآت) ، أو نحو ذلك ، بحيث لا يلاحظ فيها مطلقاً (أولاد
علماء أو بیونات علم أو شرف) ، بل تعطى مكافأة على الإتيان
بالأعمال الإسلامية الكبرى ، مع ملاحظة الكمال الشخصى ، بقطع النظر
عن أن يكون الإنسان من سلالة العلماء أو من أبناء الفعلة أو
الاسكافية . . عملاً بالمثل (إنما أصل الفتى ما قد حصل)
والله هو الموفق للصواب .

ملاحظة

وهنا ألاحظ أن من غير المستحسن فى كساوى التشریف
العلمية اتخاذ شريط من القصب يوضع فوق العمام ، وأرى أنه

إن كان لا بد من القصب فليكنف ما هو موضوع على (الفرجية)،
وإلا فإن الذي أراه أوفق بالعلماء أن لا يتخذوا في شعارهم الرسمي
شيئاً من هذا الزخرف (وأن أفتى العلماء بجواز لبس حلل
الملوك). ويحسن لدى أن يكون شعارهم في التشريفات ملابس من
الصوف الأبيض وعمائم لها عنابات مسبلة بين أكتافهم تكون
على طرايش بيض لا أضرار لها أو نحو ذلك من الهيئات
المناسبة للعلماء.

الباب التاسع

في الإدارة الدينية

تنقسم المصالح الدينية الموجودة اليوم إلى جملة أقسام لا تجمعها جامعة واحدة ولا تربط برباط عام ، بل قد ينفصل بعضها تمام الانفصال عن الآخر ويمتاز كل برئاسة خاصة (كافي مشيخة الأزهر ومشيخة الطرق). ولقد بلغ من حال هذا التفرق أن المدارس الدينية صارت منفصلة (وان اتحدت في الغاية والمبدأ) وغير خاف أن التفرق مؤد للاختلاف والضعف ، وأن كثيراً من تلك المصالح جار على غير ما ينبغي ، وأنها جميعاً لا يكاد يستغنى بعضها عن البعض الآخر، وإن هناك مطالب دينية ومصالح جمّة وواجبات مهمة لا بد منها لترقية المجتمع الإسلامي والنهوض به من هذا السقوط وليس هناك من هو قائم بها . فمن هذا اقترح على أولياء الامر تشكيل إدارة دينية عالية يرجع إليها إجمال كل شيء له ارتباط بالدين .

كيفية تشكيل الإدارة

الدينية

وأرى أن يكون رئيس هذه الإدارة الأعلى هو سمو الخديوى المعظم والرئيس العامل هو شيخ الجامع الأزهر وأن لا يقل أعضاء هذه الإدارة عن ستين عضواً ، يكون ثلثاهم على الأقل من العلماء ، ومنهم رؤساء المدارس الدينية وقاضيين مصريين واسكندريين ، والثلث

الباقى يكون من كبار الفضلاء المتنورين ، وفي مقدمتهم شيخ مشايخ الطرق ومدير عموم الأوقاف ورؤساء الجمعيات الإسلامية كالمعروفة الوثقى والخيرية الإسلامية .

أعمال الإدارة الدينية

تنظر هذه الإدارة على الإجمال فى كل ما يتعلق بالشئون الدينية ، وكل ما يعود على الأمة الإسلامية بالترقى والخير المادى والأدبى والدينى ، وتقوم ينشر مبادئ الإسلام وتربية أهله.. وتنشئ المجتمعات الأدبية الإرشادية ، وترسل البعثات للخارج ، وتنظر فى طرق التعليم وأصول التربية العالية ونظم المدارس الدينية وأعمال مشايخ الطرق وسبل انتخاب القضاة والخطباء والمرشدين ونحو ذلك .

فروع الإدارة الدينية

يجب أن يكون من أهم فروع الإدارة : أولاً — إدارة التعليم الدينى بأقسامه الثلاثة ، التعليم العالى وتعليم الجمهور والتعليم الابتدائى . ثانياً — إدارة الإرشاد بقسميه العام والخاص (وهو ما يرجع إلى مشيخة الطرق) : ثالثاً — إدارة القضاء الشرعى . رابعاً — إدارة الأعمال المتنوعة ، من نحو إنشاء المدارس لتعليم أبناء المسلمين ، والمجتمعات النافعة ، وبعث البعثات المفيدة ، ومساعدة النهضة الإسلامية ، وإيجاد وسائل التقدم والترقى . . الخ . وينبغى التوصل لأن يكون هناك فروع لهذه الأقسام فى كل مدينة بل وكل قرية . وعلى الإجمال فلا بد أن تنشئ هذه الإدارة

العالية بمجتمعات ومحافل شتى، وفروع كثيرة متنوعة للأعمال المختلفة
في سائر القرى والأصهار، كما أنه لا بد أن يرجع إليها ما هو
موجود الآن من الجمعيات .

إدارة التعليم

لا أرى من الحكمة جعل إدارة التعليم مطلقة موكولة إلى
عهدة فرد واحد كما كان الحال في مشيخة الأزهر سابقاً . فلذلك أضرار
جمة تجلب الانحطاط ويرجع أهمها إلى عجز الفرد الواحد عن
القيام بسائر المطالب ، كما يرجع إلى اختلاف مبادئ ومشارب
من تتقلب فيهم هذه الإدارة ، وإلى أن الصفات والمزايا اللازمة
لا تكاد توجد إلا موزعة غير مجتمعة في فرد .

ولا أرى من الحكمة جعل الإدارة مقيدة موكولة إلى مجلس كمجلس
إدارة الأزهر الموجود الآن ، لأن قصر تكوين هذا المجلس على ستة
فقط (بل خمسة) لا يجرى انتخابهم كما ينبغي ، يجعله غير أهل لإدارة
جميع شؤون التعليم كما يجب .. على أن كل الناس يعلم التفاوت العظيم
في النفوذ والقوة بين أعضاء هذا المجلس .. حتى يكاد يكون عبارة
عن شخص واحد أو شخصين .

والذي أراه أن تلقى إدارة جميع شؤون التعليم إلى مجلس
عال يكون مشكلاً من خمسة عشر عضواً على الأقل، تحت رئاسة
شيخ الجامع الأزهر ، وينبغي أن يكون تعيين ثلثي هذا العدد أو نصفه
بطريق الانتخاب، والباقي بحسب اختيار الجناح الخديوي المعظم ،

وأن يكون هناك مجلس إدارة لكل مدرسة دينية تحت رئاسة رئيسها ، وأن يكون مجلس إدارة الأزهر الحالى هو مجلس إدارة مدرسة الأزهر خاصة ، ولكن بعد تحويره وتعديله على وجه يضمن الفائدة الحقيقية .

وهنا أرى أنه من الخطأ مراعاة المميزات المذهبية ، كتحقيق أن يكون هناك توازن بين المذاهب فى عضوية هذه المجالس كما يحصل فى لجان الامتحان ، فأن هذا أول عنوان التفرق والتعصب والتحيز ، وهذا لا ينبغى أن يكون بين علماء الإسلام ، خصوصاً وأن مذاهب الفقه أصبحت مسلماً بها تقريباً عند الجميع ، وقد يوجد فى أهل المذهب الواحد عدد كبير يفوق فى الرأى الإدارى جميع أهل المذهب الآخر .. فمن الخطأ تركهم وأخذ آخرين أقل منهم قدرة .. لمجرد أنهم شافعية أو مالكية مثلاً .

وكذلك أرى من الخطأ مراعاة كبر السن أو أقدمية العالمية أو الوجاهة والمظهر ، فقد يوجد من صغار السن من يمكنه أن يفيد فائدة عظيمة لا يمكن أن يقوم بها غيره . ومن الخطأ الجرى على الخطة التى كانوا يسلكونها فى تعيين بعض أعضاء مجلس إدارة الأزهر الحالى ، فقد عينوا فيه من الأعضاء الشافعية الطاعنين فى السن من يعلم الجميع أنهم لا يفيدون شيئاً ، وتركوا كثيرين من أهل الآراء والأفكار الصحيحة .

مشيخة الجامع الأزهر أو رئاسة المدرسة الدينية

هذه الوظيفة هي التي يرجع إليها في الحقيقة في أمر الشؤون الدينية في جميع البلاد، وهي المسكفة بمراقبة سير التعليم والتعلم، بل هي المسؤولة عن جهل الأمة بالأمور الدينية صغيرها وكبيرها، بل وعن جميع شؤونها المتعلقة بتقدمها وارتقائها وتأخرها وانحطاطها، لأنها القابضة على زمام المدارس الدينية التي ينبغي أن تشرق منها شمس المعرفة على سائر الأمم الإسلامية. وهي بهذا وظيفة عمل على كبير يستغرق أوقات الليل والنهار.. لا وظيفة ابهة ومظهرية، ولا وظيفة مرتباً كبرى شهرية، ولا وظيفة نظر في شؤون الجرايات والمعاينة من القرعة العسكرية، وأمثال ذلك من الأمور الثانوية.. بل هي وظيفة نظر في الشؤون العلمية وتقدمها الحقيقي.

صاحب هذه الوظيفة، إذا أعطاها حقها من العناية، لم تتم له عين، ولم يسترح له جسم، ولم يأت مكان الإدارة لكي يجلس أو يزار أو يرفع إليه بعض أهل الحاجات حاجاتهم أو ينظر في قليل من الأوراق الرسمية، بل هو يأتي ليعمل عملاً كبيراً مفيداً حقاً.. يأتي ليقوم على أقدامه يباشر أمر التعليم بنفسه.. ويتنازل فيشارك ويخالط العلماء والطلاب.. ويشجع ويعدل ويراقب.. ويبحث في النفوس الأمل.. ويحقق معنى الوحدة العلمية.. ويوجد في الطلاب ملكة حب التقدم والأخلاق العالية. بل أقول أن صاحب هذه الوظيفة

حتى جاء مكان الإدارة خلع عن أكتافه الثياب الواسعة (الفرجية) ،
وشمر عن ساعد الجذد ، وقام يتفقد أمر التعليم بنفسه . لايهمه إلا أن تظهر
نتيجة صحيحة خارجية لهذا التعليم . وأن تظهر آثارها في أخلاق
العلماء والطلاب وأقوالهم وأفعالهم وأمانيتهم وغاياتهم .

صاحب هذه الوظيفة يجب أن يكون أول المنشطين والمنهضين
للطلاب ، باحترامه لأصغرهم ، وبجعل التفاضل بالعمل النافع والعلم
الصحيح ، بقطع النظر عن أن يكون الشخص أماً بسيطاً في مسجداً أو
عضواً في المحكمة الكبرى ، وعن أن يكون صغير السن أو كبيره ،
لأن التفاضل لا يجوز أن يكون إلا بالفضائل الحقيقية ، خصوصاً
على مائدة العلم التي لا يجلس عليها طفيلي .

صاحب هذه الوظيفة هو الأب الأكبر للعائلة الإسلامية ..
ينبغي أن توجد عنده الداعية المالية والغيرة الشديدة على تقدم
عائلته وأمته ، وينبغي أن لا يترك شيئاً من موجبات التقدم لهم
إلا ويأتيه . . . وأن يكون نظره إليهم نظر الشفقة والرحمة . .
ونظره إلى الأمور نظر الحكيم الماهر . لا يدع فرصة تتركه ، ولا يوجد
للخلل والقصور سبيلاً .

صاحب هذه الوظيفة ينبغي أن يكون مستقل الفكر (لا تؤثر
عليه المؤثرات الخارجية) ، قريب الرجوع إلى الحق ، شديد
المحافظة عليه ، ليس من أهل العادات والجمود ، ولا من أهل
الاستبداد في الفكر أو الفعل ، ولا يكون من أهل الغاظة
أو الكبرياء ، ولا بمن يحرص على الوظيفة حرصاً يوجب متابعة
الأغراض الدنيئة والتغاضي عن الواجب ، بل ينبغي أن يكون
هو العزم والثبات مجسمين .

صاحب هذه الوظيفة لا بد أن يسهر على مراقبة أحوال العلماء والطلاب كي لا يكون منهم سيء السيرة فاسد الأخلاق ، وأن ينفخ روحاً جديدة في العلماء والطلاب ، ويرشدهم إلى مواضع النقص مع حسن اللين وتتمام الحكمة . ويسعى دائماً في جذبهم نحوه وإقناعهم بالأدلة وتفهمهم واجباتهم وما ينبغي أن يكونوا عليه .. حتى لا يقوم تنفيذهم لما يرشدهم إليه على أنه صادر عن الرئيس فقط .. بل لأنه حق في نفسه .

صاحب هذه الوظيفة لا بد أن يحترس في اعتقائه تمام الاحتراس حتى لا يكون من المستبدين ، ولا من الضعفاء ، ولا من أهل الآراء السخيفة ، ولا من أهل الجود ، ولا من أهل الثقة بالفسكر والإعجاب بالنفس . . . الخ .

ومثل ما يقال عن شيخ الجامع الأزهر يقال عن معاوية لأن معاونين دعائم الرئيس . ولعل في ذلك تذكرة نافعة . والله يهديننا إلى الصراط المستقيم .

مؤتمر إسلامي عام

اقترح على أولياء الأمر أيضاً إيجاد مؤتمر إسلامي سنوي ليعقد قبيل وقت الحج تحت رئاسة الجناب الخديوي المعظم ، ويشارك فيه من يشاء من الأمم والحكومات والأفراد الإسلامية .. تجتنب فيه الشؤون السياسية ويبحث فيه عن جميع ما عداها مما يرتبط بمصالح المسلمين ويعود عليهم بالتقدم والترقي في الشؤون المادية والدينية والأدبية .. بحيث يكون مقسماً إلى أقسام ، كل قسم يبحث

عن أمر خاص ويقدم للبؤتمر ما يتعلق به من الآراء والأفكار
والاقتراحات والتحقيقات . . الخ .

مجتمع للعلماء

ألم يحزن لعلنا الأعلام أن يجمعوا شملهم ويجمعوا أمرهم
ويجعلوه شورى بينهم ويقوموا بالواجب عليهم ويظهروا بمظهر
الجد والاتحاد ويتبادلوا البحث فيما ينبغي أن يقوموا به ويتصفوا
به على قاعدة الصفاء والحرية والتواضع والاتصاف ؟ ألم يأن
لهم أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ويتركوا ماوراءه
من موجبات التفريق والانقسام والتحزب والاختلاف ؟ ألم يأن
لهم أن يتعاونوا في نشر ألوية العلم وإعلاء كلمة الحق ومحاربة الأهواء
والتقدم بالآمة في سلم الارتقاء ؟ ألم يأن لهم أن يشد بعضهم أزر
بعض في سبيل خدمة الآمة والملة والقيام بالواجب ؟ ألم يأن لهم
أن يتركوا الاتمصار للرأى ويسعوا في طلب الحق غير مباينين
أن يصدر من كبير أو صغير ؟ ألم يأن لهم أن لا يقدسوا العادات
وأن يتركوا هذا الجود المؤخر ؟

من ذا الذى لا تتأثر نفسه وقد صار العلماء هدف سهام اللوم
والانتقاد من سائر طبقات الناس . . حتى من لا يدينون بدينهم .
(راجع ما كتبه مكاتب المؤيد الاسكندري المسيحى في هذا
الشأن قريباً) .

من ذا الذي لا يأسف ويتحسر وقد تزعزعت ثقة الناس
بالعلماء ، وقل احترامهم لهم ، حتى كادوا يضطهدون اضطهاد القسيس
من الأوربيين سابقاً ! كيف يجوز أن نحمد على حالنا وقد اجمع
العقلاء على تقصيرنا وتهاوننا وإهمالنا ! كيف يجوز أن نبقي على
إهمالنا ونحن نرى بأعيننا أن الإسلام تموت تعاليمه تدريجياً ! أيحوز
أن يهمل الطبيب وهو يرى الأمراض تفك بعائلته ! كيف يجوز
أن تتفرق وتنقسم ونختلف ونحن أولى الناس بالجمع والاتحاد
والانفاق !

نرى الناس جميعاً يقولون بتقصير العلماء وأهمالهم
ويذمون تفرقهم ويجعلونه علة كل تأخر ونقص ، فهل لنا بعد
هذا أن ننفي عنا هذا التقصير ونؤلف مجتمعا علميا يكون من
موضوع بحثه معرفة واجبات العلماء والقيام بها على أسلوب
حسن مألوف .

نرى علماءنا يختلفون في المشارب والمبادئ والعقائد ،
وينكر بعضهم على بعض ، ويبالغون في الإنكار والتشنيع إلى حد
يقرب من التكفير ، فهل لهم أن يتركوا هذا التعصب الذميمة والتشنيع
القبيح ويؤلفوا مجتمعا يتبادلون فيه البحث على قاعدة النواضع
والصفاء والحرية والانصاف ، حتى تظهر الحقيقة ويكون جزاء
المسكار بعد ذلك سقوطه والإعراض عنه .

ألا يتنازل فضيلة استاذنا الشيخ الشربيني ويسعى في إيجاد

هذه الجامعة ويبين لنا أغراضه ومقاصده ، وما يراه خطأ وما يراه صواباً ، ويأتينا بالأدلة المقنعة لكي نهتدى ونتفقد .

إلا يتنازل هؤلاء النفر من كبار العلماء الذين تخيلوا لأنفسهم ناموساً عالياً ومقاماً سامياً لا يجوز معه التواضع ولا الرضوخ لآراء الغير ولا الاندراج تحت رأيه وأن كان محقاً ، فيتركوا تلك الكبرياء والعظمة ويسعوا في اتحاد العلماء واتفاقهم ، وفي تأليف هذا المجتمع النفيس .. ثم لا يبالون أن يكون الحق إلى جانبهم أو بجانب من هو أقل منهم في نظرهم .. ولا أن يكونوا رؤساء أو رؤس. إلا يخشى الله أولئك الذين إنما يريدون أن ينالوا من وراء هذا الاختلاف والتفريق شهرة ، فلا يضحوا المصالح العامة في سبيل الخاصة ، بل يسعوا في إيجاد جامعة للعلماء .. وليطلبوا الشهرة ، أن شاؤوا ، من مثل هذا المسعى الشريف .

ينكر فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده على جمهور العلماء أموراً كثيرة ، وينكرون عليه بعض الأمور ، فهل لهم جميعاً أن يفيثوا إلى أمر الله ويحكموه فيما شرب بينهم ، ويعقدوا مجتمعاً يتركون فيه الحدة والشدة والغلو ، ويتباحثون على مقتضى قاعدة الصفاء والحرية والتواضع والانصاف .

ألا يتنازل فضيلة أستاذنا الشيخ محمد عبده فيسعى في إيجاد جامعة للعلماء يبين لهم فيها مبادئه وأمياله وآراءه ، مع التروى والتأني والحلم والرفق واللين ومعاملة الصغير كشيل .. فعسى أن يكون إنكارهم عليه غير صحيح .

ألا يتنازل فضيلة أستاذنا الشيخ أحمد الرفاعي ومن معه
من العلماء ، الذين أقاموا القيامة الصغرى على إدارة الأزهر في
العام الماضي ، فيسعدوا في إيجاد هذا المجتمع ، ليدبينا أغراضهم
ومقاصدهم وما ينكرونه على الإدارة وعلى فضيلة الشيخ محمد
عبد .. على القاعدة المتقدمة .

ألا يتنازل أولئك الذين يتعالون على المستضعفين من العلماء
فيؤاسوهم ويساووهم بهم في الحقوق والمعاملات ، ويؤلفوا منهم جميعا
بمجتمعا عاما يحترم فيه الكبير ولا تهضم فيه حقوق الصغير .
إنى أرفع ندائى بطلب تحقيق الحقائق وتوحيد المبادئ . وعقد
بجتماع علمى عام ، ينظر فى كل ما يتعلق بالعلم والعلماء وما يعود بالخير
والمنفعة على العلماء والأمة والدين ، ولا يتعدى فى عمله الحد اللائق
المقبول . وفقنا الله إلى ما فيه الخير ، وجمعنا على الهدى وهدانا
إلى الصراط المستقيم .

خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن هذا الذي قدمته في كتابي هو عنوان مبدأى ومذهبي ورأى . لا أقول الذى أنا متصف به ، (حاشا فى لم أزل من الناقصين المعذيين بألم الاحساس بالنقص) ، بل الذى أنا غريق فى بحار التفكير فيه ومحاولة الوصول إليه والحصول عليه . كتبته ليكون سادق وإخوانى على بينة بما أرى واعتقد ، فيرشدوني إلى مواضع الخطأ ، فاسرع فى التنازل عنها ، وإلى مواضع الصواب فازداد ثقة بها .

أرى على الإجمال أننا معشر العلماء فى نقص كثير وتقصير كبير وإهمال زائد ، فى أداء ما توجب علينا للأمة وظيفتنا الدينية من التعليم والإرشاد ، وغرس المبادئ الشريفة ، وتأسيس الملكات الكيالية ، والتفنى فى سبيل إعلاء كلمة الدين ، وترقية الشعوب الإسلامية ، الخ .

وأرى أننا قد بلغنا فى هذا النقض والتقصير حداً لم يبق للعلماء معه رفعة ولا احترام ، ولا للأمة الإسلامية شائبة قوة ولا تقدم ولا ارتقاء ، فى حال من الأحوال .

وأرى أن من الواجب التنبيه إلى هذا الأمر الخطير ، والمبادرة إلى الخروج من هذا النقض والتقصير ، والنهوض

بالأمة الإسلامية وتخليصها من هذا الخطر الذي أحرقها ، وذلك بواسطة الإرشادات المنظمة والتربية المفيدة .

أرى أن مستوى الأمة المصرية قد فاق العلماء الحاضرين في كثير من مراتب الاستكمال والترقي العقلي ، وأنه قد فقد التناسب بينهما في ذلك ، فأصبحوا غير مؤثرين عليها . . . وكان الواجب أن يكونوا دائماً هم الفائزين ، ليكون لهم سلطان على القلوب وتأثير في العقائد والأميال والأعمال .

أرى وجوب البحث والتدقيق والتدبر في معرفة ما هو كما لنا ، انسارع إلى التحقق به . . . ومعرفة ما هي وظيفتنا وما هي واجباتنا ، حتى نوصل الليل بالنهار في طريق القيام بها وإتقانها .

أرى وجوب البحث في معرفة ما هي الغاية التي يدعو إليها الإسلام ، وما هي المبادئ والأحوال التي ينبغي أن يكون عليها المسلم في العصر الحاضر ، لكي ترشد الناس إليها .

أرى وجوب استئصال ما هو متفش بين الأمة والعلماء من العقائد الفاسدة والآراء السخيفة .

أرى وجوب التفاني في عتق الأمة من رق الأوهام وتخليصها من النقائص التي لا تكاد تنتهي .

أرى أن أجزاء الكمال الإسلامي قد تفرقت وتشتتت ، فصار منها شيء عند الصوفية ، وشيء عند العلماء ، وشيء عند المتنورين من طبقات الأمة (كل حزب بما لديهم فرحون) ، وصار منها ما فر من أيدي الأمم الإسلامية وحل عند الأمم الغريبة وما لا يكاد يوجد من يتصف به من المسلمين .

وأرى أن العالم الكامل هو من يأخذ بأطراف هذا الكمال ، أو بتعبير

مشهور، من يمزج الحقيقة بالشرعية، ثم يمزج هذا المجموع بمخلاصة التقدم الغربي والتقدم الحديث. وبصفات الكمال المتفرقة، في الأمم والأفراد.

أرى أن الواجب أن العالم يستمد علمه من العقل المفكر والنقل الصحيح والوجدان العالي الحاصل من التقرب إلى الجنب الأقدس، لا يقدر العادة ولا يثق بفكره، يبشر وينذرو ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتفنن في أساليب الدعوة وطرق الإرشاد. يبحث عن اللب ولا يقف مع القشور. يلاحظ مقاصد الشريعة وأسرار التشريع، يقدم الأصول على الفروع، والحاجيات على التحسينات. يقرب المعقول من المنقول. يصفح ويسامح ويصافي سائر الطوائف والفرق الإسلامية، ولا يجادلهم إلا بالتي هي أحسن (كأهل الكتاب)، ويبذل الجهد في إحياء الجامعة الدينية وإماتة المميزات الخلاقية، وترقية الأمة الإسلامية. ويبث في العالم مبدأ إسلاميا عالميا، هو المبدأ الذي جاء سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ليعطيه لسائر الأمم. يسعى في سبيل سعادة الدارين وعمارة النشأتين. يجتهد في سبيل تربية أبناء المسلمين وتقويمهم وإرشادهم، ويسلك في التربية والتعليم والإرشاد، الطرق الصحيحة والأساليب العالية. لا تفتقر له هممة ولا يترأخى له عزم، في سبيل الوصول إلى تلك الغايات السامية والمطالب العالية، والدعوة إلى هذه المبادئ. ونشر تعاليمها بين الناس، سرا وعلانية. أكبر همه أن يعلى قدر المسلمين ويرفع من شأنهم ويرشدهم إلى ضروب السعادات الدنيوية والأخروية،

وأن يظهر في الدنيا مبدأ إسلاميا عاليا ، وأمة مسلمة جديدة ،
وطبقة أخرى كاملة .. تضع غاية التصوف في فؤادها ونهاية العلوم
في رأسها ، وتحمل لواء الدين الإسلامى باليد اليمنى ولواء التقدم
المدنى باليد اليسرى ، وتسير بسم الله في حرب على الأهواء السخيفة
والآراء الضعيفة والأخلاق الناقصة والفرق المبتدعة والمارقة
من الدين ، مؤيدة بالنصر معززة بجنود الحق ، وما النصر
إلا من عند الله .

هذا رأي ومذهبي ، بنته ليسكون إما مبدأ عاما ، وإما مشروع
مبدأ عام ، يعدله أهل العقول الكاملة والأفكار الصحيحة .

ولو أن كل شخص يبدى ما يكن ، خالياً من كل تعصب ، ملتزما
للآداب ، طالبا للحق ، قابلا له ولو من أصغر صغير .. لا يمكن
للناس أن يبلغوا من غايات الكمال ما يكاد يخطر بالبال .

وفي الختام أرجو العفو عن ذلاتي وهفواتي وأنادي :

الخلاص من هذا النقص الظاهر . الاتفاق الاتفاق . المهمة المهمة .

العمل العمل . الكمال الكمال . وليحي الدين . ليحي العلم . ليحي

العلماء . ليتقدم العلماء . ليستكمل العلماء . ليشرف العلماء .

مرسوم بقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠
بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠
وعلى القوانين رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ورقم ١٥ ورقم ٢٢ لسنة ١٩٢٧
وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، وموافقة رأى المجلس المذكور .
رسمنا بما هو آت :

الباب الأول

في الجامع الأزهر والمعاهد الدينية وفي الرياسة الدينية العامة
وهيئة كبار العلماء ، وفي الإدارة

الفصل الأول

في الجامع الأزهر والمعاهد الدينية

مادة ١ — الجامع الأزهر هو المعهد الديني العلمي الاسلامي الأكبر
والغرض منه هو :

- (١) القيام على حفظ الشريعة الفراء ، أصولها وفروعها ، وعلى تعليم اللغة العربية ، ونشرها على وجه يفيد الأمة ويرشدها إلى طرق السعادة .
- (٢) تخرج علماء يوكل إليهم أمر تعليم هذه العلوم في المعاهد الدينية ، ومدارس الحكومة وغيرها ، وتولى الوظائف الشرعية في الدولة .

مادة ٢ — مع مراعاة حكم المادة السابعة يطلق اسم الجامع الأزهر على كليات التعليم العالي وعلى أقسام التخصص .

(أ) أما الكليات فهي :

(١) كلية الشريعة . (٢) كلية أصول الدين .

(٣) « اللغة العربية » .

ويجوز أن تنشأ كليات أخرى بمرسوم .

(ب) وأما التخصص فهو على نوعين : تخصص في المهنة وتخصص في المادة وهو ينظم بقانون يصدر فيما بعد .

ويتبع كل كلية قسم التخصص في المادة أو المواد التي تعنى بها هذه الكلية بصفة خاصة .

وعلى ذلك يكون قسم التخصص في القضاء الشرعى والمحاماة تابعا لكلية الشريعة . وقسم التخصص في الوعظ والارشاد تابعا لكلية أصول الدين .

على أن التخصص في التدريس أيا كانت المادة التي يراد التخصص في تدريسها يكون تابعا لكلية اللغة العربية .

مادة ٣ — يطلق اسم « المعاهد الدينية » على معاهد التعليم الدينى الاسلامى التى يكون التعليم فيها بقصد تفقيه الطلاب فى دينهم وفى اللغة العربية وإعدادهم لدخول الجامع الأزهر .

ويكون التعليم فى هذه المعاهد ابتدائيا أو ابتدائيا وثانويا .

مادة ٤ — المعاهد الدينية هي :

(١) المعهد الأزهرى بالقاهرة (ابتدائى و ثانوى) .

(٢) معهد الاسكندرية (« » ») .

(٣) « طنطا » (« » ») .

(٤) « الزقازيق » (« » ») .

(٥) « أسيوط » (« » ») .

(٦) « دسوق » (« » ») .

(٧) « دمياط » (« » ») .

وتسمى المعاهد التى يكون التعليم فيها ابتدائيا و ثانويا . معاهد ثانوية . ويجوز أن تنشأ معاهد أخرى بمرسوم .

- مادة ٥ — تنشأ أقسام عامة يكون الغرض منها سد حاجة من يريد التوسع في معرفة أحكام الدين أو اللغة العربية . ويتولى إدارة هذه الأقسام شيخ الجامع الأزهر طبقاً للنظم التي يقررها مجلس الأزهر الأعلى .
- مادة ٦ — يكون بكل من القاهرة وطنطا والمنيا وسوهاج وقنا قسم عام وكذلك بكل جهة يقررها فيما بعد مجلس الأزهر الأعلى .
- مادة ٧ — يلحق بالجامع الأزهر المعهد الأزهرى بالقاهرة كما يلحق به القسم العام الذى ينشأ بها .
- مادة ٨ — الجامع الأزهر والمعاهد الدينية والأقسام العامة معدة لقبول الطلبة المسلمين أياً كانت جنسيتهم .

الفصل الثانى

فى الرئاسة الدينية العامة

فى شيخ الجامع الأزهر وفى شيوخ المذاهب

- مادة ٩ — شيخ الجامع الأزهر هو الامام الأكبر لجميع رجال الدين والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية للملأمة لشرف العلم والدين بالنسبة إلى أهل العلم وحمل القرآن الشريف سواء آكانوا منتمين إلى الجامع الأزهر والمعاهد الدينية والأقسام العامة أم غير منتمين إليها .
- مادة ١٠ — يختار شيخ الجامع الأزهر من بين هيئة كبار العلماء ويكون اختياره وتعيينه منوطين بنا وبأمر منا .
- مادة ١١ — يكون لكل مذهب من المذاهب الأربعة بالجامع الأزهر شيخ يختار من بين هيئة كبار علماء ذلك المذهب . ويكون اختياره وتعيينه منوطين بنا وبأمر منا .

الفصل الثالث

فى هيئة كبار العلماء

- مادة ١٢ — يشكل برئاسة شيخ الجامع الأزهر هيئة من ثلاثين عالماً اختصاصياً تسمى (هيئة كبار العلماء) ويعتبر ضمن أعضائها هيئة كبار

العلماء الذين تتألف منهم هيئة كبار العلماء عند صدور هذا القانون .

مادة ١٣ — يشترط فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء :

(أولا) أن تكون سنه خمساً وأربعين سنة على الأقل ؛

(ثانيا) أن يكون معروفاً بالورع والتقوى وليس له ماض يشينه ؛

(ثالثاً) أن يكون حائزاً لشهادة العالمية مع لقب أستاذ من مدة لا تقل

عن خمس سنين ؛

(رابعاً) أن يكون قد اشتغل بالتدريس في إحدى الكليات أو شغل

إحدى وظائف الافتاء أو القضاء الشرعى من درجة رئيس محكمة أو أن

يكون قد تولى وظيفة علمية بإدارة الجامع الأزهر والمعاهد الدينية من درجة

شيخ معهد ثانوى أو شغل منصباً من مناصب الرؤساء الدينيين المسلمين

المشار اليهم في المادة ١٤٢ من الدستور ؛

(خامساً) أن يكون قد ألف كتاباً قيماً في مادة من المواد المقررة في

إحدى الكليات وأقرته لجنة مشكلة من عشرة أعضاء على الأقل تئديها هيئة

كبار العلماء لمباحثة صاحب الكتاب فيما جاء فيه ؛

(سادساً) أن تقرر هيئة كبار العلماء قبول ترشيحه بالأغلبية المطلقة

للأعضاء الذين تتألف منهم الهيئة فعلاً وقت الترشيح .

مادة ١٤ — يعين كبار العلماء بأمر ملكى .

مادة ١٥ — يضع مجلس الأزهر الأعلى لائحة داخلية لهيئة كبار العلماء

ويقرر في هذه اللائحة توزيع الكراسى على المواد المختلفة .

مادة ١٦ — مع مراعاة حكم المادة ٨٣ يعطى كل عالم دخل ضمن هيئة

كبار العلماء الراتب الذى يقرر للهيئة .

مادة ١٧ — تجتمع هيئة كبار العلماء بدعوة من شيخ الجامع الأزهر

ويكون اجتماعها صحيحاً متى حضره أكثر من نصف الأعضاء الذين تتألف

منهم الهيئة فعلاً وتصدر قراراتها بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين فيما عدا

الأحوال المنصوص عليها في القانون .

مادة ١٨ — إذا وقع من أحد العلماء موظفاً كان أو غير موظف

ملاً يناسب وصف العالمية حوكم أمام هيئة كبار العلماء بناء على طلب شيخ

الجامع الأزهر ، ولهذه الهيئة أن تحكم باجماع عشرين عضواً من الهيئة من بينهم شيخ الجامع الأزهر باخراجه من زمرة العلماء ويكون حكمها غير قابل للطعن فيه .

ويترتب على الحكم بالاخراج من زمرة العلماء محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية وطرده من كل وظيفة وقطع مرتباته في أية جهة كانت وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية . ويتبع في المحاكمة الاجراءات التي تبين في لائحة يضعها مجلس الأزهر الأعلى .

فاذا كان المحكوم عليه موظفاً وجب أن يحال أمره بعد ذلك إلى الجهة التي هو تابع لها لتثبت الهيئة المختصة وتحدد الأثر المترتب على هذا الحكم من الوجهة الادارية سواء فيما يختص بالرفق أو بضياع الحق في المكافأة أو المعاش .

مادة ١٩ — يجوز لمن صدر الحكم باخراجه من زمرة العلماء بمقتضى المادة السابقة أن يطلب بعد مضي عشر سنين من تاريخ هذا الحكم إعادة النظر في أمره متى أثبت أنه سلك سلوكاً يتفق وكرامة رجال الدين ، وعدل عما صدر الحكم لأجله وكانت إعادته لا تتنافى مع هذه الكرامة جاز إعادته لزمرة العلماء بقرار من هيئة كبار العلماء على الصفة المبينة في المادة السابقة .

الفصل الرابع

في الادارة العامة ، وفي مجلس الأزهر الأعلى

مادة ٢٠ — شيخ الجامع الأزهر هو المنفذ الفعلي العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية . وأرباب الوظائف في جميع المعاهد تابعون له بهذه الصفة وخاضعون لأوامره طبقاً لما هو مقرر في هذا القانون .

مادة ٢١ — يكون للجامع الأزهر والمعاهد الدينية مجلس يسمى « مجلس الأزهر الأعلى » .

مادة ٢٢ — يؤلف مجلس الأزهر الأعلى من :

- (١) شيخ الجامع الأزهر .
- (٢) وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .
- (٣) مفتي الديار المصرية .
- (٤) مشايخ الكليات .
- (٥) وكيل وزارة الحفانية .
- (٦) » » الأوقاف .
- (٧) » » المعارف العمومية .
- (٨) » » المالية .

- (٩) إثنين من هيئة كبار العلماء ويعينان بأمر ملكي لمدة سنتين .
- (١٠) إثنين ممن يكون في وجودهم بالمجلس مصلحة للتعليم في الأزهر والمعاهد الدينية ويعينان بمرسوم لمدة سنتين .

مادة ٢٣ — يتولى رئاسة المجلس شيخ الجامع الأزهر وفي حالة غيابه تكون الرئاسة لوكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

مادة ٢٤ — يشترط في أعضاء المجلس الأعلى أن يكونوا من الحائزين للصفات الملائمة لحالة الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ، فإن لم تتوافر هذه الصفات في أحد وكلاء الوزارات المشار إليهم في المادة الثانية والعشرين عين مجلس الوزراء أحد كبار موظفي هذه الوزارة ممن تتوافر فيه تلك الصفات .

مادة ٢٥ — ينعقد مجلس الأزهر الأعلى مرة في كل شهر على الأقل دعوة من الرئيس .

٢٦ — قرارات مجلس الأزهر الأعلى تكون بأغلبية الآراء فإذا استوى الفريقان ، فالأرجحية للفريق الذي يكون فيه الرئيس .
ولا ينعقد إلا إذا حضره سبعة من الأعضاء ثلاثة منهم من الأعضاء العلماء خلاف الرئيس .

مادة ٢٧ — يختص مجلس الأزهر الأعلى بما يأتي :

(أولا) وضع مشروع الميزانية العمومية للإدارة العامة والجامع الأزهر والمعاهد الدينية والأقسام العامة .

(ثانيا) اقتراح إنشاء الكليات والمعاهد الدينية وتقرير إنشاء الأقسام العامة .

(ثالثا) النظر في كل مشروع قانون أو مرسوم يتعلق بوضع خطط التعليم ومناهجها أو يتعلق بأى شأن من شؤون الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

(رابعا) وضع مشروع اللوائح الداخلية للجامع الأزهر والمعاهد الدينية الإسلامية واللوائح التفصيلية الخاصة بالتدريس والامتحانات وبإجازات الطلبة وتأديبهم .

(خامسا) وضع مشروع اللوائح الخاصة باستخدام المدرسين والموظفين وإجازاتهم وتأديبهم .

(سادسا) النظر في تعيين المدرسين والموظفين وترقيتهم ونقلهم طبقا لما هو مقرر فى اللوائح .

(سابعا) وضع نماذج الشهادات الابتدائية والثانوية والعالية .

(ثامنا) قبول الأوقاف والوصايا وجميع الهبات ،

(تاسعا) النظر فى تقرير الإعانات التى تمنح للمعاهد الدينية الحرة .

(عاشرا) النظر فيما يعهد به اليه هذا القانون أو غيره من القوانين واللوائح وفيما يعرضه عليه شيخ الجامع الأزهر وعلى العموم فى كل ما يرى فائدة فى بحثه أو النظر فيه من المسائل الخاصة برفق التعليم وحسن النظام فى الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

وتعرض قرارات المجلس فى المسائل المبينة فى الفقرات الخمسة الأولى على مجلس الوزراء الموافقة عليها ويصدق على المسائل المبينة فى ثانيا ورابعا وخامسا بمراسيم .

مادة ٢٨ — مع عدم الإخلال بما لنا من الحق فى فصل الموظفين المنوط بنا تعيينهم يجوز لمجلس الأزهر الأعلى فصل غير هؤلاء من الموظفين والمدرسين بدون إحالتهم على مجلس التأديب إذا وجد ما يقتضى ذلك .

مادة ٢٩ — يكون للجامع الأزهر والمعاهد الدينية شخصية معنوية
مصرية الجنس .

وشيخ الجامع الأزهر هو الذى يمثل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية
ويتولى المقاضاة بالنيابة عنها كما له حق مقاضاة نظار الأوقاف التى للمدرسين
أو الموظفين أو الطلاب التابعين للجامع الأزهر والمعاهد الدينية نصيب فيها .
وذلك بدون إخلال بما لوزارة الأوقاف من الحقوق والاختصاصات المقررة
فى اللوائح والقوانين .

مادة ٣٠ — يتولى مجلس الأزهر الأعلى بواسطة رئيسه إدارة الأموال
التي للجامع الأزهر والمعاهد الدينية طبقا للقواعد التى يضعها المجلس لذلك .

الفصل الخامس

فى إدارة الكليات والمعاهد

مادة ٣١ — يكون لكل كلية من كليات الجامع الأزهر شيخ من
العلماء يديرها ويجلس يسمى مجلس إدارة الكلية .

ويكون اختيار شيخ الكلية وتعيينه منوطين بنا وبأمر منا .

مادة ٣٢ — يكون لكل كلية وكيل ينتخبه شيخ الجامع الأزهر من
بين مدرسيها لمدة سنة ويصدق على انتخابه مجلس الأزهر الأعلى .
وتكون له اختصاصات الشيخ مدة غيابه .

مادة ٣٣ — يؤلف مجلس إدارة الكلية من :

شيخ الكلية وله الرئاسة ؛
وكيل الكلية ؛

مدرسين ينتخبهما المدرسين من بينهم لمدة سنة ويصدق على انتخابهما
مجلس الأزهر الأعلى .

لثنين من الخارج يقر ترشيحهما مجلس الأزهر الأعلى ممن يرى فى وجودهم
مصلحة للتعليم فى الكلية ويكون تعيينهما لمدة سنتين بأمر ملكى .

مادة ٣٤ — يدير المعهد الأزهرى بالقاهرة شيخ من العلماء يكون
اختياره وتعيينه منوطين بنا وبأمر منا ويتولى معاونة شيخ الجامع الأزهر
ويطلق عليه اسم وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

ويكون كذلك لكل معهد آخر شيخ من العلماء يديره يكون اختياره وتعيينه منوطين بنا وبأمر منا .

مادة ٣٥ — يكون لكل معهد ثانوى مجلس إدارة يعين أعضاؤه بأمر ملكى لمدة سنتين .

مادة ٣٦ — يؤلف مجلس إدارة المعهد من :
شيخ المعهد وله الرئاسة . ثلاثة من علماء المعهد . أحد رجال التعليم ممن يرى في وجوده مصلحة للتعليم في المعهد .
وفي حالة غياب شيخ المعهد تكون الرئاسة لأكبر الأعضاء العلماء سنا .
مادة ٣٧ — تنعقد مجالس إدارة الكليات والمعاهد بدعوة من الرئيس كلما دعا الحال لذلك .

مادة ٣٨ — لا ينعقد مجلس إدارة الكلية إلا إذا حضره ثلاثة من الأعضاء خلاف الرئيس ولا ينعقد مجلس إدارة المعهد إلا إذا حضره اثنان من الأعضاء خلاف الرئيس . وتكون قرارات هذه المجالس بأغلبية الآراء فان استوى الفريقان فالأرجحية للفريق الذى يكون فيه الرئيس .
مادة ٣٩ — يجوز لشيخ الجامع الأزهر أن يحضر مجلس إدارة الكليات والمعاهد . وفي هذه الحالة يتولى رئاسة المجلس .

مادة ٤٠ — يدير مجلس إدارة الكلية الحركة العامة للتعليم والامتحانات والنظام في الكلية طبقاً للوائح وتحت مراقبة شيخ الجامع الأزهر ويختص بما يأتى :

- (أولاً) توزيع مواد الدراسة على المدرسين .
- (ثانياً) تقرير المستحقين للمكافآت من الطلبة .
- (ثالثاً) إبداء رأى فيما يأتى :
- ١ — تحضير ميزانية الكلية والنظر في طلب الاعتمادات الإضافية .
- ٢ — تحضير اللائحة الداخلية للكلية .
- ٣ — خطط الدراسة ومناهجها .
- ٤ — تعيين عدد الطلبة المستجدين .
- ٥ — تقرير كتب الدراسة .

٦ — تحديد مبدأ المساحات ونهايتها .
٧ — تحديد مواعيد الامتحانات وتشكيل لجانها طبقاً للامتحانات
وترفع هذه القرارات إلى مجلس الأزهر الأعلى للتصديق على ما يختص
بالتصديق عليه .

مادة ٤١ — تختص مجالس إدارة المعاهد بما يأتي :
(أولاً) توزيع مواد الدراسة على المدرسين .
(ثانياً) تقرير القواعد التي يكون بموجبها ضبط الطلبة وحسن سير
الأعمال وكل ماله علاقة بالإدارة الداخلية .
(ثالثاً) إبداء الرأي فيما يأتي :

١ — تحضير الميزانية .
٢ — تقرير كتب الدراسة .
٣ — تقرير طريقة توزيع ما يرد من النقود للمعهد من قبيل الإيرادات
الدائمة .

وترفع هذه القرارات إلى مجلس الأزهر الأعلى للتصديق على ما يختص
بالتصديق عليه .

الفصل السادس

في الأروقة

مادة ٤٢ — يعين شيخ الجامع الأزهر مشايخ الأروقة والحارات
وفصلهم مع مراعاة شروط الواقفين وطبقاً لما يقرر في اللائحة الداخلية .
مادة ٤٣ — يضع مجلس الأزهر الأعلى النظمات الخصوصية لطلبة
الأروقة والحارات وغيرهم ممن لهم نظمات أو قوانين خاصة بهم . ويجب
على كل حل ألا يخرج تلك النظمات الخصوصية عما تجب مراعاته في الجامع
الأزهر من النظام العام بمقتضى هذا القانون .

الباب الثاني

في أقسام التعليم ومدته ، وفي خطط الدراسة ، وفي المساحات

الفصل الأول

في أقسام التعليم ومدته

مادة ٤٤ — يقسم التعليم في المعاهد والجامع الأزهر إلى أربع مراحل :

١ — ابتدائي ومدته أربع سنوات .

٢ — ثانوي ومدته خمس سنوات .

٣ — عال ومدته أربع سنوات .

٤ — تخصص وتبين مدته في القانون الخاص به .

الفصل الثاني

في خطط الدراسة

مادة ٤٥ — المواد التي تدرس في القسم الابتدائي هي :

علوم دينية — الفقه ، الأخلاق الدينية ، تجويد القرآن الكريم واستذكاره ، التوحيد ، السيرة النبوية .

علوم اللغة العربية — المطالعة والمحفوظات ، الانشاء ، النحو والصرف الاملاء ، الخط .

علوم أخرى — التاريخ والجغرافيا ، الحساب والهندسة العملية ، مبادئ العلوم وتدبير الصحة ، الرسم .

مادة ٤٦ — المواد التي تدرس في القسم الثانوي هي :

علوم دينية — الفقه ، التفسير ، الحديث ، التوحيد ، استذكار القرآن

علوم اللغة العربية — النحو ، الصرف ، البلاغة (البيان والمعاني والبدع) ، العروض والقافية ، المطالعة والمحفوظات ، الانشاء ، أدب اللغة

علوم أخرى — الرياضة (حساب . هندسة . جبر) ، العلوم (طبيعة .

كيمياء . التاريخ الطبيعي) ، المنطق ، التاريخ ، الجغرافيا ، الأخلاق والتربية الوطنية .

مادة ٤٧ — المواد التي تدرس في كلية اللغة العربية هي :

النحو ، الوضع ، الصرف ، المنطق ، علوم البلاغة (البيان والمعاني
والبدیع) ، الآداب العربية وتاريخها ، تاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ
الأمم الاسلامية ، التفسير ، الحديث ، الأصول ، الانشاء ، فقه اللغة .

مادة ٤٨ — المواد التي تدرس في كلية الشريعة الاسلامية هي :

التفسير ، الحديث متنا ورجالا ومصطلحا ، أصول الفقه ، تاريخ التشريع
الاسلامی ، الفقه مع مقارنة المذاهب في المسائل السككية وحكمة التشريع ،
أدب اللغة العربية ، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبدیع) ، المنطق .

مادة ٤٩ — المواد التي تدرس في كلية أصول الدين هي :

التوحيد مع إيراد الحجج ودفع الشبه خصوصا الذائع في العصر منها ،
المنطق والمناظرة ، الفلسفة مع الرد على ما يكون منافا للدين منها ، الأخلاق
التفسير ، الحديث ، آداب اللغة العربية وتاريخها ، التاريخ الاسلامی ، علم
النفس ، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبدیع) .

مادة ٥٠ — توزيع مواد الدراسة في السكليات وأقسام التعليم الثانوی
والابتدائي على سنی الدراسة والساعات المخصصة لكل قسم منها في الأسبوع
وكذلك المناهج الدراسية يعين بمرسوم .

ويخصص لمواد الدراسة في كل قسم عدد من الساعات لا يقل في الأسبوع
عما يأتي :

(أولا) تسع وعشرون ساعة للتعليم الابتدائي .

(ثانيا) تسع وعشرون ساعة للتعليم الثانوی بسمیه الأول والثاني .

(ثالثا) إحدى وعشرون ساعة للتعليم العالی .

ولا يزيد الزمن المخصص للعلوم غير الدينية والعربية في كل من التعليم
الابتدائي والثانوی على ثلاثين في المائة من مجموع الزمن .

الفصل الثالث

في المساعات

- مادة ٥١ — يحدد مجلس الأزهر الأعلى كل عام بدء الدراسة ونهايتها في الجامع الأزهر والمعاهد الدينية والأقسام العامة ويكون بدء الدراسة عقب العطلة الصيفية التي لا تزيد على ثلاثة أشهر .
- مادة ٥٢ — تعطّل الدروس ويسامح الطلبة في الجامع الأزهر والمعاهد الدينية في أيام العطلات الرسمية للدولة . ويقرر شيخ الجامع الأزهر مدة العطلة للعبدین وله أن يقرر مسامحة الطلبة في الأعياد والموااس الخاصة .
- مادة ٥٣ — يعلن بالجريدة الرسمية ابتداء وانتهاء المساعات العمومية ومسامحة العبدین .
- مادة ٥٤ — لا يجوز تعطيل الدروس يوما أو بعض يوم في غير الأحوال المنصوص عليها إلا بأمر من شيخ الجامع الأزهر لأسباب استثنائية تبين في الأمر المذكور .
-

الباب الثالث

في الامتحان والشهادات

الفصل الأول

في الامتحانات

مادة ٥٥ — يعين شيخ الجامع الأزهر رؤساء وأعضاء لجان الامتحانات والمراقبين ومساعدتهم طبقا لما يتقرر في لائحة الامتحانات .

مادة ٥٦ — الامتحانات التي يجب إجراؤها في الجامع الأزهر والمعاهد الدينية هي :

١ — امتحان النقل من سنة إلى أخرى في كل قسم من أقسام التعليم

٢ — امتحان الشهادة الابتدائية .

٣ — امتحان الشهادة الثانوية بقسميها الأول والثاني .

٤ — امتحان الشهادات العالية .

٥ — امتحان شهادة العالمية لأقسام التخصص .

مادة ٥٧ — يكون امتحان النقل و امتحان الشهادات على دورين يعمل

بنتيجتهما ترتيب واحد للنجاح . إنعما لا يسمح بدخول الدور الثاني إلا للطلبة الآتي بيانهم :

١ — الطلبة الذين لم يستطيعوا حضور امتحان الدور الأول أو إكمال

لأسباب قهرية بقراها شيخ الجامع الأزهر في امتحان الشهادات أو شيخ الكلية أو المعهد في امتحان النقل .

٢ — الطلبة الذين رسبوا في امتحان الدور الأول في مادة أو أكثر

من مواد الامتحان التحريري في التعليم الابتدائي أو الثانوي بشرط أن يكونوا حاصلين فيه على النهاية الصغرى المقررة لمجموع مواد الامتحان .

٣ — الطلبة الذين رسبوا في امتحان الدور الأول في مادة أو أكثر

من مواد الامتحان التحريري في التعليم العالي بشرط أن يكونوا حاصلين فيه على ٥٠ ٪ من مجموع النهاية الكبرى من مواد ذلك الامتحان .

٤ — الراسبون في مادة أو مادتين من مواد الامتحان الشفوي التي تكون بلا تعيين . أما الراسبون في مادة من مواد الامتحان الشفوي الذي يكون بالتعيين فليس لهم حق دخول الدور الثاني .
وعتجن المتخلفون عن حضور الدور الأول أو إكماله وكذلك الراسبون في الامتحان التحريري في جميع مواد الامتحان . أما الذين لم يرسبوا إلا في الامتحان الشفوي فيكون اختيارهم في الدور الثاني في مواد هذا الامتحان ققط .

مادة ٨ • — يجب على كل طالب في كل سنة من سنى الدراسة بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية دخول الامتحان الذي يعقد لفرقة . وكل طالب لا يتقدم إلى الامتحان يعتبر ساقطا ويعامل بنص المادة (٦٣) إلا إذا كان عدم التقدم لأسباب قهرية .

مادة ٩ • — يكون امتحان النقل في القسمين الابتدائي والثانوي مقصورا على مقرر السنة التي يحصل فيها ماعدا المواد التي تنتهى في تلك السنة فان الامتحان فيها يكون شاملا كذلك لمقرر السنوات السابقة في هذه المواد . ويكون امتحان الشهادة الابتدائية للطلبة المنتسبين في المواد التي تدرس في السنة الرابعة على أن يكون الاختبار فيها شاملا لمقرر السنوات السابقة في هذه المواد . ويكون امتحان الشهادة الثانوية للقسم الأول للطلبة المنتسبين في المواد التي تدرس في السنة الثالثة من القسم الثانوي على أن يكون الاختبار فيها شاملا لمقرر السنتين الأولى والثانية في هذه المواد . ويكون امتحان الشهادة الثانوية للقسم الثانى للطلبة المنتسبين في المواد التي تدرس في السنة الخامسة على أن يكون الاختبار فيها شاملا لمقرر السنة الرابعة في هذه المواد .

مادة ١٠ • — يكون امتحان النقل في القسم العالى في نهاية السنتين الأولى والثالثة مقصورا على مقرر السنة الحاصل فيها الامتحان . ويكون امتحان النقل في نهاية السنة الثانية في المواد التي تدرس فيها ماعدا المادتين الأساسيتين للسلكية فيشمل الامتحان فيهما مقرر السنة الأولى أيضا .

والمواد الأساسية للسلكيات هي :

علوم البلاغة وآداب اللغة العربية لسلكية اللغة العربية ؛

أصول الفقه والفقه ... لسكلية الشريعة ؛

التفسير والتوحيد ... أصول الدين .

ويكون امتحان الشهادة العالية في مقرر السنة الرابعة لكل كلية ماعدا
المادتين الأساسيتين المشار اليهما ومادتين أخريين يعينهما مجلس الأزهر الأعلى
من المواد ذات الأهمية في كل كلية في بدء السنة الدراسية فان الامتحان
فيها يكون شاملا لمقرر السنة الثالثة أيضا .

مادة ٦٩ — فيما عدا ما هو مبين في المادة التالية يكون الامتحان
تحريريا وشفويا حسب الجداول الملحقه بالمادة (٦٥) .

مادة ٦٢ — يكون امتحان النقل في القسمين الابتدائي والثانوي تحريريا
ويخصص للامتحان التحريري ثلاثة أرباع الدرجة المقررة لكل مادة ، أما
الرابع الباقي فملتوسط الدرجات التي يحصل عليها الطالب للأعمال اليومية
طوال السنة وشفويا أيضا في مادتين يعينهما مجلس الأزهر الأعلى من بين
مواد العلوم الدينية والعربية .

وتضم درجة المطالعة إلى درجة النحو والصرف في القسم الابتدائي
وتضم إلى درجة النحو فقط في القسم الثانوي . أما درجة المحفوظات فتضم
إلى درجة الانشاء في القسمين . ويشمل امتحان الشهادة العالية امتحان
تعيين يعمل حسب النظام الذي يضعه مجلس الأزهر الأعلى في لائحة
الامتحان ، ويكون امتحان التعيين في مادتين يختارهما المجلس الأعلى من بين
المواد ذات الأهمية في كل كلية .

مادة ٦٣ — لا يجوز للطالب أن يعيد الدروس في أكثر من فرقتين
من كل قسم من أقسام التعليم الابتدائي والثانوي والعالي ولا أن يبقى في
فرقة واحدة أكثر من سنتين .

ويترتب على عدم النجاح بعد الاعادة على هذه السكيفية نحو اسم الطالب
من السجلات وقطع مرتباته .

ومع ذلك فلشيخ الجامع الأزهر في أحوال استثنائية أن يقرر بقاء الطالب
الذي سقط مرتين في امتحانات الدراسة العالية سنة ثالثة بشرط ألا يكون
ذلك موجبا لاطالة مدة الدراسة أكثر من ثمان عشرة سنة .

مادة ٦٤ — يجوز لغير الطلبة المنتسبين للجامع الأزهر والمعاهد الأخرى أن يدخلوا امتحان الشهادات الابتدائية والثانوية بقسميها طبقا لما هو مقرر في هذا الباب وبمراعاة ما يأتي :

(١) أن يمتحن الطالب في جميع العلوم المقرر تدريسها في القسم الذي يطلب نيل شهادته .

(٢) ألا يقبل من أحد الامتحان لنيل الشهادة الثانوية قسم أول إلا إذا كان ناجحا في امتحان الشهادة الابتدائية ومضى على نجاحه فيها ثلاث سنوات .
وألا يقبل من أحد الامتحان لنيل الشهادة الثانوية قسم ثان إلا إذا كان ناجحا في امتحان الشهادة الثانوية قسم أول ومضى على نجاحه فيها سنتان .

(٣) ألا يقبل من أحد الامتحان لنيل إحدى الشهادات العالية إلا إذا كان ناجحا في امتحان الشهادة الثانوية قسم ثان ومضى على نجاحه فيها أربع سنوات .

(٤) ألا يقبل من أحد الامتحان لنيل شهادة من هذه الشهادات بعد سقوطه مرتين .

مادة ٦٥ — يشترط لنجاح الطالب أن يحصل على النهايات الصغرى في الامتحان بالسكيفية المبينة في الجداول الآتية :

النهاية الكبرى لدرجات كل مادة أو فرع مادة
والنهاية الصغرى لدرجة كل مادة من مواد الامتحان في القسم الابتدائي:

١ — الامتحان التحريري

النسبة المئوية للنهاية الصغرى	النهاية الصغرى لكل مادة	النهاية الكبرى		المادة
		لكل فرع مادة	لكل مادة	
٥٠٪	٢٠	—	٤٠	١ — الفقه . . .
٥٠٪	٢٠	—	٤٠	٢ — الأخلاق الدينية .
٥٠٪	٢٠	—	٤٠	٣ — التوحيد . . .
٥٠٪	٢٠	—	٤٠	٤ — السيرة النبوية . .
٥٠٪	٢٠	—	٤٠	٥ — الانشاء . . .
٥٠٪	٢٠	—	٤٠	٦ — النحو والصرف .
—	—	٢٠	—	النحو . . .
—	—	٢٠	—	الصرف . . .
٤٠٪	٨	—	٢٠	٧ — الاملاء . . .
٤٠٪	٨	—	٢٠	٨ — الخط . . .
٤٠٪	١٦	—	٤٠	٩ — الحساب والهندسة العملية
٢٠٪	٤	—	٢٠	١٠ — التاريخ والجغرافيا .
—	—	١٠	—	التاريخ . . .
—	—	١٠	—	الجغرافيا . . .
٢٠٪	٤	—	٢٠	١١ — مبادئ العلوم وتدير الصحة
—	—	١٠	—	مبادئ العلوم . .
—	—	١٠	—	تدير الصحة . .
٢٠٪	٤	—	٢٠	١٢ -- الرسم . . .

ويراعى أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة . وكذلك على الأقل ٤٠٪ على الأقل من مجموع النهايات الكبرى لدرجات المواد التي نهايتها الصغرى ٢٠٪ .

٢ — الاختبار الشفوى في الشهادة الابتدائية فقط

المادة	النهاية الكبرى		النهاية الصغرى	النسبة المئوية للنهاية الصغرى
	لكل مادة	لكل فرع مادة		
١ — تجويد القرآن واستذكاره	٤٠	—	٢٠	٥٠٪
٢ — المطالعة والمحفوظات	٤٠	—	٢٠	٥٠٪
المطالعة . . .	—	٢٠	—	—
المحفوظات . . .	—	٢٠	—	—

ويراعى أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة .

٣ — الاختبار الشفوى في الشهادة الابتدائية

وامتحان النقل

يختبر الطالب في مادتين تعينان من بين مواد العلوم الدينية والعربية وفقاً للمادة ٦٢ وتكون النهاية الكبرى لكل منهما ٤٠ والنهاية الصغرى ٢٠ بنسبة ٥٠٪ ولا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة

النهاية الكبرى والنهاية الصغرى لدرجة كل مادة
من مواد الامتحان في القسم الثانوى بقسميه الأول والثانى :
١ — الامتحان التحريرى

المادة	النهاية الكبرى لكل مادة	النهاية الصغرى لكل مادة	النسبة المئوية للنهاية الصغرى
١ — الفقه . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
٢ — التفسير . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
٣ — الحديث . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
٤ — التوحيد . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
٥ — النحو . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
٦ — الصرف . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
٧ — البلاغة . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
٨ — الانشاء . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
٩ — أدب اللغة . . .	٤٠	٢٠	٪ ٥٠
١٠ — المنطق . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١١ — العروض والقافية . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١٢ — الحساب . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١٣ — الهندسة . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١٤ — الجبر . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١٥ — الطبيعة . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١٦ — الكيمياء . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١٧ — التاريخ الطبيعى . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١٨ — التاريخ . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
١٩ — الجغرافيا . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠
٢٠ — الأخلاق والتربية الوطنية . . .	٢٠	٤	٪ ٢٠

ويراعى أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة . وكذلك على ٤٠٪ على الأقل من مجموع النهايات الكبرى لدرجات المواد التي نهايتها الصغرى ٢٠٪

٢ — الاختبار الشفوى في الشهادة الثانوية للقسم الأول والثاني

المادة	النهاية الكبرى		النهاية الصغرى لكل مادة	النسبة المئوية للنهاية الصغرى
	لكل مادة	لكل فرع مادة		
١ — استذكار القرآن .	٤٠	—	٧٠	٥٠٪
٢ — المطالعة والمحفوظات .	٤٠	—	٢٠	٥٠٪
المطالعة . . .	—	٢٠	—	—
المحفوظات . . .	—	٢٠	—	—

ويراعى أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة .

٣ — الاختبار الشفوى في الشهادة الثانوية للقسم الأول والثاني وامتحان النقل

يختبر الطلبة في مادتين تعيينان من بين مواد العلوم الدينية والعربية وفقاً للمادة ٦٢ وتكون النهاية الكبرى لكل منهما ٤٠ والنهاية الصغرى ٢٠ بنسبة ٥٠٪ ولا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة .

النهاية الكبرى والنهاية الصغرى لدرجات كل مادة
وفرع مادة من مواد الامتحان في كلية اللغة العربية
١ — الامتحان التحريري

النسبة المئوية للنهاية الصغرى	النهاية الصغرى	النهاية الكبرى	المواد
٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	الانشاء . . .
٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	علوم البلاغة . . .
٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	آداب اللغة العربية وتاريخها
٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	النحو . . .
٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	الصرف . . .
٠/٠٤٠	٨	٢٠	فقه اللغة . . .
٠/٠٤٠	٨	٢٠	الأصول . . .
٠/٠٤٠	٨	٢٠	الوضع . . .
٠/٠٦٠	١٥٦	٢٦٠	المجموع . . .
٠/٠٤٠	٨	٢٠	٢ — التفسير . . .
٠/٠٤٠	٨	٢٠	٣ — الحديث . . .
٠/٠٤٠	٨	٢٠	٤ — تاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ الأمم الاسلامية .
٠/٠٤٠	٨	٢٠	٥ — المنطق . . .
٠/٠٤٠	٣٢	٨٠	المجموع . . .

وبراعي أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على الأقل على ٠/٠٦٠ في
بمجموع الدرجات المخصصة للغة العربية وعلى النهاية الصغرى في كل فرع من
فروعها وكذلك على ٠/٠٤٠ في كل مادة من المواد الأخرى .

٢ — الاختبار الشفوي

النسبة المئوية للنهاية الصغرى	النهاية الصغرى	النهاية الكبرى	المواد
٠/٠.٥٠	١٠	٢٠	١ — النحو . . .
٠/٠.٥٠	١٠	٢٠	٢ — الصرف . . .
٠/٠.٥٠	١٠	٢٠	٣ — آداب اللغة العربية وتاريخها
٠/٠.٥٠	١٠	٢٠	٤ — علوم البلاغة . . .

ويراعى ما يأتى :

أولاً — أن يكون الامتحان في مادتين من المواد السابقة بالتعيين في امتحان الشهادة فقط
ثانياً — أن لا يعيد الطالب نجاحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة.

النهاية الكبرى والنهاية الصغرى لدرجات كل مادة

وفرع مادة من مواد الامتحان في كلية اللغة العربية :

١ — الامتحان التحريرى

النسبة المئوية للنهاية الصغرى	النهاية الصغرى	النهاية الكبرى	المواد
٠/٠.٥٠	٢٠	٤٠	التفسير . . .
٠/٠.٥٠	٢٠	٤٠	الحديث . . .
٠/٠.٥٠	٢٠	٤٠	أصول الفقه . . .
٠/٠.٥٠	٢٠	٤٠	الفقه وحكمة التشريع . . .
٠/٠.٤٠	٨	٢٠	تاريخ التشريع الإسلامى
٠/٠.٦٠	١٠.٨	١٨.٠	المجموع
٠/٠.٤٠	٨	٢٠	٢ — أدب اللغة العربية . . .
٠/٠.٤٠	٨	٢٠	٣ — علوم البلاغة . . .
٠/٠.٤٠	٨	٢٠	٤ — المنطق . . .
٠/٠.٤٠	٢٤	٦٠	المجموع

ويراعى أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على الأقل على ٦٠ ٪
في مجموع الدرجات المخصصة للعلوم الشرعية وعلى النهاية الصغرى في كل
فرع من فروعها وكذلك على ٤٠ ٪ في كل مادة من المواد الأخرى .

٢ — الاختبار الشفوى

المواد	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	النسبة المئوية للنهاية الصغرى
١ — الفقه . . .	٤٠	١٠	٥٠ ٪
٢ — التفسير . . .	٤٠	١٠	٥٠ ٪
٣ — الحديث . . .	٤٠	١٠	٥٠ ٪
٤ — أصول الفقه . . .	٤٠	١٠	٥٠ ٪

ويراعى ما يأتى :

أولاً — أن يكون الامتحان في مادتين من المواد السابقة بالتعيين في امتحان الشهادة فقط
ثانياً — أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة

النهاية الكبرى والنهاية الصغرى لدرجات كل مادة

وفرع مادة من مواد الامتحان في كلية أصول الدين

١ — الامتحان التحريرى

المواد	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	النسبة المئوية للنهاية الصغرى
١ — التوحيد . . .	٤٠	٢٠	٥٠ ٪
٢ — التفسير . . .	٤٠	٢٠	٥٠ ٪
٣ — الحديث . . .	٤٠	٢٠	٥٠ ٪
٤ — المنطق والمناظرة . . .	٤٠	٢٠	٥٠ ٪
٥ — الأخلاق . . .	٢٠	٨	٤٠ ٪
٦ — الفلسفة . . .	٢٠	٨	٤٠ ٪
المجموع . . .	٢٠٠	١٢٠	٦٠ ٪
٢ — آداب اللغة العربية وتاريخها	٢٠	٨	٤٠ ٪
٣ — التاريخ الاسلامى . . .	٢٠	٨	٤٠ ٪
٤ — علوم البلاغة . . .	٢٠	٨	٤٠ ٪
٥ — علم النفس . . .	٢٠	٨	٤٠ ٪
المجموع . . .	٨٠	٣٢	٤٠ ٪

ويراعى أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على الأقل على ٠.٦٠ /
 في مجموع الدرجات المخصصة لعلوم الدين وعلى النهاية الصغرى في كل فرع من
 فروعها ، وكذلك على ٠.٤٠ / في كل مادة من المواد الأخرى .

٢ — الاختبار الشفوى

النسبة المئوية للنهاية الصغرى	النهاية الصغرى	النهاية الكبرى	المواد
٠/٠٠٠	١٠	٢٠	١ — التوحيد . . .
٠/٠٠٠	١٠	٢٠	٢ — التفسير . . .
٠/٠٠٠	١٠	٢٠	٣ — الحديث . . .
٠/٠٠٠	١٠	٢٠	٤ — الفلسفة . . .

ويراعى ما يأتى :

أولاً — أن يكون الامتحان فى مادتين من المواد السابقة بالتعيين فى
 امتحان الشهادة فقط ؟

ثانياً — أنه لا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل على النهاية الصغرى
 لكل مادة .

مادة ٦٦ — يكون لكل من السلوك والمواظبة درجة نهايتها الكبرى ٤٠
 ونهايتها الصغرى ٣٢ .

مادة ٦٧ — تبين فى اللائحة الداخلية القواعد الواجب اتباعها فى تقدير
 درجات السلوك والمواظبة .

الفصل الثانى

فى الشهادات

مادة ٦٨ — الشهادات التى تعطى الناجحين فى الامتحانات النهائية مى :

- (١) الشهادة الابتدائية : لمن أتموا دراسة القسم الابتدائى ؛
- (٢) الشهادة الثانوية للقسم الأول : لمن أتموا دراسة السنوات الأولى والثانية والثالثة من القسم الثانوى ؛
- (٣) الشهادة الثانوية للقسم الثانى : لمن أتموا دراسة السنتين الرابعة والخامسة من القسم الثانوى ؛

- (٤) الشهادة العالية : لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالى ؛
- (٥) شهادة العالمية : لمن أتموا دراسة التخصص فى مهنة التدريس أو القضاء الشرعى أو الوعظ والارشاد ؛
- (٦) شهادة العالمية مع لقب أستاذ : لمن تخصص فى مادة من المواد حسب النظام الذى يقرر فيما بعد بقانون التخصص .

مادة ٦٩ — يرتب الناجحون فى الامتحانات على حسب مجموع درجاتهم التى نالوها فى الامتحانين التحريرى والشفوى .

وينشر كشف ترتيب الناجحين فى الشهادات العالية بالجريدة الرسمية .

مادة ٧٠ — يمنح شيخ الجامع الأزهر الشهادات الابتدائية والثانوية بقسميها والشهادات العالية بأنواعها للناجحين فى امتحان هذه الشهادات .

مادة ٧١ — تمنح شهادة العالمية بنوعها ببراءة ملكية وتعتبر شهادة عليا من حيث الحقوق التى تخولها لحاملها .

مادة ٧٢ — الحائزون للشهادة العالية يكونون أهلا للوظائف الكتابية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم الشرعية والمجالس الحسينية والأوقاف وللتدريس فى المساجد ولوظائف الخطابة والإمامة والمأذونية .

مادة ٧٣ — الحائزون لشهادة العالمية من قسم التخصص فى مهنة التدريس يكونون أهلا للتدريس فى المعاهد الدينية وفى مدارس الحكومة .

والحائزون لشهادة العالمية من قسم التخصص فى القضاء يكونون أهلا

للو وظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والافتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس المحسبية.

والحائزون لشهادة العالمية من قسم التخصص في الوعظ والارشاد يكونون أهلا لوظائف الوعظ والارشاد .

مادة ٧٤ — الحائزون لشهادة العالمية مع لقب أستاذ يكونون أهلا للتدريس في السكليات وفي أقسام التخصص .

الباب الرابع

في قبول الطلبة

مادة ٧٥ — يشترط لقبول الطالب في السنة الأولى من القسم الابتدائي من المعاهد الدينية :

(أولا) ألا تزيد سنه على ست عشرة سنة ؛

(ثانيا) أن يكون حافظا للقرآن الكريم كله ويؤدي امتحانا يثبت به ذلك ؛

(ثالثا) أن يؤدي بنجاح امتحانا في المطالعة والاملاء والخط والحساب طبقا لما يتقرر في اللائحة الداخلية ؛

(رابعا) أن ينجح في الكشف الطبي طبقا للشروط التي توضع لذلك في اللائحة الداخلية ؛

وتكون السن القصوى بالنسبة للغرباء ثمان عشرة سنة ويعفون من شرط حفظ القرآن .

مادة ٧٦ — يحدد مجلس الأزهر الأعلى في كل عام عدد الطلاب الذين يقبلون في السنة الأولى من القسم الابتدائي .

مادة ٧٧ — لا يقبل في السنة الأولى من القسم الثانوي إلا من كان حائزا للشهادة الابتدائية ، ولا في السنة الرابعة من هذا القسم إلا من كان حائزا

لشهادة الثانوية للقسم الأول ، ولا في القسم العالى إلا لمن كان حائزا للشهادة
اثنانوية للقسم الثانى .

مادة ٧٨ — يضع مجلس الأزهر الأعلى نظام الدراسة للأقسام العامة ،
وكذلك يضع نظام قبول العميان والغرباء والمستمعين فى السكليات .

الباب الخامس

فى الميزانية

مادة ٧٩ — تكون ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية مستقلة
وتصدر بقانون وكذلك الحساب الختامى وتبعض فىهما الأحكام المقررة لميزانية
الدولة والحساب الختامى .

مادة ٨٠ — تتكون ميزانية إيرادات الأزهر والمعاهد الدينية مما يأتى :
(١) ريع الأوقاف المرسدة للعلماء والطلبة أو للأزهر والمعاهد الدينية
بصفة عامة ؛

- (٢) مخصصات الأزهر والمعاهد الدينية فى وزارة الأوقاف ؛
(٣) مخصصات الأزهر والمعاهد الدينية فى وزارة المالية (ويدخل
فى ذلك ما هو مقرر للأزهر والمعاهد الدينية بالبرزنامة) ؛
(٤) وفر الميزانية السابقة للأزهر والمعاهد الدينية ؛
(٥) ما يستقطع من ماهيات الموظفين والمدرسين للعاش ؛
(٦) بدل التمتع المستقطع من الماهيات والمصروفات الأخرى ؛
(٧) الإيرادات المتنوعة من الهبات والوصايا وغيرها .

مادة ٨١ — يتبعض فى حسابات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية القواعد
والتعليمات التى تجرى عليها حسابات الحكومة . وتكون خاضعة لتفتيش
ومراجعة وزارة المالية .

مادة ٨٢ — القواعد المتبعة فى إدارة الأموال العمومية يجب تطبيقها

على الأموال الخاصة بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية التي يجب اعتبارها من جميع الوجوه أموالاً عمومية .

مادة ٨٣ — لا يجوز الجمع بين مرتبتين مقررين في ميزانية الجامع الأزهر والمعاهد الدينية ولا بين مرتب في هذه الميزانية ومرتب آخر في ميزانية الحكومة أو في ميزانية وزارة الأوقاف . ويستثنى من هذا الحكم شيخ الجامع الأزهر وشيوخ المذاهب . على ألا يجمع أحدهم أكثر من مرتبتين في آن واحد .

مادة ٨٤ — لا يجوز إصدار إذن بمصروف يتجاوز المقدار المقرر في بند الميزانية الخاص به إلا بقرار من مجلس الأزهر الأعلى بشرط أن يكون في سائر البنود من الباب نفسه وفر يعادل تلك الزيادة .

الباب السادس

في الأحكام العامة والأحكام الوقتية

الفصل الأول

في الأحكام العامة

مادة ٨٥ — فيما عدا السلطات المشار إليها في المواد ١٠ و ١١ و ٣١ و ٣٤ يكون استعمال سلطتنا فيما يختص بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية طبقاً لأحكام هذا القانون بواسطة وزير الأوقاف .

مادة ٨٦ — العالم من بيده شهادة العالمية طبقاً لأحكام هذا القانون وكذا كل من ثبت له هذا اللقب قبل العمل بهذا القانون بالتطبيق لنصوص القوانين السابقة أو بالقدم .

مادة ٨٧ — يتولى امتحان النخرج من كلية اللغة العربية في الجامع الأزهر لجان تؤلف بالاتفاق بين وزارة المعارف العمومية والجامع الأزهر .

مادة ٨٨ — فيما يتعلق بتطبيق هذا القانون يكون لطلبة المعهد الأزهرى

بالقاهرة والقسم العام الذى ينشأ بها حكم طلبة الجامع الأزهر من حيث الاستحقاق في الأوقاف المرصودة على الأزهر .

مادة ٨٩ — يضع شيخ الجامع الأزهر مع شيوخ المذاهب الأربعة نظام الوعظ والارشاد وقواعدها ويصدرها إلى الجهة المختصة لتنفيذها .

الفصل الثانى

في الأحكام الوقية

مادة ٩٠ — العلماء الذين يتناولون مرتبات مقررة من قبل صدور القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ولم ينالوا وظيفة من الوظائف في الأزهر والمعاهد الدينية تبقى لهم هذه المرتبات إلى أن تنحل عنهم .

مادة ٩١ — أولاد العلماء الذين يأخذون مرتبات عن آبائهم من قبل صدور القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ يبقى لهم الحق فى تناول هذه المرتبات ما دامت أسماءهم مسجلة فى سجلات المنتسبين لأزهر والمعاهد الدينية . ومن يشطب اسمه من هذه السجلات يقطع مرتبه .

وكذلك أولاد العلماء الذين يتناولون الآن مرتبات بمقتضى القواعد التى قررها مجلس الأزهر الأعلى عملاً بالمادة ١١٨ من قانون سنة ١٩١١ فى الفترة الواقعة بين سنة ١٩١١ وسنة ١٩٢١ التى صدرت فيها لائحة التقاعد تبقى لهم مرتباتهم إلى أن تقطع وفقاً لتلك القواعد .

مادة ٩٢ — يبقى للطلبة الموجودين فى القسم العالى وقسم التخصص بالجامع الأزهر وقت وجوب العمل بهذا القانون جميع الحقوق والامتيازات المخلوطة لهم قبل صدور هذا القانون بمقتضى القوانين السابقة .

مادة ٩٣ — يجوز لطلاب القسم الموقت المسجلة أسماءهم فى الجامع الأزهر وقت العمل بهذا القانون دخول الامتحان لنيل شهادة العالمية المقررة لدراستهم فى القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ فى السنتين التاليتين للعمل بهذا القانون وعند انتهاء السنتين المشار إليهما يلغى القسم الموقت وتمحى أسماء طلابه من سجلات الجامع الأزهر .

ومع ذلك فإنه يجوز قبولهم في الأقسام العامة طبقا للعادة الثامنة والسبعين .
 مادة ٩٤ — يقبل بجميع سنى الدراسة في الأزهر والمعاهد الدينية في
 سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ كل من يريد الانتساب من الطلاب المعروفين
 بالمواظبة على الدراسة ولم تكن أسماؤهم مسجلة بسجلات المنتسبين .
 ويترخص معهم في أمر السن بشرط ألا تكون أسماؤهم محجوة من
 السجلات لمضى أقصى المدة المقررة أو للعقوبة . ولا يقبل بعد السنة المذكورة
 انتساب أحد منهم ولا دخوله في امتحان إحدى الشهادات إلا طبقا لقواعد
 هذا القانون .

مادة ٩٥ — يضع شيخ الجامع الأزهر . أعد انتساب الطلاب المشار
 إليهم في المادة السابقة ويتخذ الاجراءات اللازمة لك .

مادة ٩٦ — ابتداء من سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ الدراسية يبدأ في إلغاء
 تجهيزية دار العلوم تدريجيا ويعتبر كل طالب يستحق الاعادة من أية سنة
 ملغاة من تجهيزية دار العلوم طالبا في السنة التي توازيها من القسم الثانوى
 في المعاهد الدينية .

مادة ٩٧ — إلى أن يحين الوقت لتطبيق الشرط الثالث من المادة الثالثة
 عشرة يجوز — مع مراعاة باقى الشروط المذكورة فيها — انتخاب
 أعضاء هيئة كبار العلماء من بين الحائزين لشهادة العالمية بشرط أن يكون
 قد مضى على المرشح خمس عشرة سنة من تاريخ نيله هذه الشهادة .
 ويجوز كذلك مؤقتا أن ينتخب ضمن تلك الهيئة من كانت وظيفته العلمية
 بإدارة الجامع الأزهر والمعاهد الدينية التدريس في التعليم العالى ، على أنه
 يشترط أن يكون قد اشتغل به مدة خمس سنوات على الأقل .

مادة ٩٨ — إلى أن تصدر اللائحة الخاصة بتأديب المدرسين والموظفين
 في المعاهد والكليات يشكل مجلس تأديبهم بالكيفية الآتية :

رئيس	وكيل الجامع الأزهر
عضوان	شيخ الكلية أو المعهد التابع له المدرس أو الموظف ،
	أو من يفتدبه شيخ الجامع الأزهر للنيابة عنه .
	أحد المفتشين يعينه شيخ الجامع الأزهر .

وفي حالة تأديب أحد الموظفين بالادارة العامة يعين المجلس الأعلى العضو الذي يحل محل شيخ الكلية أو المعهد . أما مفتشو المعاهد فينظر فيما ينسب إليهم مجلس الأزهر الأعلى بهيئة مجلس تأديب بناء على ما يقدم إليه من شيخ الجامع الأزهر .

مادة ٩٩ — يلغى القانون رقم ١٥ لسنة ١٩١١ وجميع القوانين المعدلة له وكذلك كل ما خالف هذا القانون من الأحكام .

وإلى أن توضع اللوائح الخاصة باستخدام الموظفين والمدرسين وإجازات الطلبة وتأديبهم ، يبقى العمل بالمواد من ٦٧ لغاية ٩٨ من القانون المتقدم ذكره .

وكذلك يلغى القانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٢٧ الخاص بمدرسة القضاء الشرعي والقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٧ الخاص بتنظيم سلطة الملك فيما يختص بالمعاهد الدينية وبتعيين الرؤساء الدينيين والمسائل الخاصة بالأديان المسموح بها في البلاد .

مادة ١٠٠ — لا يبدأ العمل بالأحكام الخاصة بنظام الدراسة إلا من السنة الدراسية ١٩٣١ — ١٩٣٢ .

قانون الظواهرى للتخصص

قانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٢٣

بتنظيم التخصص فى الجامع الأزهر

نحن فؤاد الأول ملك مصر

قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتى نصه وقد صدقنا عليه
واصدرناه :

الفصل الأول

فى أنواع التخصص

مادة ١ — التخصص فى الجامع الأزهر نوعان :

- (أ) تخصص فى المهنة ، والغرض منه تخريج علماء اختصاصيين يكونون أهلا لتعليم العلوم الدينية والعربية فى المعاهد الدينية ومدارس الحكومة والوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والافتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية ، ولوظائف الوعظ والارشاد
- (ب) تخصص فى المادة ، والغرض منه تخريج علماء ممتازين فى العلوم الدينية والعربية يكونون أهلا للتدريس فى الكليات وفى أقسام التخصص .

الفصل الثاني

في التخصص في المهنة

مادة ٢ — التخصص في المهنة ثلاثة أقسام :

- (أ) تخصص في القضاء الشرعى ومدته ثلاث سنوات
- (ب) تخصص في الوعظ والارشاد ومدته ثلاث سنوات
- (ج) تخصص في التدريس ومدته سنتان

مادة ٣ — يختار طلبة تخصص القضاء الشرعى من خريجي كلية الشريعة . وطلبة تخصص الوعظ والارشاد من خريجي كلية أصول الدين . أما طلبة التخصص في التدريس فيختارون من خريجي كلية اللغة العربية وكلية الشريعة وكلية أصول الدين .

مادة ٤ — المواد التي تدرس في تخصص القضاء الشرعى هي :

- (١) الفقه مع المقارنة بين المذاهب الأربعة ؛
- (٢) نظام ولوائح المحاكم الشرعية والأوقاف والمجالس الحسينية مع المقارنة بين لائحه ترتيب المحاكم الشرعية والاجراءات المتعلقة بها وقانون المرافعات أمام المحاكم الأهلية ؛
- (٣) الوثائق الشرعية ؛
- (٤) اجراءات وتمارين قضائية ودراسة القضايا ذات المبادئ ؛
- (٥) القانون الدولي الخاص ؛ (٦) السياسة الشرعية ؛
- (٧) تاريخ القضاء والقضاة في الاسلام ؛
- (٨) أصول القوانين مع محاضرات في التشريع الحديث ؛
- (٩) نظام القضاء والادارة ؛ (١٠) القانون الادارى ؛
- (١١) الاقتصاد السيامى ؛ (١٢) محاضرات طبية ؛
- (١٣) محاضرات فلكية .

مادة ٥ — المواد التي تدرس في تخصص الوعظ والارشاد هي :

- (١) التوحيد مع الرد على الشبهة الذائعة ؟
- (٢) القرآن الكريم وعلومه ؟
- (٣) الحديث الشريف وعلومه ؟
- (٤) الدعوة إلى سبيل الله ووسائلها ؟
- (٥) الخطابة واللقاء والمناظرة ؟
- (٦) الملل والنحل والمذاهب الفقهية وتواريخها ؟
- (٧) البدع والعادات ؟
- (٨) الاخلاق والفضائل الاسلامية ؟
- (٩) محاضرات صحية ؟
- (١٠) لغة أجنبية شرقية أو غربية .

مادة ٦ — المواد التي تدرس في تخصص التدريس هي :

- (١) علم النفس :
- (أ) علم النفس العام ؟
- (ب) علم النفس التعليمي .
- (٢) التربية العلمية :
- (أ) أصول التربية والطرق العامة والتنظيم المدرسي ؟
- (ب) طرق التدريس الخاصة ؟
- (ج) تاريخ التربية .
- (٣) التربية العملية ؟
- (٤) الاخلاق ؟
- (٥) المنطق ؟
- (٦) تدبير الصحة المدرسي ؟
- (٧) الرسم ؟
- (٨) تجويد الخط ؟
- (٩) التربية البدنية .

مادة ٧ — يخصص لمواد الدراسة في كل من أقسام التخصص ما لا يقل عن ١٨ ساعة في الأسبوع . وأما توزيع هذه المواد والساعات المخصصة لكل مادة منها في الأسبوع وكذلك المناهج الدراسية فتعين بمرسوم .
مادة ٨ — يجب على كل طالب في كل سنة من سنى الدراسة بأقسام تخصص المهنة دخول الامتحان الذي يعقد لفرقة ، وكل طالب لا يتقدم إلى الامتحان يعتبر راسبا .

وكل طالب لا يواظب على حضور ٧٥٪ على الأقل من الزمن المخصص للدراسة لا يسمح له بدخول امتحان النقل أو امتحان شهادة العالمية لأقسام التخصص في المهنة ويعتبر راسبا .

مادة ٩ — يكون لامتحان النقل مقصورا على مقرر السنة التي يحصل فيها ما عدا المواد التي تنتهى في السنة الثانية فإن الامتحان فيها يكون شاملا كذلك لمقرر السنة الأولى .

ويكون امتحان شهادة العالمية في أقسام تخصص المهنة في المواد التي تدرس في السنة النهائية على أن يكون شاملا لمقرر ما قبلها من السنين في هذه المواد ويجب على طالب الامتحان النهائي أن يقدم رسالة في مطلب من علم من علوم تخصصه يقره على اختياره أستاذه في هذا العلم .

مادة ١٠ — يكون لامتحان النقل وشهادة العالمية في أقسام تخصص المهنة على حسب الجداول المبينة في المادة (١١)

على أن يكون الامتحان في مادة من مواد الامتحان الشفوى للشهادة بطريق التعيين على حسب النظام الذي يقرر في اللائحة الداخلية للتخصص ، وتكون هذه المادة في قسم تخصص القضاء الشرعي : الفقه مع مقارنة المذاهب الأربعة .

وأما في قسم تخصص الوعظ والارشاد ، وفي قسم تخصص التدريس فيبين هذه المادة مجلس الأزهر الأعلى في كل نسخة بعد أخذ رأى مجلس إدارة الكلية المختصة .

مادة ١١ — يشترط لنجاح الطالب أن يحصل على النهايات الصغرى للامتحان بالكيفية المبينة في الجداول الآتية :

مواد الامتحان ودرجاتها في تخصص القضاء الشرعي

نوع الامتحان	النسبة المئوية للنهاية الصغرى	النسبة المئوية للنهاية الصغرى	النسبة المئوية للنهاية الكبرى	المواد
تحريرى وشفوى	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	١ — انقحه مع المقارنة بين المذاهب الأربعة نظام ولوائح المحاكم الشرعية والأوقاف والمحاسن الحسبية مع
» »	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	٢ — المقارنة بين لأئحة ترتيب المحاكم الشرعية والاجراءات المتعلقة بها وقانون المرافعات أمام المحاكم الأهلية
تحريرى	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	٣ — التوثيقات الشرعية
تحريرى وشفوى	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	٤ — لاجراءات وتمريعات قضائية ودراسة القضايا ذات المبادئ
» »	٠/٠٦٠	٢٤	٤٠	٥ — القانون الدولى الخاص
» »	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	٦ — السياسة الشرعية
تحريرى	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	٧ — تاريخ القضاء والقضاة فى الاسلام ٨ — أصول القوانين مع محاضرات فى
»	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	النشريم الحديث
»	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	٩ — نظام القضاء والادارة
»	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	١٠ — القانون الادارى
»	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	١١ — الاقتصاد السياسى
»	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	١٢ — محاضرات طبية
»	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	١٣ — محاضرات فلسفية
	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	الرسالة (فى امتحان الشهادة فقط)

ولا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل فى كل من الامتحان التحريرى والشفوى على النهاية الصغرى المقررة لكل مادة .
ولا يعد الطالب ناجحاً فى امتحان شهادة العالمية إلا إذا حصل فوق ذلك على ٠/٠٦٠ من النهاية الكبرى المقررة للرسالة ، ويراعى فى تقدير هذه الدرجة قيمة الرسالة والمناقشة فيها .

مواد الامتحان ودرجاتها في تخصص الوعظ والارشاد

نوع الامتحان	النسبة المئوية للهيئة الصغرى	الدرجة الكبرى	الدرجة الصغرى	المواد
تحريرى وشفوى	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	١ - التوحيد مع الرد على شبه الذائعة
" "	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	٢ - القرآن الكريم وعلومه
" "	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	٣ - الحديث الشريف وعلومه
" "	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	٤ - الدعوة إلى سبيل الله ووسائلها
عملى	٠/٠٦٠	٢٤	٤٠	٥ - الخطابة واللقاء والمناظرة
				٦ - الملل والنحل والمذاهب الفقهية
تحريرى وشفوى	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	وتواريخها
تحريرى	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	٧ - البدع والعادات
تحريرى وشفوى	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	٨ - الأخلاق والفضائل الاسلامية
تحريرى	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	٩ - محاضرات صحية
تحريرى وشفوى	٠/٠٥٠	٢٠	٤٠	١٠ - لغة أجنبية شرقية أو غربية
	٠/٠٦٠	٣٠	٥٠	الرسالة (في امتحان الشهادة فقط)

ولا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل في كل من الامتحان التحريرى والشفوى والعمل على الهيئة الصغرى المقررة لكل مادة .

ولا يعد الطالب ناجحاً في امتحان شهادة العالمية إلا إذا حصل فوق ذلك على ٠/٠٦٠ من الهيئة الكبرى المقررة للرسالة، ويراعى في تقدير هذه الدرجة قيمة الرسالة والمناقشة فيها .

مواد الامتحان ودرجاتها في تخصص التدريس

نوع الامتحان	النسبة المئوية للهيئة الصغرى	ب. المتوسط	ج. المتوسط	المواد
تحريري وشفوي	٦٠ ٪	٣٠	٥٠	١ — علم النفس العام . . .
» »	٦٠ ٪	٣٠	٥٠	٢ — علم النفس التعليمي . . .
» »	٦٠ ٪	٣٠	٥٠	٣ — أصول التربية والطرق العامة والنظم المدرسي . . .
» »	٦٠ ٪	٣٠	٥٠	٤ — تاريخ التربية . . .
عملي	٦٠ ٪	٣٠	٥٠	٥ — التربية العملية . . .
تحريري وشفوي	٥٠ ٪	٢٠	٤٠	٦ — طرق التدريس الخاصة . . .
تحريري	٥٠ ٪	٢٠	٤٠	٧ — الأخلاق . . .
»	٥٠ ٪	٢٠	٤٠	٨ — المنطق . . .
»	٥٠ ٪	٢٠	٤٠	٩ — تدبير الصحة المدرسي . . .
»	٥٠ ٪	٢٠	٤٠	١٠ — الرسم . . .
»	٥٠ ٪	٢٠	٤٠	١١ — تجويد الخط . . .
عملي	٥٠ ٪	٢٠	٤٠	١٢ — التربية البدنية . . .
	٦٠ ٪	٣٠	٥٠	الرسالة (في امتحان الشهادة فقط)

ولا يعد الطالب ناجحاً إلا إذا حصل في كل من الامتحان التحريري والشفوي والعمل على النهاية الصغرى المقررة لكل مادة .
ولا يعد الطالب ناجحاً في امتحان شهادة العالمية إلا إذا حصل فوق ذلك على ٦٠ في المائة من النهاية الكبرى المقررة للرسالة ، ويراعى في تقدير هذه الدرجة قيمة الرسالة والمناقشة فيها .

مادة ١٢ — لا يجوز للطالب أن يعيد الدروس في أكثر من فرقتين ولا أن يبقى في الفرقة الواحدة أكثر من سنتين .
ويترب على عدم النجاح بعد الاعادة على هذه الكيفية فصل الطالب .
ومع ذلك يجوز لمجلس الأزهر الأعلى بعد أخذ رأى مجلس إدارة الكلية أن يزيد الاعادة سنة أخرى بصفة استثنائية إذا منع الطالب من الامتحان مانع قهرى .

مادة ١٣ — يجوز لغير الطلبة المنتسبين أن يدخلوا امتحان شهادة العالمية طبقا لما هو مقرر في هذا القانون وبمراعاة ما يأتى :
(أولا) أن يكون الطالب ممن راسبوا في امتحان شهادة العالمية طبقا لهذا القانون وفصلوا بناء على المادة السابقة . على أن يكون دخوله الامتحان في السنتين التاليتين لفصله .
(ثانيا) ألا يزيد عدد مرات دخوله امتحان الشهادة من الداخل والخارج على ثلاث مرات .

الفصل الثالث

في التخصص في المادة

مادة ١٤ — يكون التخصص في المادة في أحد الأقسام الآتية :
(١) الفقه مع مقارنة المذاهب وحكمة التشريع ، ويقبل فيه من خريجي كلية الشريعة ؛
(٢) أصول الفقه وتاريخ التشريع الاسلامى ، ويقبل فيه من خريجي كلية الشريعة ؛
(٣) الحديث وعلومه ، ويقبل فيه من خريجي كليات الشريعة وأصول الدين ؛
وتتبع هذه الأقسام كلية الشريعة .
(٤) التفسير وعلوم القرآن ، ويقبل فيه من خريجي كليات الشريعة وأصول الدين ؛
(٥) التوحيد والفلسفة مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها ، وقبل فيه من خريجي كلية أصول الدين ؛
(٦) المنطق والاخلاق والفضائل الاسلامية ، ويقبل فيه من خريجي كلية أصول الدين ؛

(٧) التاريخ الاسلامى وما يلزمه من الدراسات التاريخية ، ويقبل فيه من خريجي كليات اللغة العربية وأصول الدين ؛
وتتبع هذه الاقسام كلية أصول الدين .

(٨) النحو والصرف ، ويقبل فيه من خريجي كلية اللغة العربية ؛

(٩) علوم البلاغة ، ويقبل فيه من خريجي كلية اللغة العربية ؛

(١٠) الأدب العربى وتاريخه ، ويقبل فيه خريجي كلية اللغة العربية ؛
وتتبع هذه الاقسام كلية اللغة العربية .

مادة ١٥ — مدة التخصص فى المادة ست سنوات على الأقل .

مادة ١٦ — ليل شهادة العالمية مع لقب أستاذ يشترط ما يأتي :

(أولا) أن ينجح الطالب فى امتحان بين قوة تفكيره وسعة اطلاعه ومبلغ تحصيله فى القسم الذى تخصص فيه ويكون بعد أربع سنوات على الأقل من تاريخ تسجيل اسمه ، وبين مجلس الأزهر الأعلى نظام هذا الامتحان .

(ثانيا) أن يقدم رسالة فى مطلب من مادة تخصصه يقره مجلس الأزهر الأعلى بعد أخذ رأى أستاذه فى هذه المادة ، ويكون تقديم الرسالة بعد سنتين دراسيتين على الأقل من تاريخ نجاحه فى الامتحان السابق ، ويجب أن تكون شاهدا بالعمل الجدى والبحث الشخصى المستقل الذى يفيد العلم فائدة عميقة .

(ثالثا) أن تقرر هذه الرسالة لجنة الامتحان ، وأن ينجح فى مناقشة عليه فيها

مادة ١٧ — النهاية الكبرى للامتحان المذكور فى الفقرة الأولى من المادة السابقة مائة ، ولا يكون الطالب ناجحا فيه إلا إذا حصل على ستين درجة على الأقل ، ولا يتقدم إل هذا الامتحان مرة ثانية إلا إذا قررت ذلك لجنة امتحانه .

مادة ١٨ — النهاية الكبرى للرسالة مائة ، ولا يكون الطالب ناجحا إلا إذا حصل على ستين درجة على الأقل ، وبراعى فى تقدير هذه الدرجة قيمة الرسالة والمناقشة فيها .

وبعبر عن درجات النجاح فيها بالألفاظ الآتية :

مقبول — لمن يحصل على ٦٠ درجة على الأقل

جيد — " " " ٧٥ " " "

ممتاز — " " " ٩٠ " " "

فاذا لم تقبل رسالته قررت لجنة الامتحان إعادة تقديم هذه الرسالة بعد تهذيبها أو تقديم رسالة أخرى .

وأما إذا لم ينجح الطالب في مناقشة الرسالة فلا يعاد امتحانه إلا إذا قدم رسالة أخرى .

فإذا لم تقبل الرسالة أو لم ينجح الطالب في المناقشة بعد ذلك فلا يقبل منه رسالة أخرى .

مادة ١٩ — يجوز لل حاصلين على شهادة العالمية الذين أمضوا أربع سنوات على الأقل في التدريس بالكلية أو أقسام التخصص في المادة و المهنة ، أو في رئاسة المحاكم الابتدائية الشرعية ، أو في وظيفة تمارسها أو أرقى منها ، أو مشيخة الكليات والمعاهد الثانوية . أن يتقدموا لامتحان شهادة العالمية مع لقب أستاذ عند انعقاد هذا الامتحان بالشروط التي يضعها لذلك مجلس الأزهر الأعلى .

الفصل الرابع

في أحكام عامة

مادة ٢٠ — لا يجوز للطالب أن يجمع بين قسمين من أقسام التخصص ، ومع ذلك يجوز الجمع بين تحضير الرسالة لتخصص المادة والانتساب إلى أحد أقسام تخصص المهنة .

مادة ٢١ — ينظر مجلس إدارة كل كلية في شؤون أقسام التخصص التابعة لتلك الكلية علي الوجه المبين في المادة (٤٠) من القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ .

مادة ٢٢ — لمجلس الأزهر الأعلى بعد أخذ رأى مجلس إدارة الكليات أن يرخص بقبول طلبة من الغرباء في أقسام التخصص التابعة له من غير الحاصلين على الشهادة العالمية بشرط أن يكونوا حائزين لشهادات يعتبرها مجلس الأزهر الأعلى معادلة للشهادة العالمية ، أو أن يؤدوا امتحانا يحقق معادلة هذه الشهادة أمام لجنة تؤلف لذلك .

ومجلس الأزهر الأعلى أن يرخص بقبول طلبة من الغرباء مستمعين لتلقي محاضرات في بعض مواد هذه الأقسام بعد أن تثبت مقدرتهم على الاستفادة منها وإن لم يكونوا من الحاصلين على الشهادة العالمية أو على شهادة معادلة لها .

ولم يؤدوا لامتحان القبول ، ويجوز أن يعطى هؤلاء الطلبة المستمعون بناء على تقارير الأساتذة المختصين شهادة بالمواظبة على الحضور بوقتها شيخ السكية ولا يذكر بها بها سوى المواد التي درسها الطالب والمدة التي قضاه في دراستها .

ولهم أن يتقدموا لأداء الامتحان في المواد التي تلقوها ، فإذا نجحوا أعطى لهم شيخ الجامع الأزهر شهادة بما نجحوا فيه من المواد .

مادة ٢٣ — يجوز لمجلس الأزهر الأعلى أن يمنح درجة شرف من طبقة شهادة العالمية مع لقب أستاذ لمن هم أهل لذلك من الممتازين في خدمة العلم والدين .

مادة ٢٤ — يضع مجلس الأزهر الأعلى مشروع اللائحة الداخلية لأقسام التخصص وتصدر بمرسوم .

مادة ٢٥ — يبقى ممولا به كل ما لا يخالف أحكام هذا القانون من أحكام القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ .

مادة ٢٦ — على وزراء الأوقاف والحقانية والمعارف العمومية تنفيذ هذا القانون كل فيما يخصه ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية . ومع ذلك لا يبدأ بتنفيذ النصوص المتعلقة بالنظام الدراسي إلا ابتداء من السنة الدراسية ١٩٣٤ — ١٩٣٥

نأمر بأن يصمم هذا القانون بخاتم الدولة وأن ينشر في الجريدة الرسمية وينفذ كقانون من قوانين الدولة

صدر بسرأي القبة في ٥ صفر سنة ١٣٥٢ (٢٩ مايو سنة ١٩٣٣)

فؤاد

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء بالنيابة

(محمد شفيق)

وزير الحقانية

(أحمد علي)

وزير المعارف

(محمد حلمي عيسى)

وزير الأوقاف

(علي المنزلاوي)

فهرست کتاب العلم والعلماء

صفحة	
	تقديم الكتاب بقلم الدكتور غفر الدين الاحمدى الظواهري
١	مقدمة الكتاب بقلم المؤلف
	الباب الاول - في العلماء
٥	بيان من هم وما هي صفاتهم وأعمالهم الخ
٧	وظيفة العلماء وبيان انها تنقسم الى تعليم وارشاد وقيام بالوظائف الدينية وأن التعليم ينقسم إلى عال وجمهوري وأولى الخ
١٠	كمال العلماء
١١	الكمال في العلم ، الكمال في التعليم
١٢	الكمال في الارشاد
١٥	الكمال في الاخلاق
١٨	الكمال في العبادة
٢٣	الكمال في الملكات والوجدان
٢٥	الكمال في النفوذ والتأثير
٢٨	الكمال في الفعل
٣٢	الكمال في التنوير العام
٣٤	مطالعة الجرائد
٣٥	المجلات العلمية
٣٥	الكمال في تعمير القلب بالنور الالهى والقرب من حضرة الحق
٣٨	حال العلماء اليوم وبيان مبادئهم
٤٣	العلماء الحديثون وبيان ما يجب أن يسلكوه
٤٦	دعوة العلماء الى الاتفاق
٥١	نيل العالمية وبيان ما يجب مراعاته في اعطائها
٥٨	مرتبات العلماء

الباب الثاني — في المدارس الدينية	صفحة
وظيفة المدارس الدينية في العالم الاسلامي	٦٤
النظام الداخلي للمدارس الدينية وبيان حال الطلاب اليوم	٧٠
معارف الطلبة العمومية	٧٥
معيشة طلاب العلم	٧٦
آداب الطلاب	٧٧
المعتقدات العامة للطلاب	٧٨
الحالة العمومية	٧٩
الطلاب المتعمدون	٨٠
نتيجة التعليم في المدارس الدينية	٨٢
مدة الدراسة	٨٤
مآل طلاب المدارس الدينية	٨٥
الاصلاح اللازم	٨٨
ما هو الاصلاح اللازم ، اقتراح في معرفة طرق الاصلاح	٨٩
رأي في الاصلاح	٩٠
امتحان الطلاب	٩٣
باب العلوم	٩٦
الفقه	٩٧
التفسير	٩٩
سبب التهاون في التفسير	١٠٠
أساليب التفسير	١٠٢
الحديث ، كيفية الاشتغال به اليوم	١٠٣
ثمرات علم الحديث	١٠٤
مسألة السند ، القدر اللازم من الحديث	١٠٦
علم التوحيد	١٠٧

صفحة	
١١١	علم البلاغة
١١٢	البلاغة في الأسلوب
١١٤	علم الأصول
١١٦	النحو
١١٩	المنطق
١٢٠	علم الدعوة الإسلامية
١٢٥	علم تهذيب الأخلاق
١٢٧	علم التصوف
١٣٢	علم القراءات
١٣٣	التاريخ
١٣٦	الجغرافيا
١٤٠	اللغات الأجنبية
١٤٣	الحساب
١٤٤	الهندسة
١٤٥	الإنشاء
١٤٨	العروض — علم متن اللغة
١٥٠	علوم حقائق الموجودات وخواصها وأسرارها
١٥٣	المعلومات المتنوعة
١٥٤	اقتراح مفيد
١٥٥	اقتراح آخر
١٥٦	كتب الفنون — المؤلفات القديمة
١٥٦	دور السكتب ، السكتبخانات ،
١٦١	المؤلفات الحديثة
١٦٤	الباب الثالث — في طرق التعليم ونظامه بيان أقسام التعليم ، بيان تمهيدى ، ما هي علومنا اليوم

صف

١

٥

٨

Handwritten signature

صفحة	
١٦٧	اهمال العلماء في أمر التعليم
١٦٨	اهمال المشيخة في التعليم
١٦٩	الطريقة العمومية
١٧١	كثرة الاحتمال والتأويل
١٧٣	الفلسفة الخيالية
١٧٥	طرق إصلاح التعليم — انتقاء الكتب
١٧٨	دراسة الحواشي على العموم
١٨١	حسن التدريس
١٨٦	تقديم الأولى فالأولى
١٨٨	الاعتناء بالحفظ
١٩٠	الكتابة والتدوين
١٩٢	عدم الاهتمام بالوسيلة أكثر من المقصد
١٩٣	المحافظة على الوقت
١٩٤	الباب الخامس — في تعليم الجمهور
١٩٩	تعليم تلامذة المدارس الأميرية والأهلية
٢٠٣	أشر العلم بين العامة
٢٠٣	بعثات العلية
٣٠٧	الباب الخامس — في التعليم الابتدائي
٢٠٨	بيان التعليم الابتدائي وفرائده وتقصيرنا فيه الخ المكاتب
٣١٣	الباب السادس — في الارشاد
٢١٥	بيان انه لا بد له من طرق دقيقة وانه لا يقصر على الأمور الآخريه الخ
٢٢٠	طرق الارشاد ولوازمه
٢٢٠	مخالطة الناس

مجالس الوعظ ٢٢٥

الخطبة ٢٢٦

الباب السابع — في طرق تنفيذ الاصلاح

بيان صعوبة الاصلاح وما ينبغي أن يتخذ من الطرق ٢٣٢

المكافآت ٢٣٣

المكافأة على الوعظ والتعليم العامة ٢٣٤

المكافأة على الدعوة الى الاسلام ٢٣٥

المكافأة على السياحة للتعليم والارشاد ٢٣٥

ارشاد للواقفين ٢٣٦

كساوى التشریف العلمية ٢٣٧

كساوى المظهرية ٢٣٨

الباب الثامن — في الادارة الدينية

بيان وجوب توحيد المصالح الدينية وانشاء ادارة عامة ٢٤١

كيفية تشكيل الادارة الدينية ٢٤٣

أعمال الادارة الدينية — فروع الادارة الدينية ٢٤٣

إدارة التعليم ٢٤٤

مشيخه الجامع ٢٤٦

مؤتمر اسلامى عام ٢٤٨

يجتمع للعلماء ٢٤٩

خاتمة في بيان مبدأ صاحب الكتاب ٢٥٣

قانون الظواهرى لإصلاح الأزهر وهو القانون رقم ٤٩ ٢٥٧

لسنة ١٩٣٠ باعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية

العلمية الاسلامية

قانون الظواهرى للتخصص وهو القانون رقم ٣٧ ٢٨٩

لسنة ١٩٣٣ بتنظيم التخصص في الجامع الأزهر

ص

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

١

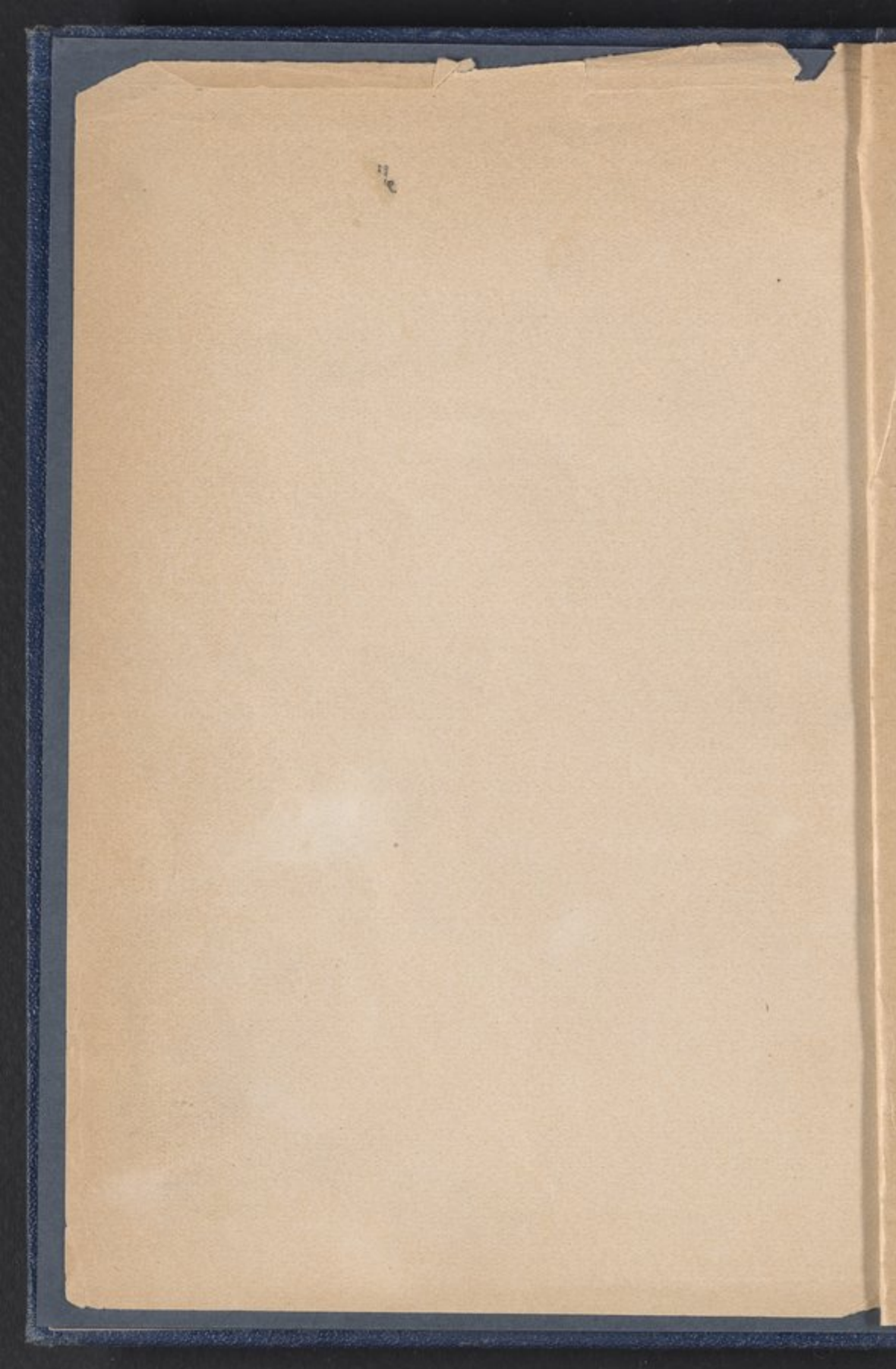
١

١

١

١

١



BP

44

23

1955

al-Zawāhirī, M. al-Aḥmadī

al-ʿIlm wa al-ʿulamāʾ

wa nizām al-taʿlīm

unli
d.

